وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

الشعبة: تاريخ

التخصص: تاريخ المغرب الإسلامي

العنوان

دور القبيلة في التغيّرات المذهبيّة في بلاد المغرب الإسلامي (2-6هـ)

من إعداد الطالب

بن ميرة بن سعيد

المناقشة بتاريخ ..../..../..... من طرف اللجنة المكونة من:

مصطفى مغزاوي	أستاذ التعليم العالي	حسيبة بن بوعلي-الشلف	رئيسًا
بغداد غربي	أستاذ محاضر أ	حسيبة بن بوعلي-الشلف	مقررًا
صلاح الدين وانس	أستاذ محاضر أ	غرداية	ممتحنًا
قاسمي بختاوي	أستاذ محاضر أ	جيلالي اليابس سيدي بلعباس	ممتحنًا
نعيمة بوكرديمي	أستاذ محاضر أ	حسيبة بن بوعلي-الشلف	ممتحنًا
فاطمة الزهراء مالكي	أستاذ محاضر أ	حسيبة بن بوعلي-الشلف	ممتحنًا

الموسم الجامعي

1443-1444هـ/2021-2022م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

الشعبة: تاريخ

التخصص: تاريخ المغرب الإسلامي

العنوان

دور القبيلة في التغيّرات المذهبيّة في بلاد المغرب الإسلامي (2-6هـ)

من إعداد الطالب

بن ميرة بن سعيد

المناقشة بتاريخ ..../..../..... من طرف اللجنة المكونة من:

مصطفى مغزاوي	أستاذ التعليم العالي	حسيبة بن بوعلي-الشلف	رئيسًا
بغداد غربي	أستاذ محاضر أ	حسيبة بن بوعلي-الشلف	مقررًا
صلاح الدين وانس	أستاذ محاضر أ	غرداية	ممتحنًا
قاسمي بختاوي	أستاذ محاضر أ	جيلالي اليابس سيدي بلعباس	ممتحنًا
نعيمة بوكرديمي	أستاذ محاضر أ	حسيبة بن بوعلي-الشلف	ممتحنًا
فاطمة الزهراء مالكي	أستاذ محاضر أ	حسيبة بن بوعلي-الشلف	ممتحنًا

الموسم الجامعي

1443-1444هـ/2021-2022م

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

سورة الحجرات: 12

شكر وعرفان

الحمد لله الّذي بفضله تتمّ الصّالحات، الحمد لله على ما مدّني من صبر وقوّة جعلتني أذلّل عديد الصّعوبات ووفّقني أن أتمّ هذه الأطروحة

ولأنّ من لم يشكر الناس لا يشكر الله، فالفضل كلّ الفضل بعد الله لأستاذي المشرف على هذا البحث الدكتور بغداد غربي لقبوله الإشراف عليه أوّلا، وعلى ما تعلّمته منه من صبر ورحابة صدر ورعاية أحاطني بها فضلًا عمّا جاد به من إرشادات وتوجيهات علميّة أغنت العمل وأخرجته بالحلّة التي عليها.

ولا يسعني وأنا في هذه السّانحة سوى شكر كلّ من ساهم أيضًا في هذا العمل من قريب أو بعيد وأخصّ بالذّكر الدّكتور مغزاوي مصطفى والدّكتور وانس والدّكتور بختاوي والدّكتورة بوكرديمي والدّكتورة تازي والدّكتور خالد علال كبير والدّكتور بوعقادة والبقيّة، كما لا يفوتني أن أتقدم بأسمى عبارات الشّكر والعرفان للسّادة الدّكاترة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل وتصويبه وعلى تكبّدهم المشقّة في قراءته وتصحيحه رغم انشغالاتهم وارتباطاتهم الكثيرة، فلهم منّي جزيل الشّكر والاحترام.

إهــداء

إلى روح والدي الطّاهرة الّتي شاء خالقها ملاقاته قبل أن أتمّ هذا العمل تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه

إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي ونور دربي ...والدتي حفظها الله

إلى زوجتي ورفيقة دربي الّتي كانت لي سندًا، وإلى قرّة عيني أبنائي أنس ومحمد وإلى إخوتي وأخواتي

إلى كلّ من علّمني حرفًا وأخصّ بهم أساتذتي في طور الماستر والدكتورة حفظهم الله جميعا

إلى جميع الأهل والأقارب والأصدقاء والزّملاء وكلّ من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل

إليهم جميعًا أهدي هذا العمل المتواضع راجيًا من المولى عزّ وجلّ أن يجعله في ميزان حسناتي وصدقة جارية أنتفع بها.

قائمة المختصرات

الرمز	الكلمة
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	الجزء
د.س	دون سنة
د .ط	دون طبعة
ص	الصفحة
ط	الطبعة
م	ميلادي
هـ	الهجري
(.....)	كلام مبتور
/	اشارة بين التاريخين الميلادي والهجري وتفصل بين الصفحات
"....."	كلام مقتبس
مج	مجلد

مقدمة

إنّ ما درج عليه الباحثون في مجال التّاريخ الخوض في جوانب متباينة. كالتّاريخ السّياسيّ الذي كان له الحظّ الأوفر من هذه البحوث والدّراسات على مختلف فترات التّاريخ الإسلاميّ،ثم التفتت ثلّة منهم إلى الجوانب المغمورة من هذا التاريخ فوجّهوا وجوههم شطر التاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ دراسةً وبحثًا وتحليلًا. وكانت التفاتةً طيّبةً مهمّة أزاحت النّظرة التقليديّة المتمحورة في مجال التاريخ السياسيّ للبحث وكشف اللّثام عن الكثير من الجوانب الّتي لم تتوفّر عليها كتب التاريخ السّياسيّ وكانت مبعثرة في أصناف المصادر الأخرى ودراسة ما يمكن أن يكون لبنة جديدة في مجال البحث بالمزاوجة بين هذه الجوانب بعضها ببعض ومعرفة مدى التأثير والتأثّر بينها. كالعلاقة بين الاقتصاد والسياسة أو علم الاجتماع والسياسة وهكذا.

ومن هذا المنطلق، كان هذا الموضوع الذي يحاول المزاوجة بين علم الاجتماع والسياسة من خلال دراسة القبيلة كنواة في الحياة الاجتماعيّة ومدى تأثيرها وتأثّرها في المجالات السّياسيّة والفكريّة في بلاد المغرب الإسلاميّ.

إنّ القبيلة بوصفها محور الفعل التّاريخيّ تمكّن من صنع التاريخ بكلّ الزلّات والانجازات والّتي من أهمّها لعب القبيلة لدور الدّاعم لها تارة ولعب دور القطيعة معها تارة أخرى ويطرح هذا الإشكال صعوبة بالغة عندما يدرس في إطار العصبيّات القبليّة البربريّة باختلاف نحلها. وبما أنّ كلّ النّحل نابعة من الدّين بغضّ النّظر عن النّحلة الناجيّة منها، فإنّ المنظومة الفقهيّة حاولت دائما أن تبني مجتمعًا تكون فيه اليد العليا الموجّهة والمؤطّرة له، غير أنّ تدخّل النظام القبليّ بما يحمله من عصبيّة وعرف وطباع من جهة، وتراكم المحن والأزمات المرتبطة بما كان يحدث في الخلافة الإسلاميّة بالمشرق جعل من القبيلة محور التغيير المذهبيّ بما يلائم طموحاتها ورغباتها، وإن كنّا لا ننكر ذلك الولاء للدّين في عديد المحطّات بالنّسبة للقبائل البربريّة.

وفي هذا الإطار جاءت هذه الأطروحة الموسومة بدور القبيلة في التغيّرات المذهبيّة ببلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط من القرن 2هـ إلى القرن 6هـ وأخذنا النّحلة الخارجيّة والشيعيّة والسنيّة أنموذجا عنها.

وقد انحسرت فترة دراستنا ما بين القرنين الثّاني والسادس الهجريين، وهي الفترة الّتي أعقبت فترة الفتح الإسلاميّ، ثم بدأت فترة ظهور الثّورات على ولاة بني أميّة وبني العبّاس، ممّاعجّل بانتشار المذاهب الإسلاميّة في شتّى بقاع المغرب الإسلاميّ، وكان لمذهب الخوارج والشيعة والسنّة السّهم الأكبر في التوطّن ببلاد المغرب؛ بل أصبحت عنوانا لعصبيّات دينيّة تعرف الغلب بالعصبيات القبيلة البربريّة. ومن هنا كان هذا الموضوع الذي يبحث ماهية القبيلة ومواطنها وأنسابها ببلاد المغرب الإسلاميّ وصولا إلى الدّور الذي لعبته هذه القبائل في التغيّرات المذهبيّة إيجابًا أو سلبًا من خلال معرفة القبائل الموالية والمناوئة لكلّ مذهب من المذاهب الّتي انتشرت ببلاد المغرب مع تركيزنا على المذاهب الرّئيسيّة الّتي انتشرت في هذه الفترة وهي –الخوارج –الشيعة –السنّة.

إنّ الحديث عن الخارطة القبليّة لبلاد المغرب الإسلاميّ ومدى تأثيرها في التغيّرات الفكريّة والسّياسيّة يكتسي أهمية بالغة باعتباره نموذجا جديدا في المزاوجة بين عوامل التاريخ المختلفة السّياسيّة والإجتماعيّة والفكريّة ودراسة مدى التأثير والتأثّر بينها، ويعدُّ خروجا من نمط الدّراسات الكلاسيكيّة المنحصرة في الجوانب السّياسيّة أو الإجتماعية البحتة، كما أنّه يكشف عن واقع الحياة القبليّة في بلاد المغرب وتنظيماتها وعلاقتها بالتغيّرات المذهبيّة والنّحل المتعاقبة على بلاد المغرب وتأثيرها في المجال الفكريّ والسياسيّ، وهذا كلّه تحت دافع الرّغبة الملحّة والجامحة للخوض في مجال القبيلة البربرية. فضلا على أن هذا الموضوع يتميز بطابع التحدّي الجديد والخصب لاسيما أنه يكاد يختصر تاريخ المغرب الإسلاميّ كلّه خلال العصر الوسيط بالتطرّق إلى القبيلة والمذهب في وقت واحد.

وممّا لاريب فيه أنّ هذا الموضوع يبرز نسب القبائل الأمازيغيّة، ثم يثبّت دور هذه القبائل في نصرة المذاهب الإسلاميّة وأفولها واصفا سلوكيّاتها في خضمّ الأحداث الهامّة الّتي مرّت على بلاد المغرب الإسلاميّ.

كما أن موضوع دراستنا يبرز تلك السّمة التي اصطبغ بها البربر والمتمثّلة في حبّهم للتغيير وهو ما نستشفه من كثرة الثّورات القبليّة البينيّة وبينها وبين الخلافة في المشرق تارة أخرى ومعرفة مدى ارتباط هذا بتلك التغيّرات المذهبيّة الّتي طرأت على بلاد المغرب.

وتتويجا لما سبق ذكره عن موضوع الدراسة وما يطرحه من إشكالات عديدة باعتباره موضوعا له تاثير عميق عن الناحية الإجتماعية والدّينيّة والدّيمغرافيّة للسّاكنة ببلاد المغرب الإسلاميّ. سيتمّ التركيز في هذه الدراسة على التعريف بماهية القبيلة وتشكيلاتها وتنظيماتها وأنسابها ومواطنها، وصولا الى إماطة اللّثام عن الأدوار الّتي لعبتها هذه القبائل في احتضان أو معارضة المذاهب الإسلاميّة الّتي انتشرت ببلاد المغرب الإسلاميّ خلال فترة الدّراسة لنتوصّل إلى علاقة العصبيّة القبليّة بالعصبيّة الدّينيّة وما أفرزته من آثار حين تتحالف أو تفترق مع إبراز مدى انتشار المذاهب في كلّ مرحلة من مراحل تعايش العصبيتين الدينية والقبلية وحين افتراقها أيضا.

كما أن دراسة موضوع القبيلة جاء على نطاق ضيّق جدًا خلال الفترة الوسيطة عكس موضوع المذاهب الذي نال قسطا وافرا من الكتابات. الّتي اقتصرت على ذكر قبيلة معيّنة دون التطرّق إلى النسيج القبليّ ككل، وتأثيراته على أغلب مجالات الحياة ككلّ، وعلى النشاطات المذهبيّة بالأخصّ. وممّا زاد في صعوبة العمل هو قلّة –ان لم نقل انعدام– الدراسات المتخصّصة بدور القبيلة في التغيّرات المذهبيّة وماوجد لم يكن إلا بشكل شذرات متناثرة ويخص قبيلة أو قبيلتين وبشكل معزول .وربما يرجع هذا لكون أن قضايا القبيلة ببلاد المغرب مازالت قائمة ولم تحسم بعد .فلا نكاد نقف على دراسة متخصصة مستقلة حول دور

القبيلة في إحداث التغيرات المذهبية ومدى تأثير وتأثر النسيج القبلي بكل التقلبات المذهبية ببلاد المغرب الإسلامي خلال فترة دراستنا، باستثناء بعض الدراسات الحديثة التي تخص قبيلة بمفردها وموقفها من مذهب من المذاهب مثل دراسة محمد بن عميرة في كتابه دور زناتة في الحركة المذهبية .ودراسة مفتاح خلفات في كتابه قبيلة زواوة في المغرب الأوسط، ودراسة لقبال في كتابيه دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية وكتابه المغرب الإسلامي، ودراسة بوزيان الدراجي في كتابه القبائل الامازيغية، ودراسة احمد العزاوي في كتابه مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي، ودراسة الهادي روجي ادريس في كتابه الدولة الصنهاجية وغيرها، لكنها لا تخلوا من كونها كتب اهتمت بذكر مواطن هذه القبائل وذكر شخصياتها وأعلامها او أدوارها على نطاق ضيق لمذهب محدد أو موقف سياسي لها ولم تتطرق لمواقف القبائل من المتغيرات المذهبية بصيغة تحليلية عميقة عدا بعض الشذرات المتناثرة التي تكلمت عنها عرضا في بطون أمهات كتب التاريخ العام كالعبر لابن خلدون، والكامل لابن الاثير وغيرهم ومن هذا المنظور آثرنا الحفر في هذا الموضوع وإماطة اللثام عنه لما يكتسيه من أهمية في مسار تاريخ بلاد المغرب الإسلامي ككل سواءا المذهبي او في شقه القبلي، ولانه لاتخلو أي دراسة من إشكالية كونها هي محرك البحث وعلى ضوئها يقوم الباحث بمعالجة الموضوع بالشكل الأمثل فقد طفت على جوانب الموضوع الإشكالية الام وهي

-ماهي أدوار القبيلة في التغيرات المذهبية ببلاد المغرب الإسلامي بشقيها الرافض والمساند لها ؟

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية الرئيسية عدة اسئلة فرعية مثل

-ماهي ماهية القبيلة في بلاد المغرب؟، وماهي أهم تنظيماتها وانسابها ومواطنها ؟

-ماهي أهم المذاهب التي عرفت طريقها الى بلاد المغرب خلال العصر الوسيط ؟

-مامدى تأثير وتأثر القبيلة في المذاهب المنتشرة في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط ككل وتحديدا بين القرنين الثاني والسادس الجريين؟

وللإلمام بالإجابة عن عن إشكالية الموضوع المطروح للدراسة ومايحمله من تساؤلات عديدة .سيتم التركيز في هذه الدراسة على التعريف بالقبيلة بصفتها محورا لهذا الموضوع مع إبراز التنظيمات القبلية وتركيباتها وعصبياتها المشكلة للأحلاف القبلية ثم إبراز أدوار هذه القبائل في مشايعة المذاهب التي حلت ببلاد المغرب الإسلامي خلال فترة الدراسة

وانطلاقا من ذلك قسمنا هذه الدراسة وفق خطة منهجية اشتملت على أربعة فصول وخاتمة ضمناها النتائج المتوصل اليها .وذيلنا الدراسة بمجموعة من الملاحق .

وتم استهلال الدراسة بفصل موسوم بمفاهيم عامّة حول القبيلة وذلك لمعرفة أهم المصطلحات اللغوية والإصطلاحية المتعلقة بالقبيلة في إطارها العام بتعدد ألفاظها ومعانيها ودافعنا في هذا السيطرة على الموضوع في جانبه المفاهيمي وفق المنهجية المسطرة لكسب الليونة المطلوبة للولوج الى الموضوع دون تعقيدات المفاهيم، فضلا على اننا ابرزنا أهم أراء المؤرخين في معنى القبيلة دون إهمال لذكر التركيبة القبلية لبلاد المغرب الإسلامي وصولا إلى ذكر نظمها وخصائصها ثم تطرقنا لذكر انساب ومواطن كل القبائل البربريةبعد جردها وتبويبها ثم ذكر ادوارها داخل تلك التحالفات القبلية التي تأسست ببلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي

أما الفصل الثاني والموسوم بعنوان القبيلة والمذهب الخارجي في بلاد المغرب، فقد تناولنا في بدايته مفهوم المذهب لغة واصطلاحا ثم التركيز بالدراسة على فرقة الخوارج بشقيها الإباضي والصفري ودوافع إنتشار هذا المذهب ببلاد المغرب الإسلامي ثم أعقبنا ذلك الجرد للقبائل المشكلة لعصبة المذهب الخارجي وكذاجرد القبائل المشكلة للدويلات الخارجية مع التركيز على دور هذه القبائل في كل مرحلة في نصرة المذهب .

أماالفصل الثالث فخصصناه للتكلم عن النحلة الثانية التي انتشرت ببلاد المغرب بعد الخوارج وهي النحلة الشيعية فكان تحت عنوان القبيلة والمذهب الشيعي في بلاد المغرب الإسلامي.

حيث تطرقنا في البداية إلى التعريف بهذه النحلة لغة واصطلاحا .فضلا عن ذكر أهم مبادئ الفرقتين اللتين عرفتا إنتشارا ببلاد المغرب الإسلامي وهما فرقتا الإسماعلية والزيدية مع الحديث على مسألة نشاة المذهب وانتشاره في المنطقة.

أما الجزء الثاني وهو الأهم في هذا الفصل تناولنا بالدراسة القبائل المساندة والقبائل الرافضة لهذا المذهب حسب استقراء المصادر التاريخية الشيعية والسنية على حد سواء .وسعينا جاهدين إلى إبراز دور القبائل البربرية أو العناصر الأخرى وعلاقتها بهذا المذهب وموقفها منه بعد إختفاء سلطته السّياسيّة من البلاد

أما الفصل الرابع فقد خصصناه للتكلم عن مبدأ ومنتهى المذهب الغالب ببلاد المغرب والقصد هنا المذهب السني .وقد بدأنا الفصل بتعريف مذهب أهل السنّة والجماعة لاسيما المذهبين المالكي والحنفي كونهما عرفا إنتشار معتبرا ببلاد المغرب أما الجزء الثاني لهذا الفصل فقد خصصناه لجرد القبائل البربرية والعربية مع ذكر أدوارهما في نشر مذهب أهل السنّة والجماعة وإجتهدت على أن أضع خلاصة لكل فصل من الفصول تتوج ماجاء في الفصول من نتائج واستنتاجات

وتم تتويج هذه الدراسة بخاتمة كانت عبارة عن زبدة وعصارة ماانتهى إليه البحث من خلال تحليل أدوار القبائل في التغيرات المذهبية ببلاد المغرب واستنتاجات التي تمخضت عنها هذه الدراسة مع ذكر مايمكن أن يكون نواة لبحوث مستقبلية

وبناءا على ذلك تمت دراسة الموضوع وفق منهج علمي قائم على استقراء المادة المصدرية وتحليلها لأننا أمام ندرة المادة الخبرية التي اهتمت بدور القبيلة في التغيرات

المذهبية .فضلا عن توظيف القياس أو الإسقاط في الكثير من الأحيان عندما يتعلق الأمر بوجود دور القبيلة على بطونها المترامية الأطراف كون أن العصبية هي العنصر الغالب على القبيلة حتى وإن تعلق الأمر بالدين وكان المنهج الإستقرائي ثم الوصفي والتحليلي أهم أداة لتجاوز النقص الحاصل في بعض الجوانب

والمتتبع للمصادر التي إعتمدنا عليها في دراستنا هذه يدرك انها متنوعة تعكس تنوع وثراء الموضوع كون أن كل فصل يعالج دور القبيلة في مذهب يختلف عن الذي سبقه، لذلك نجد المصادر ذات الطابع التاريخي والإجتماعي، والتي استفدنا منها أيضا في كل ماهو متعلق بالتركيبة القبلية لبلاد المغرب .وجاءت المصادر العامّة والتي رافقتنا بشذرات كانت نبراسا لنا طوال فترة الدراسة

ورغم أنني لا أريد الخوض في الصعوبات والمشاق التي واجهتني طيلة إنجاز هذه الدراسة لأن ذلك من عزم الأمور لكن يبقى في النهاية أنه لا يوجد أي عمل يخلو من العراقيل والصعوبات ومنها

-شح المصادر التي تتناول القبائل البربرية من خلال دورها في التغيرات المذهبية وذكر أنساب القبائل ومواطنها

-ظهور بعض الصعوبات المنهجية لعل أبرزها إشكالية المصطلحات لبعض القبائل والبطون مثل تسمية قبيلة زناتة وماحمل الإسم من تأويل لغوي، وربما هذا كان بسبب أن تاريخ القبائل البربرية كتب في الغالب بأقلام مؤلفين مشارقة أو أوربيين وكونهم ليس من نفس بئة المغاربة كان نطق المصطلحات غير مضبوط

-ظهور إشكالية تصنيف بعض القبائل بخصوص النحلة التي كانت عليها مما جعلنا نستهلك وقت كبير واستنفاذ لوقت طويل في ظل إختلاف الآراء بين المؤرخين مثل مسألة الدولة الإدريسية التي كانت عصبتها قبيلة أوربة التي يختلف فيها المؤرخون بين مالكيتها أو تشيعها والأمر نفسه بالنسبة لقبيلتي مصمودة و كومية خلال العهد الموحدي والتي

يختلف فيها المؤرخون بين مالكيتها وتشيعها، مما أدى بنا إلى البحث بجرد الآراء حول هذه المسائل ثم ترجيح رأي حسب ماتوفر لنا من مصادر.

-غياب المادة الخبرية التي تتحدث تحديدا عن أدوار القبائل البربرية بالدولة الرستمية بشكل مباشر بسبب ضياع الكثير من الكتب الإباضية في حادثة سقوط تيهرت بيد أبي عبد الله الشيعي وإحراق مكتبة المعصومة

-التداخل الكبير الحاصل بين أدوار بعض القبائل البربرية وتقلباتها شكل لنا صعوبة بالغة في توظيفها ومثال ذالك أن قبيلة صنهاجة خدمت النحلة الشيعية ثم تقلبت أحوالها فوجدت نفسها في خدمة المذهب السني وبين النحلتين وجدنا صعوبة في ضبط أدوارها وأدوار بطونها.

-نقص المادة المصدرية المتخصصة التي تتناول حيثيات موضوعنا ببلاد المغرب الإسلامي جعل الأمر صعب من حيث التطرق لجوانب كثيرة في موضوع الدراسة، ناهيك عن إتساع وتشعب عناصر الموضوع، فضلا على أن المدة التي تحدد مجال دراستنا في إطارها الزمني طويلة تزيد عن أربعة قرون كاملة لذا كان علي أن أدرس كل النشاطات القبلية ذات الصبغة المذهبية بعناية كبيرة، وهذا عمل يحتاج إلى مثابرة وصبر كبير مماجعلنا نتكبد الصعوبات الكبيرة في الإجابة على العديد من المسائل التي طرحت نفسها حيث أن كل إشكال هو موضوع مستقل بحد ذاته مثل مسألة العقيدة التومرتية ومسألة نحلة قبائل بنو هلال وغيرها.

-وجدنا أن العديد من الدراسات التي اردنا الإعتماد عليها تفتقد للموضوعية وتعالج المواضيع من زاوية ذاتية يغلب عليها العصبية الدينية أو العصبية القبلية مما يصعب عملية استغلالها بالشكل المطلوب.

-كان لإتساع المجال المخصص لهذه الدراسة ببنية قبلية في فضاء جغرافي مترامي الأطراف بالمغرب الإسلامي الذي صار مضمار لأدوار القبائل في نشاطها المذهبي طيلة

فترة أربعة قرون من الزمن لم يعرف فيها غلبة لمذهب معين .وكان بروز أو افول أي مذهب مرتبطا أساسا بقوة قبيلة عصبيتها أو ضعفها، فضلا عن كون الموضوع دقيق ومتشعب في طبيعة طرحه، فتناول الجانب السياسي والاجتماعي وحتى الاقتصادي للقبيلة وربطها بمدى تأاثير ذلك سلبا أو إيجابا على التغيرات المذهبية ببلاد المغرب الإسلامي هذا ماأوجد لنا صعوبة في التحكم والإلمام بكل حيثيات البحث.

والمتتبع للمصادر التي إعتمدنا عليها في دراستنا هذه يدرك أنها متنوعة تعكس تنوع وثراء الموضوع كون أن كل فصل يعالج دور القبيلة في مذهب يختلف عن الذي سبقه، لذلك نجد المصادر ذات الطابع التاريخ الإجتماعي قد إستفدنا منها في كل ماهو متعلق بالتركيبة القبلية لبلاد المغرب، أما المصادر العامّة فقد رافقتنا بشذرات كانت نبراسا لنا طوال فترة الدراسة وغيرها من المصادر التي استفدنا منها ويمكن ذكر بعضا منها.

-نقد المصادر

أ-كتب التاريخ العام

1- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لمؤلفه عبد الرحمان ابن خلدون (808هـ/1406م)، وهو كتاب يتضمن جانبا كبيرا من ذكر تاريخ البشرية ككل والعنصر البربري بالاخص لذا فإن مضمون الكتاب يطغى عليه الجانب السياسي والعسكري وحتى الإجتماعي لذلك فإنه يعتبر المصدر الرئيسي في هذه الدراسة إذ أنه يحتوي على العديد من عناصر بحثي بداية من ذكر بلاد المغرب وذكر القبائل التي قطنتها وذكر مواطنها وأنسابها والتاريخ للدول التي قامت على أرضها وكان ذلك بالخصوص في الجزء الرابع والجزء السادس .هذا الأخير الذي أفادنا كثيرا في جمع المادة العلمية ولازمنا طيلة فترة البحث

2-الكامل في التاريخ .لصاحبه ابن الأثير عز الدين (ت630هـ/1234م)وهو موسوعة تاريخية مستفيضة بذكر الكثير من أحداث بلاد المغرب الإسلامي لاسيما في التاريخ للعبيديين وقد اعتمدنا بشكل أكبر على أجزائه السابع والثامن والتاسع لما لهم صلة بالمادة الخبرية لدراستي، واهم مايميز منهج ابن الأثير إتباعه المنهج الحولي في ذكره للأحداث مما يدفع في كل مرة إلى تقطيع المادة الخبرية فيحدث اللبس على المتلقي ويصعب عليه الفهم مما فرض علينا التعامل بكثير من الحذر بما جاء في أجزاء كتابه.

-3الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لمؤلفه ابن أبي الزرع الفاسي (ت726هـ/1328م)وقد ساهم هذا المصدر في دراستنا بقسط وافر خاصة خلال فترة المرابطين والموحدين، لاسيما أن المؤلف يعتبر من الجيل الذي ورث الدولة الموحدية وتحديدا معايشته لفترة بني مرين وهي فترة ليست بالبعيدة عن فترة دراستنا.

4-البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، لمؤلفه ابن عذاري المراكشي (712هـ/1031م) ورغم أن مؤلفه يعتبر من جيل المؤرخين المتأخرين إلا أن مصنفه قد حفل بالكثير من الأخبار لاسيما أنه مغربي لذلك فإن هذا المصدر يعتبر مهم جدا في دراستنا كونه اهتم بأحداث المغرب الإسلامي في أربعة أجزاء منه، ولا يكاد يستطيع أي باحث في هذا المجال أن يستغني عنه وقد أفادني كثيرا في التكلم عن دور القبيلة في المذهب الخارجي ككل خاصة في جزءه الأول وهذا لما يحويه من وفرة المادة التاريخية عن الدولة العبيدية وعلاقتها بالقبائل البربرية وكذا عن ثورات الخوارج، فضلا عن مايؤرخه للدولة الزيرية وعلاقتها مع العبيديين، كما مكننا جزءه الرابع من تغطية جوانب مهمة من فترة المرابطين والموحدين بشكل خاص، وكل مايعاب عليه حسب تقديرنا المتواضع، نقمته المفرطة على العبيديين وهذا مايخرجه من دائرة الموضوعية في البحث والإبتعاد عن الذاتية،لكن وبشكل عام فإن المصدر شكل لنا منجما ثريا بعديد الإشارات والإفادات كانت لنا عونا في بحثنا خاصة في جانبه السياسي للنشاط القبلي.

5-كتاب سير الائمة واخبارهم لمؤلفه إبن الصغير المالكي (ت290هـ/903م) .يعتبر هذا الكتاب وثيقة مهمة كون صاحبه عايش جزء كبير من أحداثه، فكان شديد الصلة بكل الأحداث والشخصيات التي كتب عنها، كما كان في نفس الوقت من غير المنتمين إلى المذهب الإباضي السائد بها، فعايش الأحداث بعين المعايش لها والمراقب الخارجي لأحوالها في أن واحد لذا فإن هذا المصدر يعتبر من أقدم المصادر وأوثقها وتبرز قيمته أكثر حين نعرف أن مؤلف الكتاب هو على النحلة السنية ونقل الأحداث بكل صدق وموضوعية لذلك إعتبرته الأساس في الحكم على الكثير من الأخبار التي أوردتها المصادر الأخرى

6-كتاب نظم الجمان في اخبار الزمان .لمؤلفه أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي المدعو ابن القطان (628هـ/1231م).فقد استفدت منه في الحديث عن القبائل الداعمة للمرابطين وتفاصيل دقيقة عن الموحدين لاسيما بحديثه باسهاب عن ظهور ابن تومرت وصراع العصبيتين المرابطية والموحدية.

7-أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين .لصاحبه أبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيدق (ت594هـ/1159م) والذي عرف عليه مرافقته للمهدي ابن تومرت في رحلته إلى المشرق ومن هنا تبرز أهمية هذا المصدر حيث استفدت منه في الحديث عن ظهور النحلة التي تبنتها قبيلة مصمودة ومن بعدها قبيلة كومية ورغم أنه ذكر الأحداث بذاتية واضحة وهذا أمر طبيعي كون أن المؤلف يعتبر من دعاة المهداوية لإبن تومرت إلا أنه أفادنا في ذكر تفاصيل دقيقة عن مسيرة المهدي وعلاقاته بالقبائل البربرية ومشائخها.

8-كتاب عيون الأخبار في جزءه الخامس تحت عنوان تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، لصاحبه ادريس عماد الدين القرشي (872هـ/1488م)، والذي أورد فيه الأحداث التي صاحبت قيام الدولة العبيدية وأرخ للخلفاء الأربع الذين حكموا بلاد المغرب قبل خروجهم

إلى مصر موضحا في الكثير من الأحيان علاقتهم بالقبائل البربرية خاصة قبيلتي كتامة وصنهاجة.

9-إفتتاح الدعوة، لمؤلفه أبي حنيفة محمد بن حيون (363هـ/973م)وقد استعنا به كثيرا في سيرة الدعوة الإسماعيلية في بداياتها بالخصوص ومدى تجاوب القبائل البربرية لإحتضان هذه الدعوة وسرد هذا في إطار زمني واسع، منذ أن بدأت الدعوة باليمن إلى غاية إنتقالها إلى مصر.

10-إتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، لصاحبه أبو العباس المقريزي المشرقي الأصل، والذي يعتبر كتابه من أهم مصادر التاريخ للدولة العبيدية رغم مذهبه السني فهو يتناول ذكر لائمتها وحكمهم وحروبهم وسياستهم بموضوعية عالية قلما نجدها عند المؤرخين السنّيين.

ب-كتب الادب.

-1-نهاية الأرب في فنون الأدب، لصاحبه المشرقي أحمد بن عبد الوهاب المشهور بالنويري (ت732هـ/1332م)، ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب خلال القرن الثامن الهجري وكان في شكل ثلاثين مجلدا وهو حسب ماجاء على لسانه يعتمد على رواية ابن شداد الصنهاجي الذي عرف بليونة أسلوبه اتجاه قبيلة بنو زيري، وقد استندنا في الكثير من المرات على الجزئين الثاني وعشرون والرابع وعشرون بسهم وافر كون أن هذين الجزأين يتناولان تاريخ بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نشوء الدولة المرينية بما تحمله هذه الحقبة من أدوار عديدة للقبائل البربرية في التغيرات المذهبية التي مرت على بلاد المغرب فترة الدراسة.

ج/- مصادر الانساب

1-كتاب الأنساب لمؤلفه ابي سعدعبد الكريم المزوري المعروف بالسمعاني (ت562هـ/1167م)، استفدت من هذا الكتاب كثيرا في تصحيح نطق بعض أسماء القبائل التي مسها الخلط في النطق والمضارب.

2-كتاب جمهرة أنساب العرب لمؤلفه إبن حزم الاندلسي، ذكر فيه طرف من نسب البربر وذكرا لبعض قبائلهم وبالرغم من أنه لم يسهب في ذلك إلا انه جاد بمعلومات قيمة ثمنت كتابه وجعلته يذكر بحسن الكلام من قبل ابن خلدون.

د/كتب الرحلات والجغرافيا

تعتبر كتب الرحلات والجغرافيا من أهم المصنفاة التي لايفرط فيها المؤرخون ككل، وقد افادتنا في جزئيات وإن كانت قليلة إلا أنها مؤثرة على الإطار العام في الدراسة كون أن هذه الكتب تكلمت عن القبيلة والمذهب في إطار عام وبطريقة عرضية إلا أنها تخدم الموضوع.

1-الروض المعطار لصاحبه الحميري وكتاب نزهة المشتاق لصاحبه الادريسي .وقد أفادنا الكتابين في ذكر الأماكن وتبيين حدود البلدان والدول ومضارب القبائل.

2-المسالك والممالك لصاحبه أبو عبيدة البكري (ت487هـ/1094م)والذي رافقنا طيلة دراستنا هذه واستفدنا بكل ماأورده من مادة خبرية هامة عن القبائل البربرية من فترة الفتح الإسلامي إلى مابعد دخول المذاهب الخارجية والشيعية لبلاد المغرب.

3-صورة الأرض،لصاحبه إبن حوقل الذي عاش خلال القرن الرابع هجري، وأفادنا هذا المصدر في ضبط المجالات والحدود الإقليمية للقبائل البربرية كما زودنا بوصف دقيق لعديد المضارب.

4- وصف افريقيا لصاحبه الحسن الوزان (ت957هـ/1559م)، والذي زودنا بوصف لكل المدن الواقعة بإفريقيا كما زودنا بمادة غزيرة حول ذكر تفاصيل النمط المعيشي للسكان من خواص وعوام.

هـ/ كتب السير والتراجم

رغم أن هذا النوع من المصادر عرف بالترجمة أوالتأريخ لعلماء أهل السنّة في الغالب إلا أنها تعرضت إلى ذكر أيضا زعماء المذاهب الإسلامية الأخرى التي عرفت بها بلاد المغرب في القرون الأولى الهجرية، لذا فهي تمدنا بأسماء أعلام المالكية ونسبهم العربي وعصبيتهم القبلية واستقرار القبائل التي ينتمون اليها في حالة وجودها.

1-سير أعلام النبلاء لصاحبه الذهبي(ت748هـ).وقد افادنا هذا الكتاب كثيرا في التهميش للأعلام والقادة والعلماء وذكر تواريخ ولادتهم وولايتهم ووفاتهم.

2-كتاب السيرة في أخبار الائمة، لصاحبه ابي زكريا يحي بن ابي بكر (ت471هـ/1178م)والذي احتوى مادة خبرية دسمة حول الحركات المناوئة للرستميين والعبيديين على السواء، وتمكنا بواسطته من التعرف على دور القبائل العربية في حركة الخوارج الإباضية وكيفية إنتقال المذهب الخارجي إلى بلاد المغرب.

3-طبقات المشايخ للدرجيني (670هـ/1271)،وهو كتاب تراجم لكن يحتوي في ثناياه أحداث تاريخية هامة كتولي ابن رستم قيادة الدولة الرستمية، وقد افادنا هذا المصدر أيضا في التعريف ببعض الشخصيات الإباضية ودورها في القبائل المشكلة لعصبة الدولة الرستمية كما افادنا أيضا في تتبع مسار الخوارج بشكل عام في بلاد المغرب ونشأة النحلة النكارية وتحالفها مع المالكية ضد الشيعة العبيديين.

و/ كتب المعاجم

استعنت بهذه المؤلفات من أجل ضبط وشرح بعض المصطلحات الغامضة ومن بين هذه المصادر:

1-لسان العرب لصاحبه ابن منظور والذي افادني في التعريف ببعض المصطلحات وضبطها لغويا ضبطا صحيحا وهناك مصادر أخرى لايتسع المجال لذكرها

ي/ كتب الفرق والمذاهب

1-الملل والنحل لصاحبه الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت54هـ) وقد رافقنا طوال دراستنا واستندنا عليه في الكثير من التعريفات الخاصة بالمذاهب لاسيما المذهب الشيعي

وإلى جانب تلك المصادر الهامة التي كانت لي سندا في الدراسة فإني استعنت أيضا ببعض المراجع والدراسات التي فكت لي عقبات كثيرة خاصة في الفصل الأول ومن بين تلك المراجع يمكن أن أذكر

1-بوزياني الدراجي من خلال كتابه القبائل الامازيغية ج1 وج2.

2-احمد عزاوي من خلال كتابه المختصر في تاريخ الغرب الإسلامي ج1 و ج2.

3-مبارك محمد الميلي من خلال كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث بأجزائه الثلاث.

4-بوركبة محمد من خلال كتابه الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية.

5-سلمى محمود اسماعيل من خلال كتابه الصراع الإثني والمذهبي في المغرب الاقصى.

6-محمود اسماعيل من خلال كتابه الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري.

7-عبد الرحمان بن محمد الجيلالي من خلال كتابه تاريخ الجزائر العام في الجزأين الأول والثاني.

ورغم أننا لا نريد الخوض في الصعوبات والمشاق التي واجهتنا طيلة إنجاز هذه الدراسة لأن ذلك من عزم الأمور لكن يبقى في النهاية أنه لا يوجد أي عمل يخلو من العراقيل والصعوبات ومنها.

-شح المصادر التي تتناول القبائل البربرية من خلال دورها في التغيرات المذهبية وذكر أنساب القبائل ومواطنها.

-ظهور بعض الإشكالات المنهجية لعل أبرزها إشكالية المصطلحات لبعض القبائل والبطون مثل تسمية قبيلة زناتة وماحمل الإسم من تأويل لغوي، وربما هذا كان بسبب أن تاريخ القبائل البربرية كتب في الغالب بأقلام مؤلفين مشارقة أو أوربيين وكونهم ليس من نفس بئة المغاربة كان نطق المصطلحات غير مضبوط.

-ظهور إشكالية تصنيف بعض القبائل بخصوص النحلة التي كانت عليها مما جعلنا نستهلك وقت كبير ونستنفذ وقت طويل في ظل اختلاف الآراء بين المؤرخين مثل مسألة الدولة الإدريسية التي كانت عصبتها قبيلة أورية التي يختلف فيها المؤرخون بين مالكيتها أو تشيعها والأمر نفسه بالنسبة لقبيلتي مصمودة وكومية خلال العهد الموحدي والتي يختلف فيها المؤرخون بين مالكيتها وتشيعها، مما أدى بنا إلى البحث بجرد الآراء حول هذه المسائل ثم ترجيح رأي حسب ماتوفر لنا من مصادر.

-غياب المادة الخبرية التي تتحدث تحديدا عن أدوار القبائل البربرية بالدولة الرستمية بشكل مباشر بسبب ضياع الكثير من الكتب الإباضية في حادثة سقوط تيهرت بيد أبي عبد الله الشيعي وإحراق مكتبة المعصومة

-التداخل الكبير الحاصل بين أدوار بعض القبائل البربرية وتقلباتها شكل لنا صعوبة بالغة في توظيفها ومثال ذلك أن قبيلة صنهاجة خدمت النحلة الشيعية ثم تقلبت أحوالها فوجدت نفسها في خدمة المذهب السني وبين النحلتين وجدنا صعوبة في ضبط أدوارها وأدوار بطونها.

–نقص المادة المصدرية المتخصصة التي تتناول حيثيات موضوعنا ببلاد المغرب الإسلامي جعل الأمر صعب من حيث التطرق لجوانب كثيرة في موضوع الدراسة، ناهيك عن إتساع وتشعب عناصر الموضوع، فضلا على أن المدة التي تحدد مجال دراستنا في إطارها الزمني طويلة تزيد عن أربعة قرون كاملة لذا كان علي أن ادرس كل النشاطات القبلية ذات الصبغة المذهبية بعناية كبيرة .وهذا عمل يحتاج إلى مثابرة وصبر كبير مماجعلنا نتكبد الصعوبات الكبيرة في الإجابة على العديد من الإشكاليات التي طرحت نفسها حيث أن كل إشكال هو موضوع مستقل بحد ذاته مثل مسألة العقيدة التومرتية ومسألة نحلة قبائل بنو هلال وغيرها

–وجدنا أن العديد من الدراسات التي أردنا الإعتماد عليها تفتقد للموضوعية وتعالج من زاوية ذاتية يغلب عليها العصبية الدينية أو العصبية القبلية مما يصعب عملية استغلالها بالشكل المطلوب

–كان لإتساع المجال المخصّص لهذه الدراسة ببنية قبلية في فضاء جغرافي مترامي الأطراف كفضاء المغرب الإسلامي الذي صار مضمار لأدوار القبائل في نشاطها المذهبي طيلة فترة أربعة قرون من الزمن لم يعرف فيها غلبة لمذهب معين، وكان بروز أو أفول أي مذهب مرتبطا أساسا بقوة قبيلة عصبيتها أو ضعفها .فضلا عن كون الموضوع دقيق ومتشعب في طبيعة طرحه .فتناول الجانب السياسي والإجتماعي وحتى الإقتصادي للقبيلة وربطها بمدى تأثير ذلك سلبا أو إيجابا على التغيرات المذهبية ببلاد المغرب الإسلامي هذا ماأوجد لنا صعوبة في التحكم والإلمام بكل حيثيات البحث.

لتبقى عناصر موضوع دراستنا حقلا خصبا لكل الباحثين لرفع اللثام على جوانب عدة منه، ومن هنا وجب علينا ان ننبه الى أنه ماكان علينا أن نبحث في أخبار أحوال الأولين ونقف عند أخطائهم وزلاتهم إلا لنعتبر ونأخذ العبرة من أسلافنا ونسلط الضوء على تاريخنا الذي هو جزء منا، وليس الهدف من ذلك تظليم حقبة أو إتهام قبيلة لوطن نحن منه.

وقد سعينا جاهدين من أجل إعطاء صورة مشرفة لهذه الدراسة المتواضعة وقدمنا مابوسعنا للإلمام بمختلف جوانبها، ولا نجزم أن هذا العمل خال من العيوب، فجلّ من لا يخطئ، فإن أصبنا فبتوفيق من الله عز وجل وإن أخطأنا فمن نفسنا ومن الشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

مفاهيم عامّة حول القبيلة

المبحث الأول: القبيلة، أقسامها، مميزاتها

المطلب الأول: تعاريف عامّة للقبيلة

المطلب الثاني: التركيبة العرقيّة للقبيلة ببلاد المغرب

المطلب الثالث: النظام القبليّ وخصائصه

المبحث الثاني: الخارطة القبليّة لبلاد المغرب الإسلاميّ

المطلب الأول: قبائل المغرب، أنسابها ومواطنها

المطلب الثاني: الحركة القبلية بالمغرب الإسلاميّ

المطلب الثالث: علاقة القبيلة بالدّولة

المبحث الأول: القبيلة –اقسامها–مميزاتها

المطلب الأول: تعاريف عامّة للقبيلة

أولا: لمحة حول نظريات نشوء القبائل:

جاءت الدّراسات والبحوث الّتي تعنى بمعرفة المرجعيّة الّتي أوصلت التجمّعات السكّانية إلى مصاف كيانات داخل المجتمع نفسه بخصوصياته الّتي تميزه عن الكيانات الأخرى بإطلاق صفة القبيلة الفلانية، ومن هنا اهتمّ المؤرّخون وعلماء الإجتماع والأنثروبولوجيا في الخوض في مسألة النشأة الأولى للقبيلة، فهناك من ربط ظهور القبيلة بعامل الصّدفة مستنداً في رأيه هذا على حوادث الجوائح والمحن الّتي مرّت على السكان، والّتي دفعتهم الى التماسك فيما بينهم درءاً لتلك المخاطر، بل أنّهم استندوا أيضاً على ظاهرة وأد البنات للإبقاء على الذكور لأنّهم أقوياء على مواجهة المخاطر حسب نظرية عالم الإجتماع "لينان"[1]، وعند تحليلنا لهذه النظرية نجدها نظرية تقصي عبقرية البشر وتعمّم الحالات الإباحية وتؤدي حتماً إلى اختلال التوازن البشري، وبالرجوع إلى المصادر التاريخيّة الخاصّة بالأنساب لا نجد لها سندًا تاريخيًا، ويبدو أنّ ما تؤيده الوقائع التاريخيّة هو أنّ البشر تكوّنوا من أصل واحد وأنّ الأسرة هي الخليّة الإجتماعيّة الأولى وأنّ أفراد الأسرة تجمعهم رابطة النسب والقرابة، وبمرور الزمن أصبحت الأسرة تتكوّن من مجموعة أسر، فأطلق عليها اسم العشيرة ومجموع هذه العشائر سمي بالقبيلة، والجدير بالذّكر أنّ هذا الرّأي سلّمت به عديد المصادر، وينطبق مع الشّرائع السّماوية الّتي ترفع أصل البشر إلى أب وأم واحدة[2].

وبالرّجوع إلى الواقع القبليّ في المغرب، يمكن أنّ نصنّف الأدبيات الموجودة في حقل الدّراسات الخاصّة بالواقع القبليّ في بلاد المغرب إلى اتّجاهين، اتّجاه حديث ويضمّ الدّراسات الأنثربولوجية والسوسيولوجية، واتجّاه تاريخيّ محض يضمّ كل من مواقف الإخباريين والمؤرّخين، وعموماً فقد كان الاهتمام بالظاهرة القبلية كعنصر فعّال لتحديد الملامح العامّة

---

[1]–عادل الضفيدع ابن حمود الأشرم، خزائن الدلائل في معرفة أصول وتواريخ القبائل، مج1، (د ط)(د س) ص85.

[2]– عادل الضفيدع، نفسه، ص86.

للمجتمع المغربيّ خلال العصر الوسيط، ومن خلالها يمكن رصد تلك التحوّلات الاجتماعيّة والإقتصاديّة وحتّى المذهبية، على اعتبار أنّ القبيلة هي من أهمّ أجزاء البناء الاجتماعي كظاهرة اجتماعية وتاريخية طبعت حياة المجتمعات المغربيّة، والجدير بالذّكر هنا أنّ عديد الأمم الّتي عاشرت سكان المغرب لم تهتمّ بدراسة المجتمع القبليّ المغربي، وهذا ما لا يتناسب مع الدّور التاريخيّ والحضاريّ لهذا المجتمع إلى أنّ جاء العرب فاهتمّوا بها، وربّما يرجع هذا الإهتمام إلى تشابه نمط العيش بين الشعبين العربيّ والبربريّ[1]، هذا وقد وردت الكثير من العبارات المستعملة للدّلالة على القبيلة وتفريعاتها، وعليه سنحاول إعطاء تعريفات للقبيلة كالتالي:

ثانيا: التعريف اللّغوي والاصطلاحيّ للقبيلة

1-التعريف اللغويّ للقبيلة:

كلمة القبيلة مشتقّة من قبيل، والقبيل في اللغة هو الكفيل، والكفيل هو الضّامن[2]، كما أنّ القبيل الزّوج هو الجماعة من الثلاثة فصاعداً من أقوام شتّى قد يكونون أبناءً لأبٍ واحد[3]، وهي بذلك تجانب المفهوم اللغوي الغربي لكلمة قبيلة *Tribua* الّتي هي مشتقّة من اللّفظ اللّاتيني *Tribus*، والقبيلة مفرد قبائل، تفيد معنى الجماعة، فيقال لكلّ جماعة قبيلة، كما أنّها قد تفيد معنى الصّنف، حين يقال قبائل من الطّير؛ أيّ أصنافاً، وكل صنف منها قبيلة، فالغربان قبيلة والحمام قبيلة...وقد تفيد معنى النسل[4]، وهنا نستحضر قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ﴾[5]؛ أيّ هو ومن كان من نسله، ونقول قبائل الرّأس؛ أي أطباقه، ونقول قبائل الشجرة؛ أي أغصانها، والقبيلة هي الجماعة من الناس يكونون من ثلاثة فصاعداً من مختلف الأقوام كالزّنوج والرّوم والعرب[6]، وكلمة قبيلة تعرف على أنّها تعبير يطلق

---

(1)-عبد اللطيف أكنوش، تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،(د س) ص26.

(2)- الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الفكر، بيروت، ط1 (د س)ص239.

(3)- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية للكتاب.القاهرة، ج4، ص34.

(4)- ابن منظور محمد بن مكرم ابو الفضل، لسان العرب، بيروت، دار صادر.بيروت، د.ت، ج11، ص534.

(5)- سورة الأعراف، الآية:27.

(6)-خداوي محمد، القبيلة الأحزاب والانتخابات في ظل التعددية في الجزائر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص أنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014/2013، ص155.

على مجموعة من الأفراد يشتركون في اللغة أو اللهجة الّتي تعتبر بمثابة الرّابط لها، كما أنّها تجتمع في علاقات خاصّة متعدّدة ومرتبطة أساساً بالعادات والتقاليد والأعراف المتوارثة، وفي هذا السياق تجدر بنا الإشارة إلى قول ليست جذور القبيلة في بلاد المغرب كلّها ظاهرة ولدت في العصور الوسطى فحسب، بل لها امتداد يغوص في أعماق التاريخ البعيد، إذ تزخر المصادر القديمة بالشّواهد والأمثلة، الّتي جعلت هذه البلاد يكاد يكون تاريخها قبليا، أكثر من كونه تاريخاً لدول وحضارات[1].

وذهب اندري جوليان الى معنى القبيلة في هذا السياق حيث وضع القبائل في بلاد المغرب ضمن اتّحاد يقوده زعيم جريء لمدّة من الزمن لتأسيس سلطان الملك لكن لن يصمد هذا الاتحاد بوجود زعيمٍ آخر فيسقط الأوّل ليتبنّى نفس الدور وهكذا دواليك، ليبقى المرجع الصّحيح للملك هي القبيلة حتى ولو عجزت عن القيام بأحلاف أوبتعاقب ملوك عدة في أزمنة مختلفة[2].

2/التعريف الاصطلاحيّ للقبيلة:

لقد جاءت التعاريف العربية القديمة للقبيلة لتجلعها هي الّتي دون الشعب تجمع العشائر، وإنّها سمّيت القبيلة لتقابل بعضها ببعض واستوائها في العدد[3]، واعتبر النويري القبيلة بأنّها الرّابعة بين عشر طبقات وفق تقسيم العرب، أعلاها الجذم وأدناها الرّهط، وهي الجذم، الجماهير، الشعوب، القبيلة، العمائر، البطون، الأفخاذ، العشائر، الفصائل، الرهط[4].

وتجدر الإشارة هنا أنّ هذا التقسيم ليس محلّ إجماع بين النسّابة والمؤرّخين، وقرينة هذا أنّ هناك من جعل الطبقات ستاً لا عشراً مثل القلقشندي والّذي نسب ذلك لابن الكلبيّ[5]، وهو ما يجعل جوهر المعنى الإصطلاحي يحيل إلى الجانب السلالاتي، ولكنّنا لا يمكن حصر

---

[1]–بوزياني الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربيّة، مؤسسة بوزيان الدراجي للنشر.ط1، 2013، ص11.

[2]– شارل آندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من البدء إلى الفتح الإسلامي 647هـ تع: محمد مزالي، البشير بن سلامة، 2011م، ج1، ص35.

[3]– النويري.شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب(ت733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترجيني، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004، ج2، ص ص2–3.

[4]–النويري، المصدر السابق، ج2، ص ص302–303.

[5]–ابن عبد ربه.شهاب الدين احمد بن محمد الاندلسي(ت328هـ)، العقد الفريد، تح: محمد سعد العريان، بيروت، دار الفكر، 1983.م،ط1. ج10، ص289. وانظر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، دار الكتب المصرية،ط2. (د س)ج1،ص361.

التعريف في هذا المعنى بل هناك عديد الإشارات والدّلالات إلى وجود معاني أخرى للقبيلة كالتكتّل أو الإتّحاد أو التّلاحم وهذا ما نستشفه من ابن منظور حين قال: "اشتقّ زجاج القبائل من قبائل الشّجرة؛ أي أغصانها، ويقال قبائل من الطّير؛ أي أصناف، وكل صنف منها قبيلة، والقبيلة هي الجماعة من الناس...."[1].

وتشير الدّراسات الحديثة إلى تعريفات عدة للقبيلة، اتّخذت من معايير مختلفة منهجاً لتعريفاتها، فيحضر البعد السلالاتي والجغرافي فتعرف القبيلة على أنّها رأس التنظيم الاجتماعيّ للمجتمعات البدويّة، ينتمون إلى جدٍّ واحدٍ مشتركٍ انحدروا منه، ويسكنون في منطقة واحدة لمواجهة التحدّيات الطّبيعية[2].

وتعرّف القبيلة أيضاً بكونها تركيبة بشرية إجتماعية مكوّنة من عدّة وحدات صغرى، قد تكون أسراً أو عشائراً، أو أفخاذاً...الخ .على أنّ تتلاحم تلك الوحدات بفضل الإعتقاد في الإنتماء بالرابط الدّموي (النسب) وتبعاً لمقتضى المصلحة المشتركة، ويشترط فيها أن يعيش أفرادها معاً حال حِلهم وترحالهم. في نطاق محدّد. وأعراف وعادات متفق عليها وبديانة واحدة، وفيها رئيس ينتمي إلى أقوى أسر القبيلة وأشرفها حسباً[3].

وتعرّف أيضاً بكونها جماعة من الناس ينتمون إلى جد مشترك انحدروا منه، ويسكنون عادة في منطقة واحدة يتحركون ضمن نطاقها بحثاً عمّا يريدون من كلأ وماء[4]، وأحياناً أخرى يؤخذ المعيار اللّغوي والتّواصل الثقافيّ في تعريف القبيلة فيرتكز التعريف على أنّ تركيبة القبيلة الواحدة يبنى على معيار اللّغة أو اللّهجة الواحدة وتربطهم علاقات ثقافيّة متجانسة. وعلاقات اجتماعية خاصّة[5]وأحياناً تجمع كلّ تلك المعايير. فتعتبر القبيلة تجمع أفرادًا بطابع اجتماعيّ وسياسيّ واقتصاديّ وثقافيّ يرأسه شيخ القبيلة ويساعده مجلس أعيان[6]،

---

[1]–ابن منظور، المصدر السابق، ج11، ص534.

[2]– جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجري، (9–10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.(د ط)سنة 1992، ص250.

[3]–بوزياني، ملامح تاريخية، ص118.

[4]– جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص250.

[5]–محمود نجيب بوطالب، سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة المغربيّة، بيروت، ط1،(د ط) 2002، ص55.

[6]–مصطفى صالح الفوال، علم الاجتماع البدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1974، ص325.

ويمكن أنّ نجمع ذلك بالقول أنّ القبيلة هي الوحدة الاجتماعية المتكوّنة أساساً من مجموعة من الأفراد في ظلّ سلطة سياسيّة وإطار جغرافي معلوم، يكون بمثابة المجال لإستقرار أصحابها، أو متنقلا تبعاً لتنقّلهم إذا كانوا من البدو الرّحل، ويشتركون في مصالح معاشية وأمنية، وعادات وتقاليد وأعراف، يشرف على تطبيقها من يملك السلطتين الرّوحية والسّياسيّة وهو رئيس ينتمي إلى الزمرة القويّة من أعزّ أسر القبيلة وصاحبة الشّوكة بها تتفرد به من إمكانيات عسكريّة أو اقتصاديّة أو سياسيّة بحسب تفاوت أهمّية هذه العوامل في الزمان والمكان وحتى الظّروف[1]، وتؤسّس المرجعية التاريخيّة أو الأسطورية أو الرّمزية منطلقاً لصلة القربى، ويتكيّفون معها كأمر واقع مسلّم به، أمّا مسألة القبيلة كنظام مطلق فيمكن اعتبارها وحدة اجتماعية لها نظامها الخاص وتركيبتها، بحيث تأخذ الشّكل الهرمي وهي متشكّلة من أسر وبطون وعشائر وتتقاطع في الكثير من الأحيان بواسطة رابطة الدّم والنسب عن طريق المصاهرة، وأحياناً بسبب طول المعاشرة[2].

ثالثا: القبيلة من خلال فكر المؤرّخين والنسابة

غلب الطابع الكلاسيكي لرؤية العرب للقبيلة ويظهر هذا من خلال الرؤية التاريخيّة المبنيّة على تناول موضوع القبيلة من خلال علاقتها بالسياسة والتاريخ[3] بعيداً عن الإتجاه الحديث المبني عن دراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، ولعلّ هذه المقاربة لها ما يبررها، إذ أنّ تشابه الشعبين العربيّ والبربريّ في أنماط الحياة الاجتماعيّة جعل من العرب السبّاقين لدراسة القبيلة في بلاد المغرب.

وهناك من المؤرخين من أسقط التقسيم الثنائي لقبائل العرب بين القيسية واليمنية إلى التقسيم الثنائي للبربر بين قبائل البتر والبرانس وكان قبله التقسيم الرّوماني لبلاد المغرب إلى نوميديين وموريطانيين، والأمر نفسه في التاريخ الحديث بثنائية التركيبة بين العرب والأمازيغ، وهكذا وصل الباحثين العرب أنّ الفرق بين القبائل هو سلالي، بحيث هناك طائفة يمكن اعتبارها من السكان الأصليّين لبلاد المغرب وطائفة أخرى تعتبر من النازحين للطائفة

---

[1]–عبد الوهاب ولد محفوظ، القبيلة في موريتانيا بين التأصيل التاريخيّ والتحليلي السوسيولوجي. إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد146، 2011، ص ص128، 129.

[2]– خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط، ما بين القرنين 6هـ–9هـ/12–15م، دراسة في دورها السياسي والحضاري، مؤسسة الأصل للطباعة والنشر، المدينة الجديدة، تيزي وزو، 2011، ص33.

[3]–عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص19.

الأولى[1]. وبالرجوع لتعاريف القبيلة من زاوية العرب، فإننا نجد أنّ ابن منظور يعرف القبيلة بأنها مفرد قبائل، وقبائل الرأي هي أطباقه، وقبائل الشجرة هي أغصانها، والقبيلة هي الجماعة من الناس يكونون من ثلاثة فصاعداً من مختلف الأقوام الزنج والروم والعرب[2].

وورد مصطلح القبيلة في القرآن الكريم في صيغة الجمع، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ﴾[3]، وتعرض إليه النويري في ترتيبه النوعيّ للمجموعات البشرية، إذْ تدرج من الجذم إلى الجمهور إلى الشعب إلى القبيلة إلى العمائر، ثمّ البطون فالأفخاذ فالعشائر فالفصائل وأخيراً الرّهط[4]، وقال فيما يخص القبيلة "هي الّتي دون الشّعب، تجمع العمائر، وإنّها سمّيت قبيلة لتقابل بعضها ببعض واستوائها في العدد"[5]، وهنا يظهر جلياً أنّ تحديد المفاهيم المذكورة في قاموس الفكر العربي يختلف من مصدر إلى آخر، ويقع الخلط بين القبيلة والعشيرة مثلاً، وهذا رغم ورود الكثير من العبارات المستعملة للدلالة على القبيلة وتفريعاتها مثل قوم وقبيلة، ويذكر البرزلي في إحدى النوازل"ويبدأ بالفخذ ثمّ البطن ثمّ العمارة ثمّ الفصيلة ثمّ القبيلة"[6].

1- القبيلة عند ابن خلدون:

إنّ عدم ذكر الرؤية الخلدوينة للقبيلة ومسألة الأنساب يعتبر تقصيراً فادحاً لأيّ باحث في هذا المجال، خاصّة خلال العصر الوسيط، الأمر الّذي جعل منه مصدراً مهماً في هذا المجال، لاسيما مع فقدان الكثير من المصادر الّتي أخذ منها، أمّا النظرة الخلدونية للقبيلة فقوامها نظريّة العصبية[7]، واعتبر هذا منطلقاً لتفسير نشوء الدّولة من رحم القبيلة في بلاد المغرب، وبرر هذا بأن غاية العصبية هي الملك، وأن الملك والغلبة يتبعان العصبية الأقوى وأنها المقوّم الأساسي في نشوء الدولة لأنّها محرّك الحياة الاجتماعية والسّياسيّة[8].

---

[1]- عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص27.

[2]-خداوي محمد، المرجع السابق، ص155.

[3]-سورة الحجرات، الآية: 13

[4]- محمد بن حسن، القبائل والأرياف المغربيّة في العصر الوسيط، دار الرياح الأربعة للنشر، ط2.تونس(د س)، ص11.

[5]-النويري، المصدر السابق.ج24، ص302.

[6]- البرزلي.أبو القاسم بن احمد البلوي التونسي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام،تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي،ط1، 2002، ج6، ص119.

[7]- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص12.

[8]-محمد خداوي، المرجع السابق، ص158.

وقد اجتهد محمد عابد الجابري في تناول الجدلية القائمة بين ثنائية العصبية والدّولة من خلال نظرة ابن خلدون معتمدين في ذلك على النظريات المعرفية المعاصرة فيما يخص المجتمعات القبلية والّتي من بينها المجتمع المغربيّ، وربطوها بتعريف العصبية بكونها رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية ولا شعورية معاً تربط أفراد جماعة ما[1]، وهو نتاج طبيعي تحرّكه رابطة القرابة والنسب وروابط الولاء والجوار والخلف[2]، وتميّز ابن خلدون بنظرته للقبيلة خارج إطارها الجمعي المتفرع عن الجدّ الواحد؛ أيّ الأوّل، وكذلك خارج إطار روابط الدم مخالفاً للنظرة الخاصّة بالنسابة الكلاسيكيين، بل أنّه وصف النسب في معناه الضيّق بالمعطى الوهمي الّذي يتلاشى أمام حتمية الإختلاط وعلاقات الجوار والتعايش في المكان[3]، وحصر ابن خلدون الإطار الحقيقي للقبيلة في النسب في معناه الواسع بما يحمله من أشكال التحالف والولاء وحتى الإنتماء، ويراه الضامن الأساسيّ الّذي يحرّك إلتحام الجماعات وما يتبعها من ذوبان القلّة ثمّ الكثرة، وإن كان إحساس الانصهار في المكوّن القبليّ نفسه، ولن يتحقّق هذا إلّا بالارتباط بالمكان؛ أي الأرض، وبهذا يتحقّق تلاحم القبيلة داخلياً لصدّ أيّ خطر خارجيّ قد يهدّد استمرار وجودها سواءً كان ناجماً عن عصبية زاحفة من خارجها؛ أو عن تدخّل سلطة مركزيّة[4].

وصفوة القول، أنّ ابن خلدون وضع اجتهاده في دراسة نظم القبيلة في عصره(العصر المريني)، وبهذا وضع لبنة لأهمّ دراسة لمسألة الأنساب والقبائل، وأسقطت أحكامه على المراحل الّتي سبقت عهده بما في ذلك العصر الوسيط كاملاً، ممّا جعل منه مصدراً مهمًّا في هذا المجال، لاسيما مع شحّ المادة الخبرية مع فقدان عديد المصادر الّتي أخذ عنها، وحسبنا دليلاً على ذلك هو ذكر القبائل البربرية والعربية ببلاد المغرب بشيء من التفصيل، كما يعدّ أوّل مؤرّخ تفطن إلى العلاقة بين البداوة والعصبية في إطار القبيلة[5].

---

[1]– محمد بن حسن، المرجع السابق، ص13.

[2]–محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإعلامي،، دار النشر المغربيّة، الدار البيضاء، المغرب.ط4، 1984، ص ص465–466.

[3]–محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص56.

[4]– محمد نجيب بوطالب، نفسه، ص56.

[5]–إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.ط1.(د س)، ص219.

2- القبيلة عند علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين:

بالإطلالة على الأدبيات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، نجدها عبارة عن أبحاث ميدانية اهتمّت ببنية القبائل الحديثة، وانتهت إلى تخريجات حاولت تعميمها على كلّ العصور التاريخيّة، وفي هذا الإطار تطفو على السطح ثلاث أطروحات حول القبيلة المغربيّة: أطروحة الانقسامية[1]، وأطروحة "روبير مونتاني"[2]، وأطروحة "جاك بيرك"[3]، والجدير بالذّكر هنا أنّنا لا نجد عند التيار الأنثروبولوجي الجديد اهتماماً بالقبيلة مثلما كان عليه الحال عند الجيل السابق، واتّجهت الإهتمامات على البناء الإجتماعي بالمناطق الحضارية أكثر من المناطق الريفية والبعض الآخر وجّه اهتمامه إلى الأنثروبولوجيا السّياسيّة والدّينية[4].

إن تعدد المعارف والمرجعيات من باحث لآخر جعل من تعريف القبيلة أمرا بالغ الصعوبة. ولا يوجد مفهوم دقيق ومتّفق عليه في هذا الإطار. والخوض في كلّ الآراء للخروج برأيٍ واحد أمر صعب المنال، ودون أنّ نخوض في الجدال حول هذه القضية سنحاول إبراز بعض آراء علماء الاجتماع، فمنهم من عرفها على انها ظاهرة عالمية ذات طابع اجتماعي وسياسي واقتصادي وإداري وقضائي يرأسها قائد أعلى يساعده مجلس استشاري[5]، ومنهم من اعتبر القبيلة مجموعة بشرية مكوّنة من قسمات ومجموعات اجتماعية يجمع بينها رباط القرابة الدموية (حقيقي أو وهمي) وتحتل مجالاً ترابياً تمارس عليه سلطتها، وتدافع عنه مع خضوعها لقيم مشتركة، واعتبر ماسكري وبيرك-وهم من الأنثروبولوجيين الفرنسيين- أنّ مسألة التضامن

---

[1]-وهي نظرية ارتبطت بالأنثروبولوجيا الأنغلوساكسونية: القبيلة مجموعة من العشائر تؤلف مجتمعاً منظماً له اسم خاص ولغة وسلطة ومجال جغرافي خاص. أنظر إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص220.

[2]-وهي نظرية مستوحاة من نموذج القبيلة الأوروبية: وهي تصف القبيلة بمرورها مرحلة الجمهورية الصغيرة ثمّ مرحلة استبدالية ثمّ مرحلة الخضوع. أنظر: عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص19.

[3]-وهي نظرية تربط القبيلة بعامل البيئة والوسط الطبيعي بمعنى لا توجد قبيلة إلّا على شكل بنية بيئية(إ'يكولوجية)، تختلف عن كلم البنيات الأخرى وتفرعها يدفعها إلى تجاوز نفسها كقبيلة، أنظر: عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص25.

[4]- محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص62.

[5]-إبراهيم مذكور وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة لمصرية العامّة للكتاب، القاهرة.ط1، د.ت، ص266.

من أهمّ مواصفات الجماعات القبلية المستقرة في بلاد المغرب[1]، وبرجوعنا إلى ما ورد في قاموس علم الاجتماع حول القبيلة، نجده يذكر ثلاثة تعاريف[2]، وهي:

1- أن القبيلة هي نسق في التنظيم الإجتماعي يتضمّن عدّة جماعات محلية مثل: القرى والعشائر، وتقطن القبيلة عادة إقليماً معيناً في ظل التضامن والتعاطف.

2- هي تجمع كبير أو صغير من الناس بنفس الإقليم واللغة وتجمعهم علاقات اجتماعية متجانسة.

3- هي وحدة متماسكة اجتماعياً ترتبط بإقليم، وتعتبر في نظر أعضائها ذات استقلالية سياسية.

أمّا تعريف معجم علم الإجتماع فإنه يطابق بين مفهومي القبيلة والإثنية وينفي البعد القرابي، فهو تعريف يعتمد نموذج القبيلة الإفريقية أساساً لوضع تحديد لمفهوم القبيلة[3]، والذي يضع القبيلة في شكل جماعتين متكاملتين.

3-القبيلة من منظور الإخباريين والمؤرّخين:

للإخباريين نظرة مزدوجة للقبيلة، عرقية وسياسية، فهم لا ينظرون إليها إلّا كوحدة سلالية لها علاقة متينة بإشكالية السلطة والدولة[4]، والملاحظ أنّ كلّ الشعوب الّتي مرّت بالمغرب لم تهتم بدراسة المجتمع القبلي البربري إلى أنّ جاء العرب، والراجح أنّ هذا الإهتمام له ما يبرره خاصة في ظل التشابه الكبير بين نمط المعيشة بين الشعبين العربي والبربري، واعتبار كلا الأمتين بمثابة المجتمع الأكبر لأهل البادية، في حين نجد الرّومان قسموا البلاد المغربيّة جغرافيامثل- نوميديا، موريطانيا، جيتوليا-كما نجد أنّ العرب لم يخرجوا على القاعدة وجعلوا

---

(1)- عبد الله حمودي، راهن القبيلة في الوطن العربي الداخلي والخارجي في التنظير للظاهرة القبلية، مجلة عمران، مجلة فصلية محكمة متخصصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد19، المجلد الخامس، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، قطر، 41-02-2017، ص18.

(2)-محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص55.

(3)-دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة ومراجعة إحسان محمد الحسن، ط2، دار الطليعة، بيروت، لبنان.ط2، 1986، ص247.

(4)-عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص26.

من بلاد المغرب، مغرباً أقصى وأدنى وأوسط، لكنهم زادوا على هذا التقسيم تقسيماً يكاد يكون عرقياً[1]، وهو بجعل القبائل المغربيّة إلى بربر بتر وبربر برانس[2].

ويواصل المؤرّخ ابن خلدون وصفه بأن قبائل البتر ينحدرون من جدهم الأول "مادغيس" الملقب بالأبتر، أمّا قبائل البرانس ينحدرون من "برنس" جدهم الأول، وهما أخوان لأب واحد حسب رواية المؤرخ عبد اللطيف اكنوش[3]، وهذا ما نفاه نسّابي البربر أنفسهم من أمثال هانئ بن بكور الضريسي، وبن سليمان المطماطي وغيرهم، إذْ أنهم يقرون أنّ الشعبين متباعدين تماماً، فالبتر أبناء قيس بن عيلان من العرب الساميين، أمّا البرانس فهو من أبناء حام بن نوح[4].

ومن زاوية أخرى فقد رأى بعض الباحثين والمؤرّخين بأن الفرق بين القبائل هو سلالي، بحيث أنّ طائفةً يمكن اعتبارها من السكان الأصليّين للمغرب، وطائفة أخرى تعتبر من النازحين المنضمين للطائفة الأخرى، وقد لوحظ هذا التقسيم في بعض الدراسات الّتي جمعت الطائفتين البتر والبرانس[5].

أمّا العرب فقد اهتمّوا بدراسة القبيلة باستفاضة مقارنة مع غيرهم لما للقبيلة من أهمّية عبر مراحل تطور حياة مجتمعاتهم، مما جعلهم يفردون للقبيلة عديد المصطلحات، واجتهدوا في تقسيم المجتمع إلى شعوب وقبائل وعمائر وبطون وأفخاذ وعشائر.

أما علماء الأنساب فقد اجتهدوا في مسألة النسب كمرجعية لوجود القبيلة كما أرجع ابن خلدون وجود القبيلة وعدم اندثارها وتفككها لكونها إحدى ثمرات النسب[6]، على اعتبار أنّ صحة النسب وإن طالت سلسلته يبقى هو الضامن الوحيد للإعتقاد في النسب الواحد الّذي

---

(1)–عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص26.

(2)–ابن خلدون.عبد الرحمن بن محمد أبو بوزيد ولي الدين،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والمعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: سهيل زكار، د.ط، دار الفكر، لبنان، 2000، ج6، ص117.

(3)– عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص27.

(4)–عبد الوهاب بن منصور، "قبائل المغرب"، المطبعة الملكية، الرباط، 1968،ج1، ص295.

(5)– عبد الوهاب بن منصور، نفسه،ج1، ص294.

(6)–ابن خلدون، المقدمة، تح: سهيل زكار، (دط)، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م، ج2، ص427.

يضمن القرابة وتوحيد لحمة القبيلة ضمن إطار الانتماء، وذوبان منطق النسب الواحد سيترك المجال لبروز نظام الدولة وروح الوطنية مكان القبيلة والعصبية، وبالتالي زوال النظام القبلي لصالح نظام الدولة، ويبدو أنّ سكان المغرب الإسلامي خاصة في العصر الوسيط حافظوا على النظم القبلية تبعاً لمحافظتهم على الإنسان، كما حافظوا على البيئة المثلى للقبيلة وهي البادية واجتهد علماء الأنساب بترتيب القبائل العربية مثلاً ترتيباً تنازلياً بأخذ معيار النسب مرجعاً مثل:

- **الشعب:** قبائل عدنان وقحطان
- **العمارة:** قبائل قريش
- **البطن:** قبائل بني عبد مناف
- **العشيرة:** قبائل بني عبد المطلب
- **الفصيلة:** قبائل بني أبي طالب وبني عباس.

وهنا يظهر بوضوح غلبة طابع الإنتماء في استحضار العصبية وإن كان الأمر في الكثير من الأحيان تجاوز مرونة العرب والأمازيغ في الاعتماد على النسب إلى الإعتماد على أشكال أخرى تتجاوز النسب الصريح أو النسب العرقي الّذي يقتضي نسباً معلوماً أباً عن جد، وعليه فقد أقروا الإنتساب[1]، مثل الأنساب بالحلف والجوار[2]، والمعاتقة[3].

المطلب الثاني: التركيبة العرقية للقبيلة ببلاد المغرب

مثلّت التركيبة الإجتماعية لبلاد المغرب عاملاً حاسماً في المسار التاريخيّ للمغرب الإسلامي، فكانت هي العنصر المغذي للحركات السّياسيّة والمذهبية والّتي كانت مرتبطة أساساً بثنائية العصبة القبلية والعصبية المذهبية، لذا فإنه لا تكتمل الدراسة إلّا بتبني معيار البنية السوسيولوجية لبلاد المغرب، وفي هذا الإطار أجمع الإخباريون على حقيقة أنّ بلاد المغرب وبالإضافة إلى العنصر الأصليّ والمتمثل في البربر شهدت أيضاً تواكباً إثنياً عبر فترات

---

[1]–بوزياني الدراجي، العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي،رسالة ماجستير، الجزائر(1994)، ص181.

[2]–**الانتساب بالحلف بالجوار:** ويعرف بنسب الاستلحاق، أي إلحاق فرد أومجموعة أفراد وكل القبيلة إلى نسب معلوم فتدمج فيه بمرور الزمن. انظر/جواد علي.المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.نشرجامعة بغداد.ط2.العراق 1993.ج4.ص391

[3]–**الانتساب بالمعاتقة:** ويكون ذلك بعتق رقبة عبد، أو سير حجرب، أو جماعة تم إلحاقه بنسب سيده الأول، أو أسره. أنظر: جواد علي: نفسه، ج4، ص391.

تاريخية ضاربة في القِدم منها من عرف الإستقرار بالمنطقة، ومنها من اندثر ذكره مع مرور الزمن، والجدير بالذكر أنّ توافد العديد من الأجناس والعرقيات كان على شكل هجرات مثل هجرة الفينيقيين من جنوب لبنان إلى بلاد المغرب سنة(1500 ق م) أو على شكل غزوات استيطانية على غرار الغزو الرّوماني (40 ق م) وبعده الوندالي (429م) وبعده البيزنطي(534م)، أو حملات الفتح الإسلامي سنة (27هـ/647م) على امتداد السبعين عاماً[1]، أو توافد العناصر الإثنية الأخرى على المنطقة في فترات وظروف تاريخية مختلفة على غرار موجات التغريب والتهجير مثل الهجرات العربية أو ما يعرف بتغريبة بني هلال الّتي وقعت خلال منتصف القرن الخامس الهجري، وكل هذه التموجات البشرية أفرزت تنوعاً عرقياً ببلاد المغرب غداة الفتح الإسلامي.

أولا: البربر

أجمع المؤرّخون والنسابة على أنّ البربر هم أمّة قديمة الذكر معلومة المجال سكنت بلاد المغرب في أزمنة غابرة، وتلاحمت أنسالها مع من حلّ ببلاد المغرب غازياً أو لاجئاً أو حتّى مرتحلاً، وقد ملأ البربر بقبائله وشعوبه وبطونه بلاد المغرب سهولاً وتلالاً، جبالاً وهضاباً ومثّلوا الغالبية العظمى أو السواد الأعظم في التكوين السكاني لبلاد المغرب[2]، ولن نجد وصفاً لهم أحسن من وصف ابن خلدون لهم بقوله: "هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم، ملؤوا الجبال والبساط من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره، يتّخذون البيوت من الحجارة والطّين ومن الشجر ومن الشعر والوبر، وبظعن أهل العزّ منهم والغلبة لإنتاج المراعي، فما قرب من الرحلة، لا يتجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفار ومكاسبهم الشاة والبقر. والخيل في الغالب للركوب والنتاج وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب، ومعاش المستضعفين منهم بالفلح والدواجن السائمة"[3].

أمّا كلمة البربر فقد وقع اختلاف بين المؤرّخين والنسابة حول الأصل الّذي اشتقّت منه هذه الكلمة، فهناك من يرى أنّها مشتقة من كلمة *البربرة* أي الأصوات الغريبة أو اختلاط

---

[1]– علي محمود عبد اللطيف الجندي، البربر في إفريقيا في العصر الأموي،كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، 1995م، مقدمة الكتاب رقم، (ص ح).

[2]–بوركبة محمد، الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية(160هـ–296هـ/777م–909م)، دار الكفاية. الجزلئر، 2017، ص143.

[3]– ابن خلدون، العبر. ج6، ص116.

الأصوات أو رطانة اللسان والّتي تجعل الكلام غير مفهوم، وفي هذا السياق يرى حسن الوزان أنّ كلمة "البربر" مشتقة من الفعل العربي بربر بمعنى همس أو أنها مستقاة من أصل الموطن الّذي سكنه البربر وهو الصحراء "البرة"[1].

في حين خالف هذا الطرح المؤرّخ الجغرافي مارمول الّذي يقول بأن الرّومان هم الّذين أطلقوا هذا الإسم على البربر بسبب عجمية لسانهم[2]، أي أنّ كلمة بربر أطلقها الرّومان قديماً على شعوب شمال أفريقيا، وتعني أنهم يتكلمون بلغة لا يفهمها الرّومان، والبربرية في اللغة هي خليط في الكلام من غضب ونفور ويقال بربر فلان، أي أكثر الكلام في خلية والصياح وبربر التيس أو الأسد بمعنى علا صوته عند الهياج، وسمي الأسد بربراً بسبب ذلك[3].

وقد أورد البلاذري في كتابه فتوح البلدان رواية مع ذكر سندها، تنفي نسب البربر لبر بن قيس عيلان، إذ يقول في هذا الصدد "وما جعل الله لقيس ولداً اسمه بر "[4]، ويعد هذا الاسم "البربر" أقدم مدلول شامل عرفت به منطقة بلاد المغرب بنفس اللفظة "بربر"[5]، هذا وقد اختلفت مدلولات كلمة البربر بين النسابة فمنهم من يأخذ البعد اللغوي في تفسيرها وذلك بإعطائها معنى إختلاط الأصوات غير المفهومة[6]، ومنهم من يعطيها التفسير البشري بأنها تنسب إلى أحد أجداد البربر القدماء فهم إمّا أنّ يكونوا من ولد بربر بن تملا أو بربر بن كسلوجيم أو بربر بن مازيغ[7].

ومنهم من يفسّرها وفق البعد الحضاري ويقصد به عدم اكتساب هؤلاء البربر لمقومات الحضارة الخاص بنمط المعيشة وأسلوبها في تلك الفترة، ولذلك أطلق عليهم صفة التوحش

---

(1)–حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1. (د س)، ج1، ص30.

(2)– حسن الوزان، نفسه، ص25.

(3)– ابن خلدون، العبر، ج6، ص117.

(4)–البلاذري أبي العباس أحمد بن يحي بن جابر، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1987، ج1، ص256.

(5)–سنوسي يوسف إبراهيم، زناتة والخلافة الفاطمية،، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1982،ط1. ص41.

(6)– موسى أحمد بني خالد، دور القبائل البربرية في العلاقات السّياسيّة الفاطمية والأموية بالأندلس(297هـ/433م)، ط1، 2011، دار اليازوري للنشر.الجزائر.، ص33.

(7)–موسى أحمد بني خالد، نفسه، ص34.

والتبربر[1]، وقد اختلف المؤرّخون القدماء والمحدثون ونسابة العرب والبربر في تحديد نسب البربر وإلى أي الأمم الماضية يرجعون، وقد حاولت اختصار ذكر ذلك النسب إدراكاً مني أنّ الخلاف في نسب البربر طويل وجدلي، لذا تركت الكثير منه اختصاراً، وحاولت أنّ أجتهد في ذكر أصل النسب وفق آراء القدماء كما يأتي

1- **الطبري:** وهو الّذي ذكر أنّ إفريقش توجه إلى إفريقيا فافتتحها وقتل ملكها وسكنها ومن معه من اليمنيين، وهنا الجدير بالذكر أنّ الطبري في نقله لأخباره لم يكن له سند قوي، ويظهر ذلك من عباراته المتكررة "...وقد قيل، رغم..."[2].

2- **ابن عبد البر القرطبي:** فقد رجح الرأي القائل أنه عندما استقر قبط ابن حام بمصر، ولد له إبن إسمه بربر وبعدها توجه مع أبنائه إلى المغرب بمعنى أنّ البربر من ذرية حام ولا علاقة لهم بالعرب[3].

3- **ابن حزم الأندلسي:** رجح أنهم من بقايا ولد حام بن نوح وادعت طوائف منهم أنهم إلى اليمن وإلى حمير وبعضهم إلى برّ بن قيس بن عيلان[4]، ويبدو أنّ رأي ابن حزم أوثق من غيره لعلمه وتقدمه وقد زكاه ابن خلدون حين قال فيه "...وهو أصح ما ينقل في هذا، لأن ابن حزم موثوق لا يعدل به غيره"[5]، وقد فصّل ابن حزم في ذكر اختلاف النسابة والمؤرّخون في أصل البربر في كتابه جمهرة أنساب العرب وذلك بقوله "قال قوم أنهم من بقايا حام بن نوح- عليه السلام- وادعت طوائف منهم انهم إلى اليمن و إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس، وهذا باطل لا شك فيه، وما علم النسابون لقيس عيلان ابناً اسمه بر أصلاً، ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلّا في تكاذيب اليمن"[6].

---

[1]- موسى أحمد بني خالد، المرجع السابق، ص35.

[2]-الطبري أبي جعفر بن جرير، تاريخ الامم والملوك، ج1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط2، بدون تاريخ، ص442.

[3]- حسين بن الشيخ آث ملوي، التعريف بالأمازيغ واوصولهم، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1428،1هـ/2007م، ص57.

[4]- حسين بن الشيخ، نفسه، ص58.

[5]- ابن خلدون.العبر، ج7، ص04.

[6]- ابن حزم. أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1948،.ط1.ص491.

4- **البلاذري:** أورد البلاذري في كتابه فتوح البلدان ذكراً للبربر حول نسبهم حيث أنه أسندهم لبر بن قيس وهذا من خلال قوله"...وجعل الله لقيس ولداً اسمه بر"[1].

5- **ابن قتيبة وابن الأثير:** رجح ابن قتيبة نسب البربر من ولد جالوت الّذي نسبه لقيس عيلان ومن ولد معد، ومعد كان معاصراً لبخت نصر[2]، وهو ملك اضطهد العرب وبني إسرائيل، وهنا نتساءل كيف يكون جالوت الّذي قتله ابناً لقيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان؛ ونحن نعلم أنّ جده معد جاء متأخراً بأكثر من أربعة قرون، حيث أنه كان معاصراً لبخت نصر كما ذكرناه من قبل وهذا ما تفطن له ابن خلدون عند تطرقه لأصل البربر واعتبر هذا من هفواته، رغم أنّ ابن الأثير سار على منهج ابن قتيبة حيث قال"...أنهم كانوا ينتسبون لملكهم جالوت فأصلهم من الشام، وعند موت ملكهم طردوا من فلسطين إلى بلاد المغرب فاتجهوا إلى إفريقية والزاب"[3].

6- **ابن خلدون:** اتفق ابن خلدون مع ابن حزم الأندلسي أنّ البربر هم من ولد كنعان بن حام بن نوح .مخالفاً لكل الأقوال والآراء الّتي سلم بها من سبقه كالطبري والبكري والصولي معتبراً إياها خاطئة وبعيدة عن اليقين[4]، بل أنّ ابن خلدون اجتهد كثيراً في التحقق من نسب البربر حيث قال"...والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم، أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح، كما تقدم في أنساب الخليقة. وان اسم أبيهم مازيغ وإخوانهم أركيش وفلسطين إخوانهم بنو كسلوحيم بن مصراييم بن حام، وملكهم جالوت سمة معروفة له...فلا يقعن في وهمك غير هذا، فهو الصحيح الّذي لا يعدل عنه"[5]

ورغم أنّ ابن خلدون قد جانب عديد الروايات القديمة والّتي جاء بها المؤرّخون والنسابة البربر كابن سليمان المطماطي وهاني بن بكور الضريسي وأيوب ابن أبي زيد ومن نسابة العرب كا ابن قتيبة والطبري وغيرهم وحجته في ذلك أنه استند على آراء المؤرّخين الّذين سبقوهم في حقل الأنساب، فكان يعطي لكل رواية نقيضها او إسقاطها على المنطق لكشف

---

[1]-البلاذري، المصدر السابق، ج1، ص256.

[2]-بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ج1، ط1. ص31.

[3]-ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي كرم، الكامل في التاريخ، ج2، تح: نخبة من العلماء، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987، ط1، ص428.

[4]-حسين بن الشيخ، المرجع السابق، ص59.

[5]-ابن خلدون، العبر، ج6، ص127.

حقيقتها، والمجال يطول في هذا ويكفي ذكر نقده لبعض الآراء مثل القول أنهم من ولد إبراهيم فهذا رآه ابن خلدون أمر بعيد الإثبات، كون أنّ نعشان أخو إسحاق بن إبراهيم أبو البربر كما زعموا، معاصر لجالوت الّذي قتله داوود والذي كان معاصر للبربر فاستبعد أنّ يتشعبوا كلّ هذا التشعب في زمن قصير، أمّا إدعاء أنهم من نسل جالوت من العماليق فعده ابن خلدون، من أحاديث الخرافة، إذْ أنه ينفي أنّ تكون أمم بهذا العدد والتميز بالرطانة والعجمة والموطن، وهم تنقلوا من وطن لآخر من أحقاب متطاولة قبل الإسلام، فما الّذي يدفعنا إلى التسليم بهذه في شأن أوليتهم، وإفريقش الّذي يزعمون أنه نقلهم وقد ذكروا أنه وجدهم بها[1].

كما ردّ ابن خلدون على إدعاء نسب البربر الى قيس بن عيلان واصفاً إياه بقوله"... منكر من القول وقد أبطله إمام النسابين أبو محمد ابن حزم..."[2].

والجدير بالذكر أنّ ابن خلدون ورغم انه يعتبر من علماء الأنساب وروايته تقارب الصواب كونه عالم متأخر وهذا ما مكّنه من معرفة عديد الآراء في هذا الشأن، إلّا أنه أخذت عليه عديد الهفوات من خلال الدراسات الحديثة، فإرجاع ابن خلدون لأصل البربر إلى حام ابن نوح، جعله يهمل عاملين مهمين أشار إليهما الأستاذ بوزياني الدراجي فالأول بخصوص مسألة صحة نسب كنعان إلى حام بن نوح، وفرضيات انتماء كنعان أساساً إلى حام. فبالرجوع إلى كتاب تاريخ اللغات السامية لصاحبه الباحث الألماني بروكلمان نجده يؤكد أنّ اليهود هم الّذين أقصوا كنعان من سلسلة النسب السامية لأنهم كانوا من أعدائهم التقليديين[3].

والمسألة الثانية متعلقة بغفلة ابن خلدون عن الهجرات الّتي حصلت من بلاد الشام واليمن وشبه الجزيرة العربية ومصر إلى بلاد المغرب، والّتي تمازجت مع البربر، على اعتبار أنهم هم السكان الأصليّين في شمال إفريقيا، وفي هذا الإطار حتى ابن خلدون يؤكد أنّ البربر كانوا في ديارهم منذ حقب زمنية بعيدة وهذا الطرح لا يمنع بالمطلق تلك الهجرات المتوالية على بلاد المغرب من جهات مختلفة[4].

---

[1]–ابن خلدون، العبر، ج6، ص190.

[2]–ابن خلدون، نفسه، ص127.

[3]– بوزياني، القبائل، ص32.

[4]– بوزياني، نفسه، ص43.

وهذا الطرح له ما يعززه خاصة مع بروز الدراسات العلمية الحديثة، المتعلقة بجانب الهندسة الجينية، ودراسة الطابع الوراثي للعرق البربري أو حتى الجانب الأثري، والّتي أكدت أنّ البربر استوطنوا بلاد المغرب منذ ما لا يقل عن 400.000 سنة ق.م[1].

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ اتجاه ابن خلدون في طرحه لنسب البربر لم يكن فيه هو السباق إليه، بل أشهره قبله القديس أوغستين في إحدى رسائله حيث يقول" إذا سألتم فلاحينا عن أصلهم سيجيبون نحن كنعانيون"[2].

إن البربر منذ القدم قطنوا إفريقية والمغرب وسكنوا الجبال والدهاليز ويتنقلون في البلاد بمواشيهم وإبلهم كفعل الاعراب[3] وتعددت الديانات الّتي اعتنقها البربر إلّا أنّ النصرانية كانت صاحبة الحظ الأوفر بين تلك الديانات[4]، كما أنه من الواضح أنّ الديانة اليهودية كانت منتشرة في فترة مبكرة في بلاد المغرب خاصة مع نشاط اليهود التجاري[5]، فضلا على أنّ العديد من البربر كانوا يعبدون عبادات الجاهلية من الأصنام والأوثان وبعضهم يعبدون الشمس والقمر والكواكب[6]

والملاحظ هنا أنّ هذه الديانات لم تتأصل في نفوس البربر،وانتشارها بينهم كان سطحياً وضعيفاً ودلالة ذلك هو التحول السريع إلى الديانة الإسلامية والدفاع عنها والتعصب لها[7]، ويبقى أحسن وصف للبربر هو ما وصفوا به أنفسهم حين قدموا إلى الخليفة "عمر بن الخطاب" (رضي الله عنه) ليشهروا إسلامهم، ووصفوا له حالهم بأن ليس لهم مدائن يتحصنون فيها ولا أسواق يتسوقون منها ولا علماء يقتدون بهم[8]، وهم لا يعرفون الحرث والزراعة ومعيشتهم على اللبن واللحم، حتى أنّ الواحد منهم يمضي طوال حياته لا يأكل طعاماً

---

(1)– بوزياني، القبائل، ص43.

(2)-Gautier Emile Félix, Le passé de l'Afrique du nord, Les Siècles obscurs, bibliothèque Hostorique, Paris, Payot, 1937,P139.

(3)– مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق: محمد يعلي، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996، ص255.

(4)–مجهول، نفسه، ص255.

(5)– العبادي أحمد مختار، دراسة في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ص19.

(6)– مجهول، مفاخر، ص255.

(7)– العبادي أحمد، المرجع السابق، ص19.

(8)– مجهول، مفاخر، ص231.

غيرهما[1]، وكلها صفات تشبه صفات العرب، ويظهر هذا الشبه أكثر من خلال ما أخبر به موسى بن النصير سليمان بن عبد الملك "إنهم أشبه العجم بالعرب لقاء ونجدةً وصبراً وفروسية"[2].

وصفوة القول أنّ البربر لهم نسب شبه متفق عليه وهو انهم ينحدرون بأصولهم من مازيغ بن كنعان ابن حام ابن نوح كما تجمع غالبية الدراسات التاريخيّة والإثنية للأمازيغ أو البربر أنّ تواجدهم يقوم على أساس جذمين عظيمين هما البتر والبرانس.

ثانيا: العرب

وهي كلمة مشتقة من الإعراب أي البيان، وكان يطلق هذا الاسم على أهل الأمصار، أمّا أهل البادية فسميوا بالأعراب، ولفظ العرب في العرف يطلق على الجمع[3]، كذلك وردت كلمة "عربانية" لأول مرة في النصوص الفارسية سنة(530ق م)، ووردت في التوراة بمعنى البدو، ثمّ ذكرها اليونانيون في نهاية القرن الخامس ميلادي[4]، أمّا تاريخ دلالتها على معنى قومي، فلم يعرف على وجه الدقة، والأكيد أنّ القرآن الكريم هو أول مصدر ورد فيه لفظ العرب للدلالة على الرابط القومي والجنس العربي بالتحديد.

أ- **أصل العرب:** هناك الكثير من المؤرّخين والنسابين والرحالة والمستشرقين مما كتب عن أصل العرب، ويكاد يجمع أغلب الباحثين في هذا السياق على أنّ أصل العرب يعود إلى سام ابن نوح، وسام هو الولد الأوسط لنوح عليه السلام[5].

وقد اختلف العلماء في مسألة تحديد المهد الأول لأسلاف الساميين بين مواطن شمال إفريقيا أو أواسط آسيا وأريمينيا وشمال سوريا[6]،لكن يبدو أنّ هناك إجماع على أنّ شبه الجزيرة العربية هي المهد القديم لهم، والجدير بالذكر أنّ النسابة العرب قد قسموا العرب إلى جذمين

---

(1)- موسى احمد بن خالد، المرجع السابق، ص43.

(2)-ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، ط2، 1983، ج2.ص147.

(3)-عادل الضفيدي. المرجع السابق، ج1، ص65.

(4)- عادل الضفيدي، نفسه، ص65.

(5)-عادل الضفيدي، نفسه، ص65.

(6)-عادل الضفيدي، نفسه، ص67.

كبيرين هما العدنانيون والقحطانيون[1]، بالإضافة إلى قضاعة الّتي يقول أغلب الباحثين في شأنها أنها اندثرت وليس لها بقايا في القبائل[2]، أمّا العدنانيون فيتفرع منها بطون ربيعة ومضر وهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، أمّا قحطان فهم اليمانية من ذرية قحطان بن عامر ابن ارفخشذ بن بسام بن نوح عليه السلام، ويقسمون بدورهم إلى حمير وكهلان[3].

ب-**أقسام العرب:** أجمع المؤرّخون والباحثون على أنّ يقسموا العرب إلى قسمين كبيرين:

1- **عرب بائدة:** وتشمل عاد، طسم، جديس، ثمود، جرهم، جاسم، العماليق، أميم، عبيل...وغيرهم.

2- **العرب الباقية:** وهما فرعان:

أ-**العرب العاربة:** وهم الّذين ينحدرون إلى يشجب ابن يعرب ابن قحطان[4].

ب- **العرب المستعربة:** وهم سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام وينتسبون إلى عدنان بن أحد ولد نابت بن الهمسيع بن تيمن بن نبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وسموا بالعرب المستعربة لأن إسماعيل عليه السلام كان يتكلم العبرانية[5]، وفي نفس السياق نجد أنّ غالبية العرب خلال القرن(1هـ/7م) المستقرين ببلاد المغرب كانوا من أصول يمنية[6]مشكلة من عديد القبائل مثل"مهرة، وغنث وميدعان والأزد..."[7]، وكذلك من قبائل أخرى تلاحمت معها مثل "لخم، فهر، عبد العزى القرشية"[8]واقترن وجودهم بإنشاء مدينة القيروان سنة(50 هـ).

---

(1)- أبي جعفر عبد الولي البنسي الأندلسي، تذكرة الألباب بأصول الأنساب، تح: محمد المهدي المشوني الخرشني، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، ط1، 2001م، ص63.

(2)- عادل الضفيدي، المرجع السابق، ص67.

(3)- أبي جعفر عبد الولي، المصدر السابق، ص63.

(4)-ابن حزم، المصدر السابق، ص329.

(5)- عادل الضفيدي، المرجع السابق، ص79.

(6)-مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية فلي الحياة المغربيّة خلال عصر الموحدين وبني مرين، دار النشر المغربيّة، الدار البيضاء، المملكة المغربيّة،ط1. 1982،ص38.

(7)-عبد الواحد دنون طه، الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2004، ص102.

(8)-ابن عبد الحكم،عبد الرحمان بن عبد الله ابو القاسم، فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، مطبعة قصر العيني.ط2، مصر، ج1، ص247.

وبالرجوع إلى كرونولوجيا تواجد العرب ببلاد المغرب، فنجد أنه من الواضح أنّ معلومات المؤرّخين كانت قليلة وغير واضحة وهذا له ما يبرره، كون أنّ بعد المسافة بين المغرب والمشرق كان كبيراً، وقد حصرت بدايات علاقات العرب بالمغرب ككل وبالبربر على الأخص قبل الإسلام من خلال حدود مصر الغربية معهم[1]، ومايهمنا في سياق دراستنا هو أنه كان أول دخول للعرب لبلاد المغرب كفاتحين بقيادة عبد الله بن السعد بن أبي السرح سنة (27 هـ) بطليعة عربية قحطانية يمانية[2]، ثمّ حملة معاوية بن حديج الكندي (27 هـ/45هـ) لتتوالى بعدها الحملات خاصة بعد بناء مدينة القيروان سنة(50هـ).

وتجدر الإشارة هنا الى أنّ البربر شكلوا صعوبات كبيرة للفتح من خلال ثورات كثيرة، مما أدى بالخلافة الأموية الى أنّ ترسل أفواجا أخرى عربية لتعزيز سلطانها ببلاد المغرب، وكانت هذه العناصر العربية الوافدة من المشرق إلى بلاد المغرب تتألف من فئتين أساسيتين وهو ما اصطلح على تسميتهم بالعرب البلديين والعرب السّاميين.

1- العرب البلديين:

وهم عرب الفتح وغالبيتهم من قحطان وكانوا يعرفون بعرب المغرب أو العرب البلديون أو العرب الأفارقة وكانوا يعيشون في جماعات في المدن، واستقروا على الخصوص في القيروان وتونس وطبنة(إقليم الزاب). لذلك فالعرب البلديون يعتبرون من أقدم بيوت العرب بإفريقيا، حيث اختطوا لهم خططاً خاصة بالقيروان، وصاروا خلال بداية القرن الأول الهجري يمثلون شريحة كبيرة، وكان يمثل هؤلاء عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري[3].

2- العرب الشاميون:

حلّوا ببلاد المغرب في فترات لاحقة من الفتح خاصة بعد ولاية موسى بن نصير، ليبرز على مسرح الأحداث ببلاد المغرب العرب القيسية والذين تركزوا أساساً في السلطة الحاكمة وكبار الجند وكانوا في عداء مستمر مع اليمنية وزاد تأجيج هذا العداء الولاة أنفسهم من خلال

---

[1]-سنوسي يوسف إبراهيم، زناتة والخلافة والفاطمية،مكتبةسعيد رأفت،ط1،القاهرة،1982 م، ص ص49/48.

[2]-عبد الواحد دنون، المرجع السابق، ص102.

[3]-حسين مؤنس، فجر الأندلس، العصر الحديث للتوزيع والنشر ودار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص230.

تحيز كلّ والٍ لعصبيته هذاويمكن القول أنه وبداية من القرن الثاني للهجرة(8)، تطورت مسألة الهجرة العربية إلى بلاد المغرب[1]، وقرينة هذا ما جاء على لسان الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عندما وصلته أخبار الاضطرابات والهزائم الّتي لحقت بجيوش الخلافة في معركة الأشراف سنة(122هـ/740م)[2] فقال مخاطباً كبار رجال دولة الخلافة متوعداً ومنددا وغاضباً "والله لأغضبن لهم غضبةً عربية، ولأبعثنَّ إليهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي، ثمّ قال والله لا تركت حصناً بربرياً إلّا جعلت إلى جانبه خيم قيسي أو يمني"[3]، وهنا يظهر ملياً قيمة هذا النص في تبيان توجه سياسة الخلافة الأموية نحو المغرب من جهة ونحو سياسية الانتشار القبلي العربي في البلاد المفتوحة وعرفت هذه السياسة في التاريخ بمصطلح السرايا والطلائع والّتي كان الهدف منها إخماد الثروات في بلاد المغرب مثل الطليعة الّتي قادها كلثوم بن عياض القشيري (114هـ/123م) وكانت تتألف من عرب الشام، والّتي لم تلق ترحيباً من عرب الفتح بسبب خوفهم من مشاركتهم لهم في الامتيازات والأراضي[4]، ثمّ جاءت بعدها حملة العباسيين في عهد جعفر المنصور بجيش قدّرته الروايات بـ40 ألف جندي من قبائل الجند[5]، وكان مشكلاً من عرب تميم ومجاشع وطيء ونجاح هذه الحملة كان له الأثر الكبير على فتح المجال للهجرة العربية من المشرق العربي، حيث تقوى نظام الاستقرار العربي على مستوى المدن والمراكز القروية القريبة منها ببلاد المغرب[6]،

أمّا في العهد العبيدي، فقد بعثوا من مصر أحلافهم من العرب وكانوا في مجملهم من قبائل بني سليم وبني هلال وأحلافهم من الجشم والخلط والمعقل، وعلى عكس العرب الفاتحين فقد جاؤوا منتقمين من البربر لرد الاعتبار للفاطميين جراء ما أقدم عليه المعز بن باديس، زعيم الدولة الزيرية والذي كان يدعوا لمقاطعة العبيديين بإفريقية والدعاء للعباسيين على المنابر،

---

[1]–هاشمي العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع هجري منتصف القرن العاشر الميلادي، ج1، (1415هـ/1995م)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.المغرب،ط2. ص309.

[2]–ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص54.

[3]–هاشمي العلوي، المرجع السابق، ص309.

[4]–سوادي عبد محمد، صالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري للمطبوعات، ط1، القاهرة، 2004م، ص30.

[5]–ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص72.

[6]–هاشمي العلوي ا،المرجع السابق، ص313.

حيث بقي بنو سليم بإفريقية، بينما تقدم بنو هلال نحو المغرب أكثر دون مقاومة تذكر من صنهاجة أو كتامة[1]، ليكتسحوا بلاد المغرب بحجة الانتقام لبني عبيد، إلّا أنّ وجودهم ومنذ سنة 460هـ ساهم في إثراء عدة جوانب من حياة سكان بلاد المغرب خاصة في تعريب البلاد ونشر العادات العربية كالفروسية والكرم والشجاعة[2]

وعموماً لم يكن العنصر العربي من الكثرة الّتي يقارن بها بالقبائل البربرية، لكن يمكن اعتبارهم في الدرجة الثانية بعدهم آنذاك من حيث العدد، وكان قدومهم على شكل حملات وطلائع فتح وجند مقاتلين يمكن استنفارهم في حالة الحرب وكان أغلب مناطق استقرارهم بالحواضر الكبرى الإفريقية مثل: برقة، القيروان، الأريس، وباجة...الخ.

3- **الأقليات:** والمقصود بالأقليات العرقية هنا هو ذلك الخليط من بقايا الشعوب الفينيقية والبونيقية مع بقايا شعب قرطاجنة ويضاف إليهم بعض العناصر الرّومانية والوندالية والعديد من العناصر البيزنطية على اعتبار انهم آخر احتلال لبلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي، وقد أطلق عليهم المؤرّخون المسلمون عجم إفريقية او الأفارقة الأعاجم[3]، أي أنهم خليط من السلالات منهم السامية من بقايا الفينقيين والقرطاجيين ومنهم من ينتسب إلى الرّومان والبيزنطيين[4]، وحتى أنّ بعضهم يمكن أنّ يكون من الإغريق وتم تمسيحهم[5].

والكثير منهم أسلموا بعد الفتح الإسلامي لكنهم بقوا محافظين على عاداتهم وتقاليدهم وحتى لغاتهم، وكان ولائهم غالباً للقوة المسيطرة ومنهم من تقلد وظائف في ولاية إفريقية مثل عبد الأعلى بن جريح الإفريقي[6]، وابن الكاهنة اليوناني الّذي جعله حسان بن نعمان قائداً من قواده، وقد كان له ذكر في المصادر"وكان لها ابنان الأول بربري والثاني يوناني"[7].

---

[1]-الميلي محمد مبارك، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الشركة الوطنية للتوزيع، (دط)، الجزائر، 1976،ج2. ص180.

[2]-عبد الحميد خالدي، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص ص187-194.

[3]-Gautier Email Félix, Le Passé de L'Afrique du Nord, Les siècles obscurs, bibliothèque historique, Paris Payot, 1937, P05.

[4]-موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص16.

[5]- لقبال، نفسه، ص16.

[6]- لقبال، نفسه، ص16.

[7]-ابن عذاري، االمصدر السابق،ج1، ص64.

وما يمكن استنتاجه من التسمية هذه هو ذلك الخلط بين الدلالة الاثنية العرقية والدلالة الجغرافية على اعتبار الدلالات الّتي تشير إلى انهم استوطنوا نوميديا ككل، وإفريقية والعديد من المناطق الداخلية[1]، فأصبحوا شريحة مهمة في التركيبة السكانية لبلاد المغرب.

إن التركيبة السكانية من غير البربر والعرب عرفت تعقيداً كبيراً ببلاد المغرب الإسلامي خلال فترة دراستنا هذه، كون بلاد المغرب عرفت في هذه الفترة مجموعة من الهجرات البشرية من عديد الاجناس والفئات الإجتماعية.

والملاحظ هنا تلك درجة التسامح وتقبل الآخر الّذي يجود به الدين الإسلامي إضافة إلى الخيرات الطبيعية الّتي حبا الله بها هذه البلاد وكانت وراء قدوم هذه الهجرات خاصة بعد الفتح الإسلامي، وسنحاول أنّ نقف عند العناصر أو القوى المضافة للعنصر البربري والعربي والّتي ألحقها الفعل التاريخيّ للتواصل الإنساني في المجتمع المغربيّ في عصوره الوسطى، والّتي وفدت إلى المغرب على شكل عناصر. إثنياً ونوعياًو وحضارياً[2]، وجاءت بأهداف دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية. فأحدثت نقلة تحولية في العقلية الذهنية والتركيبة الاجتماعية لتفرز لنا فئات عديدة أهمّها:

1- الأفارقة والروم:

من مكونات الخريطة البشرية للمجتمع المغربيّ في القرون الأولى من الفتح الإسلامي، نجد عنصري "الأفارقة أو الأفارقة والروم" وهي العناصر الّتي جاءت إلى بلاد المغرب مع حركة التدخل الخارجي في المنطقة منذ العصر الفينيقي القرطاجي والروماني والبيزنطي، واستوطنت البلاد في المراكز المهمة عسكرياً واقتصادياً[3]، والمهم أنّ هؤلاء ميزتهم المصادر العربية بلغتهم الّتي يتكلمون بها، فلم يتكلموا بالبربرية، بل كانوا يتكلمون باللسان اللاتيني الإفريقي[4]، وكانوا يستوطنون في عصر الأغالبية، إقليم الجريد في قفصة، كما كانت طائفة منهم تقيم في طبنة عاصمة الزاب وفي باغاية وفي السهول الساحلية[5]، وفي نفس الإطار وصفهم اليعقوبي

---

[1]- عبد الواحد دنون، المرجع السابق، ص44.

[2]-هاشمي العلوي، المرجع السابق، ص297.

[3]- هاشمي العلوي، نفسه، ص239.

[4]-السيدعبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،ط1.(د س) ص333.

[5]- عبد العزيز سالم، نفسه، ص333.

قائلاً"أن أهل مدن الساحل وقسطيلية ونفزاوة وبلاد الزاب قوم عجم من الروم والأفارقة"[1]، وكان هؤلاء الأفارقة يدينون بالنصرانية[2]، والظاهر ان هذا ما كان يعنيه الدكتور محمود إسماعيل بقوله:"...والأفارقة وهم أصلاً من البربر الّذين اختلطوا بالروم ودخلوا في خدمتهم واعتنقوا ديانتهم"[3]مما يفسر بقاء المسيحية بفضلهم ولو بشكل ضئيل، وهنا يلتمس أرنولد ذلك في روح التسامح الإسلامي إذ يقول"وإن بقاء الكنيسة المسيحية الوطنية بعد الفتح العربي أكثر من ثمانية قرون، لشاهد على روح التسامح الّتي استطاعت لوحدها أنّ تجعل هذا البقاء أمرا ممكنا "[4]،

وهذا يعني أنّ الأفارقة كونوا طبقة اجتماعية أضيفت للنسيج الاجتماعي المغربيّ، وتربط المصادر حديثها عن الأفارقة بذكر شريحة أخرى وهم الروم، فالروم هم من بقوا من جنس الإمبراطورية الرّومانية والذين كانوا يخدمون بيزنطة قبل الفتح الإسلامي ولم ينجلوا عن قرطاجنة بعد أنّ سقطت في أيدي المسلمين، فدخلت أفواج منهم في الإسلام وأخذوا يستقرون في المدن الإسلامية الجديدة، حيث ظهر في تخطيطها أسماء أحياء خاصة بهم مثل "حارات ودروب الروم"[5]، ومنهم من فضل العزلة وبفضلها ثمّ الاحتفاظ بنقاء دمائهم ولغتهم وتقاليدهم[6]، وكانوا يقيمون في القلاع البيزنطية القديمة مثل طبنة وباغاية وفي مدن الجريد الصغيرة الّتي يبدوا أنها اتخذت ملاذا لغير العرب من اهل البلاد، كما أقام بعضهم في القيروان باعتبارها حاضرة البلاد أملاً في الحصول على عمل يتعيشون منه[7].

---

[1]–اليعقوبي، أحمد ابن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت292هـ)، البلدان، ط1، 1422هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د س) ص102.

[2]– عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص333.

[3]– هاشمي العلوي،المرجع السابق، ص300.

[4]– توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن وآخرون، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت)، ص108.

[5]–المالكي. أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، تح: رياض البكوش، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994، ج1،(د ط) ص401.

[6]–عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص232.

[7]– عبد العزيز سالم، نفسه، ص333.

2- العبيد:

أخذت هذه الطبقة حيزاً كبيراً من اهتمام المؤرّخين والباحثين إلى فترات سبقت العصر الفينيقي والقرطاجي وكلها تجمع على الطابع الاستغلالي لهذه الفئة من خلال تكليفهم بالمهام الشاقة مثل الفلاحة والحروب ومختلف الخدمات الأخرى، فكان عامل استقدامهم لبلاد المغرب مرتبطاً أساساً بنشاطهم كيد عاملة رخيصة وفعّالة، فأفرزت هذه الظاهرة تدفق الهجرات البشرية لهؤلاء العبيد على بلاد المغرب خاصة من مناطق الصحراء الإفريقية والسنغال والنيجر في إطار تجارة الرقيق في العصور الوسطى[1].

والملاحظ أنه وبعد الفتح الإسلامي ازداد عدد هذه الفئة خاصة أنها أصبحت غنيمة حرب مع زيادة عدد المعارك الّتي خاضها المسلمون لفتح المغرب وقرينة ذلك ما فرضه عقبة بن نافع على أهل "ودان" و"جرمة" و"كورا" بعد أنّ خانوا عهودهم معه، ففرض على كلّ منهم ثلاثمائة وستين عبداً[2]، كما أنّ اليعقوبي أشار في كتابه البلدان حول تجارة العبيد حيث قال في هذا الصدد "بلغني أنّ ملوك السودان يبيعون السودان من غير شيء، ولا حرب"[3].

وببروز الدويلات المغربيّة المستقلة أصبح العبيد طبقة مهمة ومستقلة إلى جانب طبقة العرب والبربر، وإن كانوا قد خصتهم تلك الجماعات بمختلف الأعمال الشاقة كما ذكرنا سابقاً، ومن قرائن هذا الوجود ما جاء ذكره، على لسان البكري بقوله "...لا يسكن بوادي سفدد(لوكوس)أبيض اللون إلّا اعتل، وقل ما يسلم من علته، وإنما يسكنه السودان"[4].

وفي العهد الحمادي تفشت ظاهرة الرقيق بتأثير القرصنة الّتي تبادلها المسلمون والنصارى، وكان هذا أمر طبيعي نظراً لجغرافية هذه الدولة ونتيجة الحروب الكثيرة القائمة بين الإسلام والنصرانية، وكان العرب يصفون جميع الرقيق الجرماني والصقلي والسلافي بلفظة صقلي، وربما جاءت هذه اللفظة من كلمة (اسكلاف، بمعنى عبد)[5]، ولا مجال للشك أنّ

---

[1]- هاشمي العلوي، المرجع السابق، ص ص304/303.

[2]-ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ص52/51.

[3]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص78.

[4]-البكري، المصدر السابق، ص87.

[5]-عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، مطبعة الوفاء المنصورة، 1990، ط1.ص237.

طوائف عديدة مشكلة من الروم والزنوج وغيرها والّتي أطلقوا عليها هذا المصطلح، قد عاشوا في المجتمع الحمادي واستقروا فيه كعبيد[1].

وحافظت تجارة العبيد، على انتشارها في الدولة المرابطية لاعتبارات عديدة كمجاورة أراضيها للصحراء ببلاد السودان والأمر نفسه خلال دولة الموحدين، بل أصبح العبيد شريحة مهمةً من الجيش الموحدي خاصة أيام الناصر الموحدي في معركة حصن العقاب وبلغ عددهم ثلاثين ألفاً[2]، وهذا دلالة على أنّ العبيد كانوا متواجدين بكثرة في الدولة الموحدية وتعددت وظائفهم بين النشاط الزراعي بالواحات الزراعية[3]، وبين خدمة بيوتات الأشراف[4] ووظائف الحراسة الخاصة بالخلفاء والأثرياء[5].

وتجدرالإشارة إلى أنّ التوسعات الكبيرة للدولتين المرابطية والموحدية جعلت من العبيد في هاتين الدولتين لا يقتصر على السودانيين فقط، بل أيضاً شملت الأقاليم الأخرى الّتي يدخلونها نتيجة لتوسعاتهم كأسرى، مما زاد من رواج بيعهم في الأسواق المغربيّة.

3- اليهود:

من الثابت تاريخياً أنّ اليهود في غالبهم لم يكن لهم وطن يرتبطون به، وإنما نزحوا إلى أوطان متعددة، وبلاد المغرب واحدة من هذه الأوطان الّتي عنيت بهذه الهجرات ومن نتائجها أنّ استوطن اليهود في بلاد المغرب، وقد أقام هؤلاء المستوطنين بين اطراف قبائل جراوة بالأوراس ونفوسة، وقبائل الأطلس في المغرب الأقصى[6]، وانتشار اليهود ببلاد المغرب كان

---

(1)- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص238.

(2)-ابن أبي الزرع الحسن بن علي الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972(د ط)، ص241.

(3)-الونشريسي. أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربيّة، 1981، ج1.(د ط)ص303.

(4)- الونشريسي، المصدر نفسه،ج1. ص302.

(5)-شرقي نورة، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد المنصور الموحدي، ماجستير في التاريخ الوسيط، غير منشور، جامعة الجزائر، 2008/2007، ص52.

(6)-موريس لومبار، الإسلام. ج1، تر وتع: إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربيّة، 1990،ط3. ص84.

نتيجة عدة أسباب منها ممارستهم مهناً وحرفاً اختصوا بها تعلقت في غالبها بالطب والتجارة، بل انهم كانوا يدفعون الإتاوات كضريبة لحماية قوافلهم التجارية[1]

إن مسألة تحديد جذور تواجد اليهود ببلاد المغرب يعد من النقاط المستعصية والصعبة الّتي أرقت المؤرّخين والباحثين، وهذا ما نلمسه من خلال اختلاف الآراء وامتزاجها بالطابع الأسطوري والخيالي وبين آراء الباحثين والمؤرّخين، ورغم هذا التباين حاول المؤرّخون ربط التواجد الأول لليهود ببلاد المغرب بالوجود الفينيقي[2]، في حين يرى ابن خلدون أنّ البربر هم أبناء كنعان بن حام بن نوح، اعتنقوا اليهودية عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم لقربهم من الشام، وهذا ما يؤكده بقوله "ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية أخذوه عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانه"[3]، بينما هناك من يقول أنهم نتاج فرارهم من بيت المقدس سنة(586ق.م) نتيجة السبي الّذي تعرضوا له وكانت وجهتهم بلاد المغرب[4]. والأكيد أنّ اليهود استغلوا الطابع التحرري للبربر، وقدموا ثوراتهم في قالب يشبه طبيعة البربر لاستمالتهم مثل رفض الخضوع وبالتالي فهم أبناء عمومة[5]، ودعموا هذه الدعوة بالمصاهرات، فأفرز النظام الاجتماعي ببلاد المغرب عائلات بربرية ذات اصول يهودية مثل عائلة: سيجمار، عائلة خلفون وغيرها الكثير من العائلات اليهودية[6].

وبعد الفتح الإسلامي أصبح اليهود إحدى طبقات المجتمع، وعاشوا حياة شبيهة بالحياة الأرستقراطية وكان سبب ذلك طبيعة نشاطهم الممارس كالاشتغال بالصنائع والحرف والأعمال التجارية والطب[7]، وفي العهد المرابطي أدى اليهود دوراً بارزاً بسبب المعاملة الحسنة الّتي حظوا بها، واهتموا بمختلف العلوم كالترجمة من العربية إلى العبرية واللاتينية[8]، مما اوصلهم

---

[1]–جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، 1967، ص16.

[2]–مولود طياب، الفينيقيون حضارة وتاريخ، مجلة الثقافة، عدد/109، وزارة الثقافة، الجزائر.1995، ص155.

[3]–ابن خلدون، العبر، ج6، ص107.

[4]–عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982،ج2. ص54.

[5]–عطاء أبو رية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص28.

[6]–أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980، ص267.

[7]–صالح بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2009، ص20.

[8]–القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص108.

إلى تقلد مناصب رفيعة كمنصب صاحب الشرطة[1]، وهكذا كان اليهود رغم قلتهم مقارنة مع أقرانهم البربر والعرب، إلّا أنهم انتشروا في بلاد المغرب الإسلامي خاصة بمضارب ملياانة ممثلين بذلك عنصراً عرقياً[2] وبعضهم إستقر بصحراء تيكورارين جنوب المغرب الأوسط وهو ما أخبر به حسن الوزان بقوله"...كان بعض اليهود الأغنياء يقيمون بتيكورارين[3].في حين اشار ابن خلدون عن تواجدهم ببجاية بقوله 'كما كان جمع منهم ببجاية"[4].

وصفوة القول أنّ اليهود إستقروا في البوادي والمدن المغربيّة بواقع تجاري وبعدها فضلوا الاستمرار في الإقامة في هذه المضارب محافظين في الوقت نفسه على دينهم ومستغلين سماحة الدين الإسلامي ودخلوا بذلك في فئة أهل الذمة.

4- النصارى:

تشير أغلب المصادر إلى أنّ بداية ذكر النصرانية إقترن بالتواجد الرّوماني ببلاد المغرب وقد سعى هذا الأخير منذ الوهلة الأولى إلى نشرها على حساب المعتقدات الدينية الّتي كان البربر يدينون بها كالوثنية والماجوسية[5]، ويعتبر القرن الثاني للميلاد منطلقاً حقيقياً لاعتناق البربر للنصرانية كدين مستقل عن الإمبراطورية الرّومانية[6]، رغم أنّ هذا الاعتناق كان سطحياً أكثر مما كان إيمانياً وقرينة ذلك أنه في كلّ مرة كان البربر يرتدون عن النصرانية.

ويبدو أنّ انتشار المسيحية ببلاد المغرب تسلل الى مدينة قرطاج عن طريق الموانئ فانتشرت بالمضارب الساحلية عن طريق الرهبان القادمين من مصر وإيطاليا ثمّ انتقلت الى المناطق الداخلية عن طريق الجنود[7] أمّا عن حال النصارى قبل الفتح الإسلامي، فقد كان له ذكر عند ابن خلدون بقوله"كان البربر بإفريقية والمغرب قبل الإسلام تحت ملك الفرنج وعلى

---

(1)–ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص76–77.

(2)–الشريف الإدريسي.محمد بن محمد القرطبي الحسني السبتي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تح وتق وتع/ إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص233.

(3)–الحسن الوزان،المصدر السابق، ج2، ص134.

(4)–ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص106.

(5)–عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، تر: فضيلة الحكيم، دار الحداثة،الجزائر. ط1، 1982، ص21.

(6)– عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، نشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1995،ج1. ص118.

(7)–بديعة الخرازي، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2007، ص28.

دين النصرانية، الّذين اجتمعوا عليه مع الروم"[1]، وبمجيء الفاتحين لبلاد المغرب وجدنا تمركزا للنصارى الرّومانيين تحت الحكم البيزنطي على المناطق الساحلية بالإضافة إلى المناطق الداخلية الّتي سكنها النصارى الّذين فروا من الاضطهاد الّذي عرفوه قبل الحكم الإسلامي، وهكذا أصبح ببلاد المغرب تواجد نصراني بامتداد تاريخي حرصت المراجع النصرانية على تعميق أصالتها بل نسبت كثير الأعمال والمنجزات التاريخية والحضارية إليها ونعتت النصرانية بانها من الديانات الاصلية للبربر[2]، كما بنيت لها الكنائس مثل كنيسة العذراء في العهد الحمادي[3]، وكنيسة سبتة وهي حالياً جامع سبتة القديم[4]، وعموماً فإن النصارى انقسموا بين معتنق للإسلام بعد الفتح الإسلامي وبين متمسك بنصرانيته، مما يفسر بقاء التواجد النصراني ببلاد المغرب الإسلامي، وإن كان بشكل ضئيل، وهنا نجد أنّ أرنولد يعلل ذلك بقوله "وإن بقاء الكنيسة المسيحية الوطنية بعد الفتح العربي بمراكش لممارسة طقوسهم الدينية"[5].

وخلاصة القول أنه لاشك أنّ هناك جالية نصرانية عاشت في ظلال المغرب الإسلامي وتأثرت بمجتمعه، وكذلك أثرت فيه بقدر ما تأخذ الأقلية من المجتمع وبقدر ما تستطيع أنّ تعطي.

5- عناصر أخرى كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً مفتوحاً، يضم في جسمه نماذج مختلفة الجنس والفكر، فموقع المغرب الإسلامي والملمات الّتي ألمت بالمغرب الإسلامي على مدار قرون من الزمن لاسيما من القرن 2هـ إلى القرن6 هـ، ساعد على أنّ يكون مجتمع المغرب الإسلامي مفتوحاً بشكل بارز على عناصر اخرى مما أدى إلى إفراز فئات أصبحت جزء من التركيبة البشرية لبلاد المغرب الإسلامي ومن أهمّها:

أ- **الأغزاز:**

---

[1]-ابن خلدون، العبر، ج6، ص114.

[2]-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص238.

[3]- عبد الحليم عويس، نفسه، ص238.

[4]-الحميري محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1984،ط2. ص305.

[5]-ارلوند. المرجع السابق.ص108

أرجعت العديد من المصادر أنّ دخول الأغزاز لبلاد المغرب الإسلامي كان منذ العهد المرابطي[1]، وبالتحديد مع نهاية القرن الخامس هجري إذ أنه قدم الأتراك العثمانيون الّذين أطلق عليهم غالبية المؤرّخون المغاربة اسم الغز أو الأغزاز إلى بلاد المغرب خلال فترات زمنية متعاقبة[2]، وقد كانت لبراعة الأغزاز في فنون القتال كالرماية والقوس والرمح[3] عاملاً مهماً لاستقطابهم لتدعيم الجيوش الإسلامية، وهو ما تفطن له يوسف بن تاشفين والموحدون من بعده، حيث أصبح الأغراز عماد الجيش الموحدي في المغرب وإفريقية[4]، ولم يبق الحال هكذا بل أصبحت أعدادهم في تزايد في هذه الفترة وفي هذا الصدد كان لهم ذكر عند صاحب البيان بقوله"ومازالوا يكثرون عندنا إلى آخر أيام يوسف..."[5].

وبالرجوع إلى أصول الأغزاز فإننا نرجح أنهم من جنس الأتراك واعتنقوا الإسلام في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، فعرفوا عند المؤرّخين المسلمين باسم التركمان، وتوطن لهم المنشأ ببلاد المغرب.

ب- **الأندلسيون:**

أجمع عديد المؤرّخون على أنّ يصنفوا هذه الفئة على أنها الفئة الثالثة بعد البربر والعرب من حيث العدد، وإن كان تواجدها جاء متأخراً في العصور الوسطى ببلاد المغرب الإسلامي وكان مرتبطاً أساساً بتلك الهجرات من الأندلس إلى بلاد المغرب نتيجة الفترات الحرجة الّتي مرّ بها المسلمون بالأندلس وبداية ضعف المسلمين على مرّ العصور بها[6] وتحوّل المسلمون من أصحاب الديار في الأندلس إلى لاجئين يبحثون عن الاستقرار وهاربين من البطش النصراني لهم، فانطلقوا من الأندلس وصقلية ومالطة وغيرها من الأماكن الّتي عرفت الزحف الصليبي، فكان الحماديون هم الملجأ الّذي يأويهم [7]وقد استقر الأندلسيون بالسواحل كمنطقة

---

[1]-ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص139.

[2]-عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني- دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية-، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1423هـ/2002م،ج1. ص181.

[3]-ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص79.

[4]-ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص187.

[5]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص323.

[6]- المراكشي، المصدر السابق، ص443.

[7]-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص237.

تنس، والّتي كانت مقرا للكثير من النازحين الأندلسيين ولهم بها صلة كبيرة[1]، وكان عصر ملوك الطوائف عهد جديد على المسلمين بالأندلس وأدى إلى تشرد عدد كبير من الأندلسيين من ديارهم، وقد كان لهذا ذكر عند ابن خلدون بقوله"...ولقد تكالب الطاغية على العدوة واكتسح بسائطها أسف إلى قواعدها وأمصارها فأجاز الإعلام وأهل البيوت إلى أرض المغربيّن- الأوسط والأقصى وإفريقية-..."[2]، وعرف القرنان الخامس والسادس الهجريين وتيرة متسارعة للهجرات الأندلسية نحو بلاد المغرب الإسلامي هروباً من جحيم البطش الإسباني خاصة بعد انهزام الموحدين في معركة حصن العقاب الشهيرة، فكانت تلمسان وبجاية وغيرها ملجأ لهم خاصة حواضر المغرب الإسلامي[3].

ج-العجم والفرس:

هم جماعات من المشارقة كانت تقطن بلاد إفريقية والمقصود بالعجم الفرس، هم الّذين قدموا من خرسان وفارس مع جيوش بني العباس على إفريقية[4]، وكان هؤلاء الفرس يؤلفون قسماً هاماً من الجند خاصة في الجيش الأغلبي[5]وبداية من النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. واستقروا في القلاع العسكرية البيزنطية القديمة بقابس والقيروان وبونة وباجة ومجانة أو في القلاع القديمة بإقليم نوميديا الرّوماني الّذي أصبح يؤلف الثغر الغربي للدولة الأغلبية مثل قلاع طبنة وباغاية والأريس[6].

لقد كان للوجود الفارسي ببلاد المغرب تمهيد قديم إذ تقول الروايات أنّ بعض القبائل البربرية في المغرب الأقصى كانت على الديانة المجوسية والّتي هي ديانة أهل فارس[7] إلّا أنّ قلة اهتمام بعض الباحثين بالدور الفارسي ببلاد المغرب[8] قد يفسر بهامشية هذا الموضوع

---

(1)-عبد الحليم عويس، نفسه، ص237.

(2)-ابن خلدون، العبر، ج6، ص675.

(3)-ناصر الدين مولود سعيدوني، التجربة الأندلسية بالجزائر، مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات عبد العزيز العامّة، الجزائر.ط1، 1996، ص82.

(4)-عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص331.

(5)-محمود إسماعيل عبد الرزاق، الأغالبة وسياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000م، ط3.ص14.

(6)- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص331.

(7)-ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص30.

(8)- محمود إسماعيل عبد الرزاق، مغربيات-دراسة جديدة، فاس، ط1، 1977م، ص85.

مقارنة مع ما تزامن من أحداث بالغة الأثر في نفس الحقبة معها كثورات الخوارج البربرية[1]، ورغم هذا كان الوجود الفارسي ببلاد المغرب ظاهراً وله عديد الشواهد، فتشييد قرية "ملشون" بتاهودة خلال فترة الفتوحات يعتبر من أبرز القرائن على تواجدهم ببلاد المغرب. بل انّ هذه القرية عرفت بقرية العجم[2]، وهناك مدن عريقة وضاربة في التاريخ أرجعت تسمياتها إلى تسميات فارسية على غرار مدينة فاس، بإرجاع أصلها إلى مدينة فارس[3]، ومدينة القيروان بإرجاع اسمها إلى التسمية الفارسية كيروان وهي بمعنى القافلة وتم تعريبها، وقد تعني كلمة الجيش نفسه[4].

وقد ساهم الفرس بنصيب كبير في الجهاد بصقلية[5] بل ويشهد التاريخ لدور الفقيه أسد بن الفرات مولى سليم وهو رجل خرساني من نيسابور، وإليه يرجع الفضل في نجاح الحملة الاولى لفتح جزيرة صقلية انطلاقاً من إفريقية وما تلاها من فتوحات[6]، كما كان للفرس دوراً في الحياة الاجتماعية، فنبغ منهم عديد الفقهاء والعلماء من أمثال أسد بن الفرات[7] كما كان لهم دور بارز في مجال الدعوات المذهبية والسّياسيّة، ولدينا في دور سلمة بن سعيد وعكرمة مولى ابن عباس الّذي كان من أصل فارسي في نشر المذهب الخارجي الصفري[8]، وعبد الرحمن ابن رستم في نشر المذهب الخارجي الإباضي والذي اكد ابن خلدون أصله الفارسي هذا[9]، كما كان لعبيد الله العبيدي الدور الكبير في نشر المذهب الشيعي ببلاد المغرب.

المطلب الثالث: النظام القبلي وخصائصه

---

(1)– إبراهيم القادري بوتشيش، الأدوار التاريخيّة والحضارية للفرس في بلاد المغرب منذ بداية انتشار الإسلام حتى القرن الثالث هجري، مجلة عصور الجديدة، العدد 14، 15، سنة 2014م، جامعة وهران، ص26.

(2)–أبو العرب، محمد بن احمد بن تميم التميمي. طبقات علماء إفريقية وتونس، تح: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الجزائر، الدار الوطنية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1985م، ص180.

(3)– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص45.

(4)– محمود إسماعيل، مغربيات، ص90.

(5)– عبد العزيز سالم،المرجع السابق، ص332.

(6)– سعد زغلول، المرجع السابق، ج2، ص217.

(7)–الدباغ، ابو زيد عبد الرحمان بن محمد عبد الله الانصاري.معالم الإيمان في معرفة اهل القيروان، تصحيح وتع: إبراهيم شبور، مطبعة السنّة المحمدية، القاهرة، مصر،.1968،ج2.ط2. ص03.

(8)– إبراهيم القادري بوتشيش، الأدوار التاريخيّة، ص29.

(9)– ابن خلدون، العبر، ج6، ص158.

تعد دراسة النظام القبلي في المغرب في العصر الوسيط عموماً من المواضع المعقدة وهذا لما يصادفه الباحث من عديد العوائق أهمّها شرح المادة التاريخيّة الخاصة بها، وإن كان ابن خلدون يضع الاستثناء في ذلك، وعليه لا يمكن دراسة النظام القبلي في بلاد المغرب إلّا من خلال دراسة القبيلة المغربيّة نفسها ومعرفة خصائصها، وبالرجوع إلى القبائل المغربيّة وخصائصها نجدها تتقاطع في العموم ببعض الصفات يمكن تلخيصها كالتالي:

أولا: خصائص القبائل ببلاد المغرب

أ- المساواة:

هذه صفة ملازمة للقبلية إن قارنا هذا مع مجتمع الحاضرة لأن أفراد القبيلة ملكيتهم مبنية على روح التضامن مما يضعف الفروقات وليس معناه في المطلق انعدام التراتبية بل أنّ روابط الدم وغيرها كانت واضحة انها تبدو أقوى من التراتبية المجتمعية في حد ذاتها.

ب- التدين:

إنّ تبني القبائل البربرية للإسلام استحضر معه العصبية الدينية بل أصبحت أساساً في التركيبة القبلية وفي هذا السياق كان لإبن خلدون عديد الآراء فيه[1]، إذ أنّ الوازع الديني يمد الرابطة الواسعة للقبيلة من خلال تقليصه للتهميش ومنع التفرقة وبث العدالة وهذا كله عكس فترة انتشار الإسلام بالمغرب، حيث كان ما يجمع القبائل العصبية القرابية والّتي جعلت من القبائل البربرية رهينة لزاوية اعتقادية ضيقة[2].

ج- الحرية:

لقد أفرز المجتمع القبلي المغربيّ علاقات تحكم القبائل وإن كانت ظاهرها العصبية فإن باطنها منطق تحكم القوي في الضعيف ومن مظاهر ذلك تلك الضرائب الّتي كانت تتكبدها القبائل الضعيفة[3] وكان نتاج ذلك عديد الثورات تحت شعار الحرية ورفض الغلبة وربما هذا ما يفسر ذلك الصراع التقليدي بين قبائل البتر والبرانس.

د- التضامن:

---

[1]- محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص106.

[2]- محمد نجيب بوطالب، نفسه، ص106.

[3]- محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي- محدداته وتجلياته- نقصد العقل العربي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء. 1990، ص102.

لقد اعتبرت القبيلة ملجأ حصينا للفرد ووسيلة للدفاع الإثني ضد كلّ من هو مسلط من خارج القبيلة، وكانت القبيلة هي المرجعية الأساسية الاولى في التعبير الفردي أو الجمعي[1]، فأسقط تصرف الفرد على تصرف القبيلة ككل، لذلك فإن صفة التضامن المطلق كانت هي الميزة الأساسية الّتي ميزت أفراد القبيلة في أوقات الشدة والرخاء على السواء[2]، إذْ ليس بمقدور الفرد أنّ يبقى طليقاً دون انتماء قبلي بل وجب عليه أنّ يخلص كلّ ولائه لقبيلته وفي مقابل ذلك تضمن له حمايته والوقوف بجانبه فتجعله يشعر بالأمان والطمأنينة[3].

هـ-العصبية:

يعرفها إبن منظور بقوله "بأنها تستمد من أصل كلمة "عصب" والعصب بمعنى أطناب المفاصل الّتي تلائم بينها وتشدها"[4]، أمّا تعريفها في المطلق فدلالاتها تحث على نصرة الأولياء والأقرباء ظالمين أو مظلومين، إذا فهي رابطة معنوية ذهنية تصل وشائج القربى وتشد اللحمة بين الأقرباء والأولياء[5]، أمّا تعريفها في الشق الاصطلاحي فقد لخصها ابن خلدون بوصفها أساس القوة الجماعية الّتي تمنح القدرة على المواجهة[6]، وبعيدا عن التكلم عن أثر العصبية على القبيلة ودورها في تأسيس الدول وأفولها فإننا سنكتفي بالقول أنّ العصبية القبلية كانت من أهمّ ميزات القبيلة المغربيّة حتى قبل العصور الوسطى.

و-القرابة والنسب:

ولولا الإعتقاد التام في النسب لتفككت القبائل وانحلت الأواصر الداعية للقرابة والالتحام[7] والنسب عماد العصبية القبلية، كما ان هناك أنواع عديدة من النسب منها النسب بالحلف أوالجوار ويعرف بنسب الاستلحاق سواء ألحق شخص أو جماعة أو قبيلة بكاملها بنسب معين فتذوب فيه مع مرور الزمن[8]، وهناك أيضاً النسب بالعتاقة ويكون ذلك بعتق عبد، أو أسير

---

(1)- محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص107.

(2)-SURDON :Institution et Coutumes Des Berbères Du Maghreb, Tanger/Fés, 1936, P285.

(3)- جودت عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص251.

(4)-ابن منظور، المرجع السابق،ج2. ص790.

(5)-بوزياني، ملامح تاريخية، ص195.

(6)-الجابري، العصبية والدولة، ص168.

(7)- بوزياني، ملامح تاريخية، ص180.

(8)-جواد علي، المصدر السابق.ج4.ص ص391-353.

أو أكثر، ثمّ إلحاقه بنسب سيده الأول أو آسره[1]، كما أنّ القرابة المبنية على رابط الدم كانت تؤجج العصبية كلما ضاقت حلقاتها، ولو أنّ اصطلاح القرابة في الأنثروبولوجيا لا يعني علاقات العائلة والزواج فقط بل يعني أيضاً المصاهرة.

وصفوة القول أنّ القرابة والنسب كانت من أهمّ خصائص القبيلة على مرّ العصور.

ثانيا: التنظيم القبلي

ظلت القبيلة المغربيّة على امتداد العصر الوسيط، تمثل قاعدة اجتماعية لتنظيم القبائل الّتي كانت تتمثل في تجمع عدد من العشائر، ومجموعة هذه العشائر تشكل فرقة يحكمها شيخ، وهذه القبائل ليست غريبة عن بعضها البعض بحيث تنتسب إلى نسب واحد، وهي تتكون في القاعدة من الخلية الأولى وهي الأسرة المؤلفة من أب وزوجة او عدة زوجات وأبناء[2]، ثمّ ترتفع إلى مستوى العشيرة وهي فئة صغيرة من الأقرباء مشكلة من أسر عديدة يعتقد أعضاؤها في انتمائهم إلى أصل واحد(جد أو جدة) ويعيشون ضمن أرض مشتركة في أحياء متقاربة ومتجاورة وتجمعهم روابط عديدة[3]، ثمّ ترتقي إلى مرتبة العمارة الّتي تجمع عشائر شتى امّا عن طريق الجوار أو المصلحة المشتركة أو المصاهرة وتنتهي في القمة بالقبيلة الّتي تضم عدة بطون تجمع بينها وحدة الدم والنسب[4]، هذا على مستوى الخلايا الاجتماعية المكونة للقبلية.

أمّا على صعيد التنظيم السياسي فالمصادر تشير أنّ لكل قبيلة شيخ يقودها، لكن لا يوجد نصوص واضحة تبين طريقة اختيار هذا الشيخ إلّا من خلال إشارات تعطي الانطباع أنّ اختيار شيخ القبيلة يكون بالإتفاق والتناقش الحر لصالح العضو الأكثر نفوذاً لشغل منصب شيخ القبيلة[5]، كما زودنا ابن حوقل بنص مقتضب في نفس السياق بقوله:"...فيهم ملوك ورؤساء ومقدمون في القبائل يطيعونهم فلا يعصونهم ويأمرونهم فلا يخالفونهم"[6] وكان يتم

---

[1]–جواد علي، نفسه.ج4،. ص366.

[2]– إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث، ص230.

[3]– بوزياني، العصبية،ص192.

[4]– إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث، ص231.

[5]–لوسيت فالنسي، المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر، 1790–1830، ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، 1980،ط1. ص129.

[6]–ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1992م،ط2. ص97.

تمييز شيخ القبيلة داخل النسيج القبلي ذاته إذ كانت تنصب له خيمة وسط بقية الخيام الأخرى، ويختار لها مكاناً أرفع مقارنة بغيرها[1].

وعلى كلّ حال فإن إنتخاب شيخ القبيلة لم يكن بالشكل العشوائي بل كانت تضبطه عديد المعايير والمواصفات مثل معيار النسب الصريح للقبيلة الّتي رشح نفسه لرئاستها ومعيار الشرف والحسب[2]، ولم تكن مهام شيخ القبيلة بالأمر الهين إذ كانت تتنوع مهامه حسب حاجيات القبيلة الّتي يشرف عليها، فهو مكلف بمراقبة مواسم الحرث والحصاد وتقسيم الأراضي بين العائلات إذا كانت الأرض مشاعة، وينظر في قضايا توزيع مياه الري وتخصيص المراعي واختيار مكان استقرار القبلية إذا كانت القبيلة تمارس حياة الترحال الموسمي[3]، لذلك فليس غريب أنّ رئاسة القبيلة لم تكن من الأمور الّتي يتوق إليها الأفراد دائماً، ولنا في رفض الجوهر بن سحيم لرئاسة قبيلة لمتونة قبل موته خير قرينة على ذلك[4]، إضافة إلى ذلك كانت لكل عشيرة منتدب عليها يمثلها في المجلس العام للقبيلة الّذي يختار من بين أعضائه رئيساً، يعطى له تفويض باتخاذ القرارات المصيرية ويتولى قيادة التشكيل القبلي[5]، ورغم أنّ منصب شيخ القبيلة كان وراثياً في أغلب الأحيان إلّا أنّ المجلس الاستشاري أو مجلس الأعيان كانت له الكفة العليا في إحداث التوازن في قرارات شيخ القبيلة كونهم تمتعوا باحترام وطاعة كبيرة من أفراد القبيلة، ويبدو هذا راجعاً لاقتناعهم بعدالة ممثليهم في مجلس الأعيان مما يفسر تلك الطاعة له[6].

وبما أنّ القبيلة تشكل مجتمعاً بشرياً فإن طبيعة الحياة داخلها تتطلب شكلاً من الضبط الإجتماعي متشكلاً أساساً من مجموعة من القواعد والأعراف والأسس تضمن استمراريتها وتوسعها، ويحقق لأفرادها السكينة والعيش المضمون لذلك كان لزاماً الالتزام بمجموعة من

---

(1)-Laugier de Tassy, Histoire du Royaume d'Alger, Henri du Sauzet Amsterdam, 1927, PP44,45.

(2)–إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث، ص232.

(3)– بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتورة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2008/2007، ص396.

(4)– إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث، ص232.232

(5)–مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص ص259–260.

(6)– جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص252.

المتطلبات من خلال ما جاءت به العادات من ردع للإنحراف وانتشار الجريمة مستعملة في ذلك روح التضامن الموجودة داخل القبيلة نفسها ومستخدمة سلطة شيخ القبيلة وروح الانتماء للقبيلة الّتي تفرضها العصبية القبلية، وأما في مجال تحقيق القانون وتوقيع العقوبات داخل النسيج القبلي فقد لجأ مجلس أعيان القبلية في ذلك إلى مجموعة الوسائل الاجتماعية تمثلت في الدية، التشهير، الذم، النفي والطرد من القبيلة وإيقاع العقوبة بمن يخرج عن طوعها او يخالف أعرافها بما ينسجم مع طبيعة الجرم المقترف[1]، وتجدر الإشارة هنا أنّ مجلس أعيان القبيلة تحت سلطة شيخها تبث في كلّ القضايا المعروضة أمامها لتنظر في طبيعة أي مشكلة مهما كان نوعها وهذا ما يعطي الإنطباع أنّ مجلس الأعيان والشيوخ كان يحظى بسلطة مطلقة في التنظيم القبلي، والأعمال الّتي تمارس بسببها عمليات الضبط الاجتماعي والّتي تختلف بين جرائم كبرى وصغرى، وتختلف أيضاً العقوبات بإختلاف الجرائم وأنواعها، فعند وقوع جريمة القتل يقوم أهل القتيل بالثأر له أو تقوم القبيلة بهذه العملية نيابة عن ذويه إنّ كانت الجريمة وقعت من شخص خارج القبيلة،وبلغت العقوبة للإعدام احيانا فمثلا في العرف القبلي قد يتعرض الزاني لعقوبة الإعدام[2].

وصفوة القول أنّ التنظيم القبلي رغم تعقيده وشح المادة الخبرية حوله إلّا أنه يمثل بلا شك رمزاً لقوة القبيلة من خلال النظام العشائري السائد في كلّ قبيلة، وتداخل الروابط السّياسيّة والاجتماعية وحتى الاقتصادية لكل القبائل لبلاد المغرب.

---

[1]–مزوري مومن، النظام القبلي في الجنوب الجزائري–قبيلة ذوي منيع أنموذجاً– مجلة آفاق علمية محكمة.الجزائر، مجلد 09، العدد02، السنّة 2017، ص218.

[2]–سعيد فالح الغامدي، البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية، المكتب الجامعي الحديث، ط5، 1990، ص32.

المبحث الثاني: الخارطة القبلية والمجال بالمغرب الإسلامي

المطلب الأول: القبائل المغربيّة أنسابها ومواطنها

شهدت بلاد المغرب توافد العديد من الأجناس منذ فجر التاريخ البشري سواء على شكل هجرات مثل هجرة الفينيقيين من جنوب لبنان إلى بلاد المغرب سنة(1500 ق م)، أو على شكل غزوات استيطان مثل الغزو الرّوماني سنة(40 ق م) أو الغزو الوندالي سنة (429 م) وبعده البيزنطي سنة (534م)، أو حملات الفتح الإسلامي (27هـ/647م) والّتي دامت ما يقارب السبعين عاما[1]، أو موجات التعريب والتهجير مثل الهجرات العربية أو ما يعرف بتغريبة بني هلال الّتي حصلت منتصف القرن الخامس للهجرة، فكل أشكال الهجرة المذكورة ولدت تنوعاً ببلاد المغرب غداة الحكم الإسلامي.

اولا: أهمّ القبائل البربرية:

هم أمّة قديمة الذكر، سكنت بلاد المغرب في أزمنة غابرة، وانحدرت من نسل المغاربة القدماء مع من انضاف إليهم ممن كان قد هاجر إلى بلادهم غازياً أو لاجئاً، وفي هذا السياق قد خصهم ابن خلدون بوصف جامع إذ يقول فيه"هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم ملؤا الجبال والبساط من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره"[2]ويقول ابن منصور "انحدروا من أصلاب المغاربة القدماء، مختلطين مع مرور الزمن بمن كان ينحاز إلى بلادهم وينضاف إليهم من القبائل المهاجرة والشعوب الغازية حتى أصبحوا أمّة متميزة بلغة وعادات ومزاج وأسلوب خاص في الحياة"[3]

ومنهم من يقول أنهم قدموا إلى إفريقية من جنوب فلسطين عن طريق مصر حوالي سنة(1300ق م)، ويؤكدون بأنهم ساميون من أبناء مازيغ بن كنعان[4]، أمّا البكري فإنه انسبهم إلى ولد كنعان بن حام وأنهم اوزاع من اليمن، لذا فهم من ولد بر بن قيس بن عيلان[5]، أمّا

---

(1)–علي محمود عبد اللطيف الجندي، البربر في إفريقيا في العصر الأموي، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، 1995م، مقدمة الكتاب رقم (ص.ج).

(2)–ابن خلدون، العبر، ج6، ص116.

(3)–عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص261.

(4)–الحموي ياقوت الحموي، المصدرالسابق.ج1، ص368.

(5)– البكري،ابوعبيدعبدالله بن عبد العزيز بن محمد،المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، تح:عبد الله أنيس الطباع،عمر أنيس الطباع،مؤسسةالمعارف للطباعة والنشر، بيروتن1987م،.ج1، ص44.

ابن الأثير فخصهم بالإنتساب إلى الملك جالوت أي أصلهم من الشام وبموت الملك جالوت تم طردهم من فلسطين إلى بلاد المغرب فاتجهوا نحو إفريقية والزاب ورابطوا بها[1]، وقد قسّم النسابة العرب البربر بنفس شاكلة النمط العربي (عدنانيون وقحطانيون)، وقسموا البربر إلى جذمين كبيرين هما: البتر نسبة إلى مادغيس بن بر الملقب بالأبتر وهم قبائل رحّالة لا يعرفون استقرار بمكان واحد، انتشروا على سفوح الجبال وضفاف الأنهار بحثاً عن الكلأ والماء والمراعي الخصبة، والجذم الثاني هم البرانس نسبة إلى برنس بن بر فسموا برانس[2]، وقد سكنوا المدن، وتحضروا بالحضارة اللاتينية وهم على ما يبدو أشد تجذرا بالأرض.

أ- قبائل البتر:

سنتطرق لذكر بطون البتر وقبائلهم ومطارحهم، وهنا نرجع لما قاله ابن خلدون عن البتر أبناء مادغيس الأبتر إذ يقول "كان مادغيس الأبتر جد البرابرة البتر، وكان ابنه زحيك ومنه تشعبت بطونهم فكان له من الولد فيما يذكر نسابة البربر أربعة، نفوس وأداس وضرا ولوا"[3] والامر نفسه اورده ابن حزم في كتاب الجمهرة بقوله:"...ولد مادغيس زحيك، فولد زحيك ضري ولوى الكبير ونفوس وأداس"[4]، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ كثرة قبائلهم أدت بهم لشغل نطاق واسع من بلاد المغرب، وعرفوا بطابع البداوة وسكنوا بجوار المراعي الخصبة والماء الكثير[5].

وكان وجود الكلأ هو عنواناً لترحالهم بحثاً عليه وانتشروا في أقاليم النخيل المحصورة من غدامس إلى السوس الأقصى، وطابع البداوة ألبسهم ثوب الرجل المحارب، وهذا ما يفسر دورهم الكبير في نشر الإسلام بالمغرب والأندلس[6]، وهنا سنتطرق لذكر أهمّ بطون البتر.

---

[1]- ابن الأثير، المصدر السابق.ج2، ص428.

[2]-ابن حزم، المصدر السابق، ص192.

[3]-ابن خلدون، العبر، ج6، ص149.

[4]-ابن حزم، المصدر السابق، ص462.

[5]-لقبال، المغرب، ص17.

[6]-خليل إبراهيم السامرائي وآخران، تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلام، لبنان.ط1، 2004، ص19.

1- نفوسة:

تسميتهم نسبة إلى بنو نفوس بن زحيك بن مادغيس الأبتر[1] وكانوا من أعظم القبائل الامازيغية عدداً وقوة، وهم جميعاً ينتسبون إلى بطن واحد ممثلاً في نفوسة[2] فيهم شعوب كثيرة مثل بني زمور وبني مكسور وماطوسة[3] وكان هناك بطون لنفوسة في مجال قبيلة بني خلفون بالمغرب الأوسط وعلى ضفاف واد يسر، وبنو مكسور، وكان بعضهم الآخر مندمجون ضمن قبيلة آيت وسير بالمغرب الأقصى[4].

2- أداسة:

وهم أبناء أداس بن زحيك بن مادغيس الأبتر[5]، وبحكم الجوار والتحالفات فإن مواطنها تتداخل مع مواطن هوارة، فاستقروا بين برقة وطرابلس وقطنت بطون منهم الصحراء مع أحياء لمطة بمحاذاة السودان[6] وما يقال عن هوارة يصح قوله عن قبائل أداسة[7].

3- بنو لوا:

يتفرع أبناء لوا الأكبر إلى فرعين كبيرين هما بني نفزاو (نفزاوة) وبني لوا الأصغر (لواتة) فالذين حملوا نسب لوا، هم أبناء لوا الأصغر، الّذي سمي باسم أبيه بعد أنّ مات والداه قبل ميلاده[8]، وأما نفزاوة فهم أبناء يطوفت بن نفزاو بن لو الأكبر ابن زحيك، فلوا الأكبر وضري اخوان وأبوهما زحيك، بن مادغيس الأبتر، ولنفزاوة بطون عديدة أهمّها زنتيمة بساحل برشك وزهيلة بنواحي بادس وسوماتة بنواحي القيروان وغساسة ومرنيسة لا يعرف لهم موطن قار والأمر نفسه لمجردة وورسيف ومكلاته، أمّا ولهاصة فهي أمتان أحدهما بساحل تلمسان

---

(1)-عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص308.

(2)-بوزياني، القبائل، ص254.

(3)-ابن خلدون، العبر، ج6، ص230.

(4)-عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص308.

(5)-بوزيان، القبائل، ص82.

(6)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص170-229.

(7)- بوزياني، القبائل، ص83.

(8)- بوزياني، نفسه، ص218.

والأخرى ببسيط بونه أمّا ورفجومة فتبعثرت امتانها وتفرقت على القبائل وبقي منهم فرقة بمرجانة[1]، أمّا لواته فهم أبناء لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك، فلوا الأصغر ونفزاو أخوان[2].

وفي هذا السياق قول ابن خلدون "...ولوا اسم أبيهم، والبربر إذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الألف، والتاء، فصارت لوات، فلما عربته العرب حملوه على الأفراد، وألحقوا به هاء الجمع"[3]، وتتواجد مواطن لواتة في واحات برقة وجبال الأوراس وأرض الزاب وضواحي تيهرت على واد ميناس وخلف الجبال المطلة على متيجة وجنوب قابس وصفاقس وسهل تاكرارت بضواحي بجاية[4].

4- بنو ضريسة:

وتنتسب إلى ضري بن زحيك بن مادغيس الأبتر[5] وتنسب قبائلهم كلها إلى ولديه تمصيت أو تمزيت كما في الجمهرة[6] وأخيه يحي ابن ضري[7] وأشهر قبائلها:

أ-**بنو فاتن:** ومن أهمّ بطونها:

1- كومية:

وهي قبيلة عبد المؤمن بن علي الموحدي(ت558هـ) والّتي استوطنت المغرب الأوسط بمنطقة أرشكول وتلمسان وتحولوا إلى مراكش في العهد الموحدي.

2- لماية:

وهي أكبر قبائل ضريسة، استوطنت مضارب جبل كزول، واستقرت بعدها في تيهرت في العهد الرستمي وبسقوط الدولة الرستمية تشتت قبيلة لماية في الأقطار واستقر بعضهم في

---

[1]-مبارك الميلي، المرجع السابق.ج3، ص731.

[2]- بوزياني، القبائل، ص243.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 253.

[4]- بوزياني، القبائل، ص253-254.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 126.

[6]-ابن حزم، المصدر السابق، ص462.

[7]-بوزياني، القبائل، ص83.

فرندة[1]وانقرض منهم الكثير بسبب الحروب ومن بين مابقي منهم طائفة في جربة بساحل تونس[2].

3- مديونة:

وهي من قبائل فاتن أيضاً استوطنت بطونها أطراف تلمسان بين جبل بني راشد والجبل المنسوب إليهم قبلة وجدة[3].

4- مطغرة:

من قبائل بني فاتن وتتميز هذه القبيلة بوفرة اعدادها واستوطنت البحر بجوار كومية، واستوطنوا جنوب مدينة فاس واطراف سجلماسة[4].

5- مطماطة:

هم إخوة لماية ومطغرة من ولد فاتن ابن تمصيت[5] واسم أبيهم مصكاب ومطماط ليس إلّا لقباً لهم[6] أمّا موطنهم فقد فصل فيه ابن خلدون ما بين فاس وصفروي ومنهم من رابط بجهات قابس، كما كانت مواطنهم بتلول منداس عند جبل ونشريس وجبل كزول من نواحي تيهرت[7]، وكان لهم دور كبير في عهد الزيريين بالمغرب[8].

6- مغيلة:

من قبائل بني فاتن ويمكن حصر مواطن مغيلة في منطقتين الاولى بالمغرب الأوسط حول مصب نهر شلف بضواحي مازونة، أمّا المنطقة الثانية فهي بالمغرب الأقصى وتمتد من مدينة فاس إلى صفروي فمكناس وتازة[9].

---

[1]-مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص563.

[2]- بوزياني، القبائل، ص106.

[3]-عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص309.

[4]- بوزياني، القبائل، ص116.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 14.

[6]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص310.

[7]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص251-254.

[8]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص310.

[9]-بوزياني، القبائل، ص129.

ب-**بنو يحي:** وهم ثلاثة فروع:

1- بنو ورصطف:

ابن يحي بن ضري له ثلاثة فروع هي أوكتة ومكناسة ورتناج، وسنخص بالذكر قبيلة مكناسة بسبب دورها العام.

أ-**مكناسة:**

وهم أبناء مكناس بن ورصطف بن يحي بن ضري ونظراً لكبر مكناسة وتشعب أحيائها يمكن وضعها في مرتبة شعب أو جمهرة[1]، وأما مواطنهم فقد امتدت على طول واد ملوية مشتملة على نواحي تازة كما استقروا بمنطقة عمي موسى بغليزان حاليا، ولهم ذكر عند ابن خلدون أنّ منهم أوزاع بين إفريقيا والمغرب الأوسط[2].

2- بنو سمكان أو زواغة:

وهم أبناء سمكان بن يحي بن ضري بن زحيك بن مادغيس الأبتر، وذكر عبد الوهاب بن منصور انهم ينقسمون إلى ثلاثة بطون وهم: بنو واطيل بن زاوغ، ودمر بن زواغ، وبنو ماجر بن تيفون بن زواغ[3]، أمّا مواطنهم فقد أكد ابن خلدون على انهم كانوا بنواحي بجاية وتدلس[4].

3- جانا أو شانا أوزانا بن يحي:

وتنتسب زناتة إلى شانا أو (جانا) بن يحي بن صولات بن ورماك بن ضري بن زحيك بن مادغيس بن بربر[5] والأكيد أنّ هناك تضارب في ذكر نسبهم فنجد أنّ ابي زيد وهو-كبير زناتة- يقول بأن البربر بن نسل برنس فقط وأما البتر فليسوا من البربر، وزناتة منهم وإن كانوا كلهم إخوة برجوعهم إلى كنعان بن حام[6] وهناك من يؤكد رجوع نسبهم إلى العرب وسار في

---

(1)- بوزياني، القبائل، ص130.

(2)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص180.

(3)-عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص311.

(4)-ابن خلدون، العبر، ج6، ص262.

(5)- ابن خلدون، نفسه، ج7، ص08.

(6)- ابن خلدون، نفسه، ج7، ص04.

هذا الاتجاه شاعر البلاط المريني أبو فارس المازوزي[1]. بل حتى أنه استمات في الدفاع عن أصالة وعروبة زناتة، وهذا الاتجاه لقي دعماً من صاحب كتاب الذخيرة السنية وذلك بتأكيده أنّ قبيلة زناتة يعود أصلها إلى بر بن قيس عيلان والذي هاجر من نجد إلى مستقر أحواله البربر وكانت قرينته على ذلك الخطاب الّذي ارسله حسان بن النعمان والذي يدعوهم فيه إلى الدخول إلى الإسلام، فوافقوا على عرضه بوثيقة ود وإخاء[2]، وقد استوطنت قبائل زناتة ببلاد المغرب قاطبة مع وجود السواد الأعظم منهم في المغرب الأوسط وهو ما ذهب إليه ابن خلدون بقوله"ومواطنهم في سائر مواطن البربر في إفريقيا والمغرب...والأكثر بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم، فيقال وطن زناتة ومنهم بالمغرب الأقصى أمم أخرى"[3]، وهم حسب رواية ابن حزم ثلاثة أحياء "الدّيديت، ودرسيج، وفريني"[4].

أ- جراوة:

وهم أبناء جراو بن الديرت بن جانا[5] استوطنوا إفريقية وبلاد المغرب وكانوا في قوة وكثرة وسمع صيتهم منذ بداية الفتح الإسلامي عامّة وفي عهد الكاهنة خاصة، لكن تمكن المسلمون من القضاء عليهم وتفرق شمل جراوة بانتقال جزء كبير منهم للاستقرار بسواحل مليلة بالمغرب الأقصى وأشهر بطونهم بنو غفجوم بنواحي تادلا بعلمائه وأدبائه وتنتشر جراوة بإفريقية والمغرب الأوسط خاصة بجبال الأوراس[6].

ب- بنو يفرن:

هم أبناء يفرن بن يصلتين، وجدهم الأكبر هو زانا ابن يحي وإخوانهم هم مغراوة، وبنو يرنيان، وبنو راسين، وأهم الأحياء المتفرعة عنهم هم بنو واركوا ومرنجيصة[7]، وكان لبنوا

---

(1)-الملزوزي،ابي فارس عبد العزيز الملزوزي المكناسي. نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، تصدير: عبد الوهاب بن منصور، المكتبة الملكية، ط1.الرباط، 1382هـ/1963م..ص06.

(2)- محمد عبد الله العموري، أحمد جاسم محيميد، قبيلة زناتة وأثرها في حركة الخوارج بالمغرب العربي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل،بغداد. العدد23، تشرين 2015، ص318.

(3)-ابن خلدون، نفس المصدر، ج7، ص3.

(4)-ابن حزم، المصدر السابق، ص462.

(5)-بوزياني، القبائل، ص146.

(6)-القيرواني. أبو إسحاق إبراهيم الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تق، تح، تع: محمد زينهم محمد غرب،، دار الفرجاني، القاهرة،ط1. 1994.ص46.

(7)- بوزياني، القبائل، ص156.

يفرن ذكر في أخبار بلاد المغرب، إذْ كانوا متحالفين ضمن القبائل الأمازيغية بهدف مقاومة الفتح الإسلامي ثمّ الأمر نفسه ضد ولاة بني أمية بقيادة ميسرة المطغري، وشاركوا في حلف أبي يزيد مخلد إلى أنّ دبّ فيهم الضعف فتفرقت جموعهم على سائر بلاد المغرب الإسلامي.

ج-مغراوة:

وهي من كبريات القبائل الزناتية[1]، ويعود نسبهم إلى مغراو بن بصلتين أي أنهم ينتسبون إلى يصلتين[2]وسميت مغراوة نسبة إلى جبل مغراو المحاذي لمدينة مستغانم حالياً[3] وكانت قبيلة مغراوة قبيلة أهل البأس والغلب وكانت لهم رئاسة زناتة من قبل الفتح الإسلامي للمغرب[4]، وكان إسلام هذه القبيلة مبكراً إذْ التقى رئيسها صولات بن وزهار بالمدينة بعثمان ابن عفان (رضي الله عنه) وبني امية بعده وقد أنشأوا عديد الإمارات ببلاد المغرب كإمارة بني خزر بتلمسان وإمارة آل زيري بن عطية بفاس وإمارة بني خزرون بسجلماسة وإمارة فلفول بن سعيد بطرابلس، وإمارة لقوط المغراوي بأغمات وبنو منديل في الشلف ومازونة[5].

والجدير بالذكر أنّ لهذه القبيلة أفخاذا كثيرة منها: بنو سنجاس وموطنهم بالجريد والزاب وجبل راشد، وقد تغلب عليهم بنو هلال وبنو بورسعيد وكلهم بوطن الشلف[6]، أمّا بنو لغواط فكانوا بين جبل راشد وبلاد الزاب وقال في حقهم ابن خلدون"...وهم مشهورون بالنجدة والامتناع من العرب والمحقق عند أهلها وأعرابها أنّ الهلاليين تغلبوا على أطراف مدينتهم"[7]، أمّا بنو يرنيان أبناء زانا ابن يحي فكانت مواطنهم الأصليّة تمتد بين سجلماسة وكرسيف[8]، ومن أهمّ زعمائهم الشيخ عنان الّذي عايش فترة حكم يعلى بن محمد اليفرني[9]،أما قبيلة وركلا فمضاربها

---

(1)-عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسن مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية.الرباط، ط1، ص08.

(2)- محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، (د ط).ص19.

(3)- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص49.

(4)- سنوسي يوسف إبراهيم، المرجع السابق، ص60.

(5)- بوزياني، القبائل، ص160.

(6)-امبارك الميلي، المرجع السابق، ج3، ص721.

(7)- امبارك الميلي، نفسه، ص720.

(8)- بوزياني، القبائل، ص167.

(9)-مؤلف مجهول، مفاخر، ص94.

جنوب الزاب ولهم ممر مستبحر بعمرانه ويبعد عن بسكرة ثماني مراحل إلى الجنوب الغربي[1] ويعرف رئيسهم باسم السلطان[2]، وفي المغرب الأقصى كانت تعيش بطون ورا المغراوية خاصة في المنطقة الّتي بنيت فيها مراكش[3]، أمّا قبائل ومانوا فتوسعوا في مساحات واسعة من إقليم المغرب الأوسط وجنوب المغرب الأقصى وسميت بلادهم بوطن توات وصنفهم ابن خلدون في نطاق قبائل زناتة[4].

أما قبيلة بنو دمر فلها عديد البطون مثل بنو ورنمة وبنو ورنيد الّتي تفرعت بدورها إلى أفخاذ مثل بنو ورتاتين وبنو غرزول[5] واستقر بني دمر في نواحي طرابلس وجبالها، كما عاش الظوعن منهم في نواحي غرب إفريقية وتفرعت عنهم بطون عديدة[6] مثل بنو برزال الّذين امتازوا بوفرة عددهم، وكانوا قاطنين بارض المسيلة والزاب الاسفل حول سطيف وطبنة وميلة وحيل سالات الّذي عرف بجبل برزال[7]، أمّا قبيلة بنو يلومي فكانت على ود كبير وبمصير مشترك مع بنو ومانو[8]، أمّا قبيلة بني واسين فكان نطاقهم الجغرافي بين الزاب وسجلماسة وبنو عبد الواد بتلمسان وبنو توجين بالونشريس إلى المدية وأما مضاربهم فهو بالوطن المعروف بهم اليوم مزاب[9].

ب-أهم قبائل البرانس:

1- قبيلة أزداجة:

لم تذكر المصادر الّتي تيسر الوصول إليها اسم أبيهم أو حتى سلسلة أجدادهم إلّا أنه تصنفها على انها قبيلة من قبائل البرانس[10] في حين يرى البعض الآخر أنّ أزداجة،

---

(1)-الحميري. المصدر السابق، ص600.

(2)-ابن خلدون، العبر، ج7، ص107.

(3)-سنوسي يوسف إبراهيم، المرجع السابق، ص63.

(4)- ابن خلدون، العبر، ج7، ص74-75.

(5)-ابن عذاري،، المصدر السابق، ج3، ص113.

(6)- محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبيةبالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب،(د ط)،الجزائر، ص21.

(7)-موسى أحمد بنى خالد، المرجع السابق، ص60.

(8)- بوزياني، القبائل، ص178.

(9)- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج3، ص721؛ أنظر ابن خلدون، العبر، ج7، ص132.

(10)- بوزياني، القبائل، ص08.

وزداجة قبيلتان متباينتان، فالأولى نسبها إلى زناتة البترية والثانية نسبها إلى هوارة البرنسية[1]، أمّا مواطنهم فكان ذكرهم بنواحي وهران عند ابن خلدون كما كان لها ذكر في مضارب سبتة وفاس عند لقبال[2].

2- قبلة أوربة:

من نسل أورب بن برنس[3]، وكانوا أيام الفتح من القبائل الّتي لها الكثرة والغلب لوفرة عددهم وعرفوا بزعامّة كسيلة بن لمزم ومن بطونها زغيوة وديقوسة، مزياتة ولجاية[4]، وقبيلة أوربة لا تعرف مضاربها بالتحديد وما تمّ ذكره أنّ مطارحها بأوزاع قرب تلمسان وميلة وقرب واد ريعة شمال إقليم فاس[5]، وكانت لهم طائفة حول نقاوس[6].

3- قبيلة أوريغة

هم أبناء أوريغ بن برنس الّذي خلّف أربعة من الأبناء هم: قلدن، ومغرو، وملد، وهوار[7]، وتجدر الإشارة إلى أنه هناك اتجاه من النسابة يقول بأن شعوب أوريغة وقبائلها من عرب اليمن[8]، وقد تفرع عن أبناء أوريغ بطون كثيرة[9]، أمّا مضاربها فقد أشار إليهم ابن خلدون في المنطقة الممتدة من طرابلس إلى برقة[10]، وكان لها بطن يسمى بني ونيف بضواحي تبسة[11].

---

(1)- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1.ص313.

(2)- بوزياني، القبائل، ص11.

(3)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص141.

(4)-محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي، مصر، 1997،مج1.ج1. ص1055.

(5)-بوزياني، القبائل، ص74.

(6)-مبارك الميلي، المرجع السابق، ج3، ص738.

(7)- بوزياني، القبائل، ص16.

(8)-عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص314.

(9)-ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص297-300.

(10)- ابن خلدون، نفسه، ج6، ص286.

(11)-عمر تابليت، هوارة ودورها في تاريخ المغرب، دار الألمعية للنشر والتوزيع،ط1. 2011، ص ص23، 24، 25.

4- قبيلة صنهاجة:

وعنهم يقول ابن خلدون "وأما ذكر نسبهم، فإنهم من ولد صنهاج وهو صناك... إلّا أنّ العرب عربته، وزادت فيه الهاء بين النون والألف، فصار صنهاج، وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس من ولد برنس بن بر"[1]، وقد جاءت سلسلتهم من طرف النسابة البربر هكذا: صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن يبرين بن مكسيلة بن دهيوس بن حلحال بن شرو بن مصرايم بن حام[2] والملاحظ أنه لا يوجد اسم برنس الّذين يدّعون الانتساب إليه لذلك فالحقيقة بقيت غائبة، وكان اختلاف المؤرّخين في صحة نسب صنهاجة إلى رأيين أساسيين: أولهما جاء من نسابة البربر انفسهم بقولهم أنها من أصل أمازيغي يعود إلى مصرايم بن حام[3]، وهناك من المؤرّخين الّذين استندوا إلى الروايات التاريخيّة القديمة القائلة بغزو إفريقس الحميري لبلاد المغرب تاركاً وراءه عديد القبائل من حمير بإدعاء وجود صنهاجة بينهم[4]، فصنفوا صنهاجة على انها فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير[5]، وتعتبر قبائل صنهاجة من أكبر القبائل البربرية[6]، وفرة وعدداً وأوسعها انتشاراً إذْ قال ابن خلدون في هذا الصدد"...لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط..."[7] حتى أنّ بعضهم يزعم أنهم يمثلون ثلث الأمازيغ[8] وأن بطونهم كثيرة جداً، يقول

---

(1)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص309.

(2)- بوزياني، القبائل، ص55.

(3)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص153.

(4)-لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص79.

(5)-ابن الخطيب لسان الدين بن محمد الخطيب السليماني(ت776ه)، كتاب أعمال الإعلام،، تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، نشر تحت عنوان: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ج3.ص225.

(6)-السلاوي. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ج1.ص65.

(7)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص201.

(8)- السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص65.

بعضهم انها تصل إلى سبعين بطناً[1]، ويمكن تقسيمهم إلى ثلاث طبقات حسب ظهورهم تاريخياً.

أ- الطبقة الأولى

تمثلها قبيلة تلكاتة الّتي تولت الحكم نيابة عن العبيديين وهم من أهل المدر، الّتي تصدت للقبائل الزناتية[2] ومن أكبر بطونهم نجد بنو مناد الّذي يؤول إليهم ملوك صنهاجة بإفريقية[3]، وبنو حماد بالمغرب الأوسط[4].

أ-الطبقة الثانية:

وتمثلها قبائل لمتونة ومسوفة وهم من اختاروا حياة الرحلة والإنتجاع في اعماق الصحراء[5]، ومن بطون لمتونة بنو ورتنطق وبنو زمال وبنو صولان وبنو ناسجة ومسوقة أيضاً بطن مندمج في قبيلة آيت وعلال بإقليم ورزازات وإليهم ينسب درب مسوفة بتلمسان[6].

ج- الطبقة الثالثة:

كانوا منتشرين في بعض مناطق المغرب الأقصى بالخصوص، وقسمهم ابن خلدون إلى ثلاثة أقسام بقوله"...ولا يزال هذا التقسيم جارياً على القبائل الّتي تدعى صنهاجة بشمال المغرب الأقصى مع تغيير في الأسماء إلى صنهاجة غدو وصنهاجة السراير وصنهاجة مصباح، وهذه الأخيرة تقسم إلى صنهاجة الشمس وصنهاجة الضل"[7]، ومن أهمّ بطون صنهاجة بالمغرب الإسلامي نجد انجفة[8] تاركة، بنو جعد، بنو حميد بنو خليل، بنو دركون، بنو زروال، زناكة، زغاوة، كدالة، متنان، بنو مزكلدة، بنو مزغنة، ملوانة[9]، مسوفة[1]،

---

[1]- عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع هجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، القاهرة، 1344هـ-1991م، ص17.

[2]-بوزياني، القبائل، ص56.

[3]-الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،تاريخ افريقيا في عهد بني زيري من القرن 10الى القرن 12الهجري،تر:حمادي الساحلي،دار الغرب الاسلامي،ط1،الجزائر،1992، ج1، ص36.

[4]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص36.

[5]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص225.

[6]- ابن خلدون، العبر، ص ص425-427.

[7]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص334.

[8]عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص 334.

[9]- بوزياني، القبائل، ص58.

صنهاجة، صنهاجة مصباح، صنهاجة غدو، صنهاجة السراير، قشتالة،بنو سليب، وتريكة، وورتنطق، وبنو ورياكل[2]، أمّا مواطنهم فقد لخصها ابن خلدون بقوله:"لا يكاد قطر يخلو من بطن من بطونهم في جبل أوبسيط"[3] بمعنى أنهم كانوا منتشرين في كلّ مناطق المغرب الإسلامي ومن الصعب تحديد نطاق معين لهم، وهناك من قال بانتشارهم من غرب كتامة في المنطقة الجبلية الممتدة من جنوب بجاية إلى جنوب مدينة الجزائر –حاليا–[4]

5– كتامة:

أولا هناك اختلاف في ضبط كلمة كتامة وكيفية نطقها[5]، لكن في الغالب كانت تنطق إمّا بضم أو بكسر الكاف وعليه سار الكثير من المؤرّخين[6]، وكان اختلاف تفسير معنى كتامة يختلف بإختلاف الروايات التاريخيّة، فقد فسرها العبيديون بمعنى الكتمان والذي يعتبر أساس الدعوة الإسماعيلية[7]، وهناك من يقول أنّ كتام هو إسم شخص[8]، وهناك من أعطاهم اسم الكتاميون كمعنى لألفاظ لاتينية وحدث لنقوش بيزنطية بين ميلة وجيجل كدليل على وجود مجموعة من القبائل بجنوب منطقة البابور ويمثل هذا النطاق نفس مضارب قبيلة كتامة[9]، وكتعريف لقبيلة كتامة هم أبناء كتام أو كتم[10]، بن برنس[11] أمّا رواية القلقشندي فيقول بنو كتامة بطن من البرانس من البربر وهم بنو كتامة بن برنس بن بربر[12]، وعرفت كتامة بشدة بأسها وطول باعها في الملك عن غيرها من قبائل البربر كما عرفت بالكرم لمن رصد

---

(1)–عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ص ص32/33.

(2)– بوزياني، القبائل، ص59.

(3)– ابن خلدون، العبر، ج6، ص201.

(4)–زغلول سعد، المرجع السابق، ص123.

(5)–لقبال، دور كتامة، ص97.

(6)–السمعاني أبي سعد عبد الكريم، الأنساب، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ط1، القاهرة، 1981، ج6، ص351.

(7)–لقبال، دور كتامة، ص97.

(8)–مؤلف مجهول،مفاخر، ص143.

(9)–عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص36، 37.

(10)– ابن خلدون، العبر، ج6، ص195.

(11)– بوزياني، القبائل، ص142.

(12)–القلقشندي.أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القاهرة، 1909م، ط1.ص405.

مضاربها ونزل بديارها[1]، بل هناك من وضعها بأنها من دهاة البربر[2] وبطون كتامة جميعها تجتمع في ولديه: غرسن ويسودة[3]، ويتفرع عن ابنه غرسن بن كتام: بني يناوة وبني ينطاسن وأوفاس وغسمان وبني إيان[4]، أمّا من يتفرع عن ابنه يسودة ما يلي:وريس، وفلاسة، ومتوسة، وزواوة ومصالة، وبني يستيتن[5].

أمّا مواطن كتامة فهناك عديد الروايات منها من تقول أنه حين خروج البربر من الشام إلى المغرب بعد قتل جالوت وطرد الإفرنج من إفريقية، فانتشرت القبائل بما فيهم قبيلة كتامة بإفريقية إلى حدود طنجة[6]، أمّا الرواية الثانية فربطت موطن كتامة بحادثة تاريخية أخرى، وهي الّتي أرجعت أصول كتامة وصنهاجة إلى حمير من اليمن، وأن أفريقش الحميري لماغزا إفريقية أنزلهما بها[7]، وبين الإطار الأسطوري والحقيقة التاريخيّة فإننا نرى أنّ الأكيد أنّ كتامة ارتبط وجودها بإفريقية ومنطقة الزاب وبالرجوع لما قال الإدريسي في هذا السياق"...وقبيلة كتامة تمتد عمارتها إلى أنّ تتجاوز أرض القل وبونة"[8]، أمّا أهمّ مدن قبيلة كتامة فهي: سطيف، وإيكجان وميلة وقسنطينة وبلزمة وباغاية ونقاوس وسكيكدة والقل وجيجل وقالمة وسوق أهراس، ضف إلى ذلك عديدا القرى الجبلية والسهلية والقصور المنتشرة هنا وهناك[9]والجدير بالذكر أنّ ابن خلدون ورغم أنه لم يوضح حدود كتامة في مهدها الأصليّ وحتى حدود فروعها مثل عدم ذكر مواطن فرع غرسن بن كتام وكذا يسودة بن كتام إلّا أنه يعتبر المصدر المهم للتأريخ لهذه القبيلة الّتي لعبت أدوارا كبيرة على مسرح تاريخ المغرب الإسلامي.

---

(1)– الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي(ت551هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1919م، مج1.ج1.ط1، ص249.

(2)– ابن أبي دينار. أبو عبد الله محمد بن القاسم الرعيني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار الميسرة، بيروت، 1993م، ط3.ص167.

(3)– بوزياني، القبائل، ص142.

(4)– ابن خلدون، العبر، ج6، ص128.

(5)– بوزياني، القبائل، ص145.

(6)–موسى أحمد بني خالد، المرجع السابق، ص52.

(7)–ابن خلدون، العبر، ج6، ص149.

(8)– الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص229.

(9)–موسى أحمد بني خالد، المرجع السابق، ص54.

6- عجيسة:

رغم قلة ذكر هذه القبيلة في مختلف المصادر إلّا أنّ ابن خلدون خصهم بقوله"...وأما عجيسة وهم بطون البرنس من ولد عجيسة من برنس ومدلول هذا الاسم البطن، فإن البربر يسمون البطن بلغتهم عدّس بالدال المشددة، فلما عربتها قلبت دالها جيماً محققة، وكان لهم بين البربر كثرة وظهور"[1]، غير انه يبدو أنّ كثرتهم انتهت وتقلصت خاصة في عهد الدولة الزيرية بسبب مرورهم بعديد المحن الّتي سلطت عليهم بسبب مشاركتهم إلى جانب ثورة أبي يزيد ضد الدولة العبيدية[2]، وكذلك نتيجة موقفهم الرافض لبناء قلعة بني حماد بمضاربهم فأدى إلى قتلهم وتشريدهم خاصة بعد مجيء الغزو الهلالي، فانكمشوا في بعض المناطق الضيقة وذابوا في القبائل المجاورة لهم مثل كتامة وزواوة[3]، أمّا مواطن قبيلة عجيسة الاولى فهي في الجبل الّذي بنيت فيه قلعة بن حماد[4]، قرب المسيلة حالياً ولهم بطون غرب بجاية وفي دوار الجزائر بالقرب من بريكة حالياً وفي بني ورتيلان بين القل وقسنطينة وتحمل نفس اسم القبيلة الأم[5].

7- كزولة:

هي قبيلة قليلة الذكر في المصادر وكل ما يمكن جمعه أنّ جدهم غير معروف وأنهم إخوة لصنهاجة ولمطة ومكسورة من امهم المسماة تمكي العرجاء بنت زحيك بن مادغيس الأبتر[6]، ويبدو أنّ تصنيفهم ضمن إطار القبائل المنسوبة للبرانس جاء بناء على الجوار لعديد القبائل البرانسية والمصاهرات معها وهذا ما يؤكده بوزيان الدراجي حول زواج أمهم المسماة تمكي العرجاء من أوريغ فولدت له هوار وهكذا يصبح بدوره اخاً لأبناءها الآخرين من أمهم تمكي[7]وبالحديث عن بطون وأفخاذ قبيلة كزولة فيعتبرماقاله ابن خلدون افضل قرينة على وجودها وذلك بقوله(...ان بطون كزولة، وهم ظواعن ينتجعون بأنعامهم في بلاد السوس

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص 295-296.

[2]- بوزياني، القبائل، ص129.

[3]- بوزياني، القبائل، ص125.

[4]-عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص336.

[5]-لقبال.المغرب، ص71.

[6]- بوزياني، القبائل، ص174.

[7]- بوزياني، نفسه، ص174.

ومن أفخاذ كزولة فخذ يسمى يزدكتن، ببلاد السوس، وبعد دخول عرب المعقل إلى تلك الديار تغلبوا على بطون كزولة وأدرجوهم ضمن رعاياهم)[1]، ومن أهمّ مواطن كزولة بأرض السوس على شساعتها بمحاذاة قبيلة لمطة كما كان لهم ذكر ببلاد المغرب الأوسط(تيهرت)[2].

8- هكسورة:

هم أبناء تمكي العرجاء، ولم تجود المصادر بذكر نسبهم وما وصل إلينا مجرد إشارات لعهدهم خلال العهد الموحدي بعد أنّ حالفوا المصامدة وخصهم ابن خلدون بذكر أهمّ بطونها وهي: نتيفت وبنو رسكونت وزمراوة وغجرامة وفطواكة ومصطاوة وبنونفال[3] أمّا مضاربهم فهي محصورة بجبال درن ومنها إلى تالا من الجهة الشرقية ثمّ إلى درعة من ناحية الجنوب[4].

9- مصمودة:

نسبة إلى مصمود بن برنس ابن بربر[5]، أمّا مواطنهم فهي تمتد من الجزء الغربي للأطلس من ماحا إلى واد العبيد وجنوباً السهول المجاورة، ويعتبرها المؤرّخون والنسابة فرعاً قائماً بذاته[6] وأنهم يحوزون على بطون عديدة ذكرها بوزيان الدراجي بكثير من الدقة[7]-مثل -برغوطة من تامنسا- هنتاتة ومضاربها جنوب مراكش، هرغة ومنها ظهر المهدي بن تومرت، دكالة ومضاربها السهل الجنوبي لواد ريغ، هيلانة وهم بنو إيلان بن مصمود كان مستقرهم بأحواز مراكش.

10- لمطة:

لم تجد المصادر عن اسم أبيهم أمّا أمهم فهي تمكي العرجاء وذكر ابن خلدون كثرة شعوبهم لكن لم يسمّ سوى قبيلتين هما: قبيلة زكن، وقبيلة لخس، وقد أضحت هاتان القبيلتان في عدادقبيلة ذوي حسان الهلالية، بينما ظل الآخرون من أبناء لمطة في أعماق الصحراء

---

[1]-ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص419-420.

[2]- ابن خلدون، نفسه، ج6، ص420.

[3]- ابن خلدون، نفسه، ج6، ص424.

[4]-بوزياني، القبائل، ص227.

[5]-ابن خلدون، العبر، ج6، ص280.

[6]-حسن الوزان، المصدرالسابق، ص36.

[7]- بوزياني، القبائل، ص179.

بين الملثمين من صنهاجة[1]، أمّا بخصوص مواطنها فلها ذكر عند ابن خلدون فقد صنفهم ضمن أهل الوبر، وتتواجد قبيلتان منهم ببلاد السوس هما: زكن، ولخس، وتوزعوا بين الصحراء والسهوب الجنوبية لتلمسان مع وجود أقلية لهم بجبل زالغ المشرف على فاس[2].

وصفوة القول: أنّ الجذور القبلية في بلاد المغرب ممتدة إلى أعماق التاريخ البعيد، وليست هذه الظاهرة وليد العصر الوسيط، ولها بطون وعشائر لا ينالها الإحصاء إنما هي مجرد اجتهادات تبعاً لما جاء في المصادر المكتوبة المتوفرة الّتي جاءت علينا ببعض الشواهد التاريخيّة أنّ تاريخ هذه البلاد تاريخاً للقبائل أكثر منه تاريخ حضارات ودول، وصنعت أحداث المرحلة المحددة في هذه الدراسة ورغم سلبية الطابع القبلي الّذي أصاب المجتمع المغربيّ بالجمود تارةً وإيجابية هذا الطابع الّذي حافظ على مقومات وعادات وحتى عصبيات ساهمت في الفتح الإسلامي، إلّا أنها تبقى جزءاً من تاريخ المنطقة لا زالت أثاره موجودة إلى غاية وقتنا هذا.

المطلب الثاني: الحركة القبلية بالمغرب الإسلامي

اولا: الاتحاد القبلي ببلاد المغرب

تنتظم القبائل في وحدات اجتماعية متماسكة وتصطف تحت قيادة شيخ القبيلة الّذي يعتبر بمثابة زعيمها وتوكل له تسيير شؤون القبيلة وإقامة التحالفات مع القبائل الأخرى لحماية قبيلته[3]، وفي ظل الظروف الطبيعية القاسية وفي سبيل تأمين المعاش تضطر القبائل إلى الدخول في تحالفات كأن تتحالف قبيلة مع أخرى أو أكثر أمّا اتحاداً يرضاه الطرفان نتيجة لصد عدوان مشترك أو إدراكاً للمنافع الناجمة عن القيام بعمل موحد، أو أنّ تقوم جماعة قوية بإخضاع أخرى أضعف منها وإخضاعها لسلطتها[4]، وقد تكون القبيلة تشتمل على عدة بطون تجمع بينها وحدة الدم والنسب وفي بعض الحالات تشتمل عدداً من البطون الّتي لا تؤلف بينها

---

[1]– بوزياني، القبائل، ص178.

[2]–ابن خلدون، العبر، ج6، ص420.

[3]–طاهر مسعود، المشرق العربي المعاصر من البداوة إلى الدولة الحديثة، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1986، ص30/29.

[4]–سعيد فالح الغامدي، المرجع السابق، ص10.

علاقات الدم والنسب، بل التحقت بها لسبب من الأسباب وأصبحت معدودة منها بحكم الحلف والولاء[1].

وهنا الأسباب عديدة كعدم توفر الأمن وقلة سبل العيش في أغلب الأحيان[2] أو لظروف مواجهة تحديات الطبيعة على اختلافها[3] مع بقاء حفاظ هذا التحالف على العادات والتقاليد المشتركة والّتي يسهر على تطبيقها زعيم أو شيخ أقوى أُسر هذه القبائل[4].

ولعلّ تشكيل الأحلاف القبلية في أول الأمر ظاهرة تميزت بها القبائل الّتي تتخذ مواقف دفاعية أكثر من تلك الّتي تتبع السياسة الهجومية إذْ أنه ليست هناك قبيلة تتنازل بمحض إرادتها عن استقلالها السياسي مالم تدرك أنها تجني من وراء ذلك مردوداً هاماً مقابل هذا التنازل[5]، وفي هذا السياق لنا عديد الأمثلة منها ما فعلته قبائل الحضر ببلاد المغرب باللجوء إلى الاتحاد لدرء خطر الهجمات المتكررة للبدو على مضاربها وهو ما فعلته قبيلة صنهاجة الّتي جمعت شملها ووحدت بطونها لردع زناتة الّتي كثرت تحركاتها وتحرشاتها على أراضيها[6].

إنّ الشواهد على التحالفات القبلية ببلاد المغرب عديدة وضاربة في التاريخ، وأول اتحاد قبلي كان بقيادة كسيلة بن لمزم الأوربي والذي ضم عدة قبائل من البرانس[7] ويعتبر هذا الإتحاد القبلي أول اتحاد كرد فعل منظّم للقبائل البربرية ضد الفتح الإسلامي بقيادة قبيلة أوربة والّتي ضمت جميع قبائل البرانس وأدت بالقضاء على عقبة بن نافع سنة (64هـ/683م)[8]، وفي هذا السياق قال ابن خلدون"....وكان التقدم لعهد الفتح لأوربة هؤلاء بما كانوا أكثر عدداً وأشد بأساً وقوة...وولى عليهم من بعده كسيلة بن لمزم الأوروبي فكان أميراً على البرانس كلهم..."[9].

---

[1]–إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث، ص231.

[2]–جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص250.

[3]– جودت عبد الكريم، نفسه، ص250.

[4]– بوزياني، العصبية، ص137.

[5]–سعيد فاتح الغامدي، المرجع السابق، ص ص10–11.

[6]–النويري، المصدر السابق،ج24، ص304.

[7]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص38.

[8]–محمد بن حسن، المرجع السابق، ص72.

[9]–ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص296–297.

وهكذا استطاع كسيلة بن لمزم إنجاح أول اتحاد قبلي في المغرب كبداية لتحالفات سيأتي السياق على ذكرها، ورغم فشل هذا الاتحاد أمام ضربات الفاتحين، إلّا أننا نلاحظ أنّ دور الاتحاد القبلي انتقل من البرانس إلى البتر ومن قبيلة اوربة إلى قبيلة جراوة بجبال الأوراس بقيادة الملكة البربرية الكاهنة[1]، والّتي استطاعت استمالة القبائل البترية حولها بل ووسعت الإتحاد القبلي الّذي كانت تترأسه، وفي هذا السياق هناك نص تاريخي مهم لابن عذاري"... لما دخل حسان القيروان، أراح أياماً، ثمّ سأل أهلها عمّن بقي من أعظم ملوك إفريقية ليسير إليه فيبيده أويسلم، فدلوه على امرأة بجبل الأوراس يقال لها الكاهنة وجميع من بإفريقية من الروم منها خائفون، وجميع البربر لها مطيعون، فإن قتلتها دان لك المغرب كله، ولم يبق لك مضاد ولا معاند!"[2]، لكن هذا الاتحاد القبلي الجديد ايضا عرف الفشل بسبب سياسة الكاهنة المبنية على الدمار والتناقض الموضوعي لسياستها القبلية المعادية للحضر مثلها مثل تجارب اخرى فشلت كحركة كسيلة وميسرة وأبي الخطاب المعافري وغيرها[3].

والجدير بالذكر أنّ تجربة هذه التحالفات قد أسست لتجارب أخرى مثل الاتحاد القبلي التاهرتي سنة(160هـ) والذي ضم عديد القبائل مثل لمّاية ولواتة ونفزاوة ونفوسة وهوارة وزناتة وغيرها[4] والحقيقة هنا أنّ الانتقال من طور القبيلة إلى طور التحالف القبلي هو تطور تاريخي مرتبط بعدة معطيات اجتماعية واقتصادية وسياسية ولا ينجح هذا التطور إلّا بالتسليم بالانتقال من فردية القيادة للقبيلة إلى مرحلة الاتحاد والّتي تصبح خاضعة لسيدٍ واحد، وهذا الانتقال أطلق عليه الباحثون مصطلح الكونفدرالية أو الصف، في محاولة لإيجاد رابطة بين الاتحادات القبلية الكبرى في العصر الوسيط مثل كتامة وزناتة وصنهاجة، والصفوف المورية والنوميدية في التاريخ القديم، ومن الطبيعي أنّ تقوم هذه الاتحادات حول القبيلة القوية بشرياً وعسكرياً، غير أنّ هذه الاتحادات القبلية البربرية والقائمة في الكثير من الأحيان ضد الخلافة الإسلامية عجزت عن المحافظة على التوازن بين مختلف القوى الداخلية غير المتجانسة لينتهي كنتيجة حتمية إلى التصدع والهزيمة[5].

---

[1]– محمد بن حسن، المرجع السابق، ص73.

[2]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص35.

[3]– محمد بن حسن، المرجع السابق، ص75.

[4]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 225.

[5]– محمد بن حسن، المرجع السابق، ص148.

إنّ تكرر بناء الاتحادات القبلية ببلاد المغرب له ما يبرره فمطلب المعاش والظروف الطبيعية غير الآمنة كلها أسباب تفرض توحد الجماعات البربرية في اتحادات قبلية، يكون قوامها الأسرة ويمتد حتى القبيلة الأم لتبقى روابط المصاهرة والدم تفرض منطق ضم عديد القبائل الأخرى لهذه الاتحادات[1]، وفي نفس السياق ربط ابن خلدون الاتحادات القبلية بالخصاصة في القوت والسبيل من أجل البقاء والبحث عن الأمن ومواجهة الطبيعة القاسية كسبب مباشر لإنشاء علاقات وتحالفات قبلية قوية من أجل دفع الخطر الّذي قد يتعرضون له ضد المعتدي أو القيام بغارات أخرى على قبائل أخرى لتأمين سبل العيش وتوفيره[2]وكذلك درءاً لتفتيت التركيبات القبلية وتشرذمها في نطاقها الضيق وثم فناءها جراء الصراعات الّتي كان يغذيها من دون شك الأعداء لحفظ مصالحهم، أنّ الملاحظ لمسار حقبة الخمس قرون الأولى من الفتح الإسلامي يجد أنّ قواعد تنظيمية جديدة تأسست داخل النسيج الاجتماعي المغربيّ، حيث أصبحت الولاءات والأفكار والمصالح معيار جديد للتموقع بين القبائل بل زاحمت حتى العمليات الضيقة، وأصبحنا نرى أنّ قضية الانتماء للتحالفات القبلية تطغى على العصبية القبلية الّتي تراجع دورها لفعل الاستنفار القبلي داخل المجموعات المتحالفة[3].

ثانيا: ثنائية الحرب والتحالف القبلي بين البربر والعرب

كانت القبائل البربرية ومنذ الوهلة الأولى درعاً صعبا المنال في وجه المسلمين الفاتحين لبلاد المغرب، فكان كسيلة زعيم قبيلة أوربة والكاهنة زعيمة قبائل البتر وغيرهم عقدوا تحالفات قبلية بربرية هدفها إيقاف الفتح الإسلامي، وكنتيجة لهذا لقي عقبة بن نافع مصرعه سنة64 هـ[4] وانهزم حسان بن النعمان في حملته الأولى على يد الكاهنة[5] وقتل زهير بن قيس البلوي[6]، وكانت هذه التحالفات القبلية تشكل خطر كبير على تواجد الفاتحين بالمغرب الإسلامي، وأهم قرينة على هذا هو اشتراط حسان بن النعمان أنّ يأخذ اثني عشر ألف من

---

(1)–جورج بالانديه، علم الاجتماع، ترجمة أحمد الخشاب، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، القاهرة، مركز مطبوعات اليونيسكو، العدد 13، السنّة الرابعة، 1973، ص174.

(2)– سعيد فالح الغامدي، المرجع السابق، ص04.

(3)– هاشم العلوي.المرجع السابق، ج1، ص14.

(4)– الدباغ، المصدر السابق.ج1، ص52.

(5)– أحمد العزاوي، مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي، مطبعة ربانيت ديور الجامع، الرباط، ج1، 2009،ط2. ص29.

(6)– أحمد العزاوي، نفسه، ج1، ص28.

قبائل البربر يسلمون على يديه ويرابطون معه في ثغور الجهاد، وعقد لولدي الكاهنة لكل واحد منهما ستة آلاف فارس[1]، حيث دانت بعدها إفريقيية لحسان بن النعمان، فأقبل البربر على الإسلام وحسن إسلامهم وأصبحت القبائل البربرية تحمل لواء الجهاد، واجتهد حسان بن النعمان ببعث عماله إلى سائر بلاد المغرب من أجل نشر الإسلام بين قبائل البربر، وكذلك اللغة العربية، وجند حسان من البربر حتى أصبح أكبر جيشه من البربر بل وكان يقسم الفيء بينهم[2]، وبتولي موسى بن نصير ولاية بلاد المغرب خلفاً لحسان بن النعمان زاد احتكاكه بالقبائل البربرية فتمكن من فتح هوارة وزناتة وكتامة وصولاً إلى فتح سجومة[3]وصنهاجة[4]، لتنشأ علاقة تحالف عربي بربري كانت ثمرته تولية موسى بن نصير لطارق بن زياد على البربر ليكون فيما بعد من أبرز قادة فتح الأندلس[5].

لقد كان من جهة اخرى احتكاك القبائل البربرية بالعرب سريعاً غذته القيم الإسلامية من جهة ورابط الدعم بالمصاهرات فاندمجت عديد القبائل البربرية مع العرب باندماج الأنساب والدماء خاصة مع قبيلة جراوة البربرية مما أدى إلى استقطاب العديد من القبائل الأخرى، كما عرفت لغة القرآن انتشارا واسعا كون هذه اللغة ليست حكراً على العرب إنما هي لغة لكل المسلمين، فكان الفاتحون يجتهدون في نشر الدعاة ليعلموا القبائل البربرية أمور دينهم لتمتين علاقة الدين بكل سكان بلاد المغرب لأنه عامل أساسي في تجميع كلّ التحالفات القبلية وفق توجه واحد، وهذا ما تفطن له عقبة بن نافع مبكراً[6] ومن بعده حسان بن النعمان وحتى موسى بن النصير مما أدى إلى وجود قبائل اعتنقت الإسلام مبكراً وأهم قرينة على ذلك انتشار الإسلام في قبيلة أوربة البرنسية في عهد كسيلة[7] وعديد قبائل البتر في عهد حسان بن النعمان[8].

---

(1)–ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص38.

(2)–عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص164.

(3)–لقبال، المغرب، ص87.

(4)–عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص169.

(5)–الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية، ص ص49، 50.

(6)–ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص19.

(7)–المالكي، رياض النفوس، المصدر السابق،ج1، ص33.

(8)– ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص54.

ومن ثمار تواصل العرب مع القبائل البربرية، اكتساب هذه الأخيرة للغة العربية بل أصبح من أبنائها الفقهاء والشعراء وغيرهم[1] ومع نهاية القرن الأول الهجري ظهرت تحولات عديدة على الطابع القبلي البربري بسبب تأثير الفتح الإسلامي في عديد المجالات الاجتماعية كالعادات والتقاليد واللغة والثقافة وتحولت القبائل البربرية من دور من يقع عليها الفعل إلى دور المبادر للفتح الإسلامي، وهنا لابد من التنويه للدور الحاسم لقادة هذه القبائل على غرار ما فعله ماسبق مثل كسيلة والكاهنة في أوساط قبائلهم هذا من جهة ومن جهة أخرى يشير السلاوي إلى ذلك التقارب من خلال أنماط المعيشة والحياة ككل مستشهداً بالراويات التاريخيّة القائلة بأصول القبائل البربرية إلى الشام والذي انعكس إلى تطابق تام في أنماط المعيشة والذهنية وحتى التقارب بالمصاهرة[2] ولعل الشتابه القائم بين العرب والبربر هو في النسيج الاجتماعي الّذي كان قبلياً بامتياز[3]، وأفضل قرينة على ذلك هو أنّ الفاتحين المسلمين لبلاد المغرب قد نجحوا في فهم العقلية الخاصة بالقبائل البربرية من خلال انتهاجهم سياسة اللين والتقارب من مختلف التحالفات القبلية بعيداً عن لغة السيف وذلك بحفظ حقوقهم[4]فضلا على أنّ العرب لم يعاملوا القبائل البربرية في الغالب معاملة شعب خاضع محكوم[5].

ثالثا: مفهوم التحرك القبلي

كمصطلح القصد منه هو انتقال القبيلة من موطن لآخر، وهذا ما جعل العديد من المؤرّخين يجدون صعوبة بالغة في ضبط مضارب القبائل والخريطة البشرية ككل خلال العصر الوسيط، إذ أنها لم تكن ثابتة، وكثيرا ما تتداخل فيما بينها، وارتبط الاتساع الجغرافي للقبيلة وانكماشها بمدى قوة القبيلة وضعفها، ولذلك يمكن القول أنه من الصعوبة بمكان ضبط الإطار الجغرافي الدقيق للقبيلة خاصة في بدايات القرون الأولى للعصر الوسيط، وتبدو للوهلة الأولى

---

(1)–أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة،(د.ت)،ط1. ص47.

(2)–السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص62.

(3)–محمد نجيب بوطالب، الأبعاد السّياسيّة للظاهرة القبلية في المجتمعات العربية، المركز العربي للأبحاث، قطر، الدوحة، أكتوبر 2011، ص05.

(4)–أوكيل مصطفى باديس، انتشار الإسلام في بلاد المغرب وآثاره على المجتمع خلال القرن الأول الهجري السابع ميلادي، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص70.

(5)– حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، (د.ط).(د.ت)، ص276.

أنّ تحرك القبائل تحكمه ذاتية المواقف، لكن بالرجوع إلى رصد أهمّ تحركات القبائل البربرية ببلاد المغرب نجدها تتفاوت من زمن لآخر ومن ظرف لآخر.

رابعا: الحدود والمجال الجغرافي للقبيلة:

إن المجال الجغرافي الأصليّ الّذي تشغله القبيلة والّتي تضطر في الكثير من الأحيان للتخلي عن بعضه او الانتقال منه كلياً أو تسعى لتوسيعه، قد مثّل إشكالية كبيرة للباحثين، حيث أصبح مفهوم التحرك القبلي مرتبطاً أساساً بإشكالية المجال القبلي، فصعوبة ضبط معالم حدود القبيلة راجع بالأساس إلى كون مفهوم السيادة والحدود بالنسبة للفترة الزمنية محل الدراسة تختلف عن مفاهيم وقتنا الحالي، كما أنه لا يمكن ضبط الحدود الجغرافية بين حتى الدويلات في العصر الوسيط بصورة دقيقة[1] مع وجود تداخل كبير بين الحدود الشرقية والغربية لها[2].

ومهما كان الإختلاف حول هذه المسألة سنحاول اختصارها حتى لا نحيد على إطار الدراسة، حيث أنه يكاد يكون إجماع بين عامّة النسابة والمؤرّخين على تقسيم البربر إلى فرعين رئيسيين وهما البتر والبرانس[3] وحاول بعض السوسيولوجيون وحتى بعض المؤرّخين إعطاء تفسير لهذا التقسيم من خلال ربطه بعامل المعاش، فالبرانس أعتبروا جبليين مستقرين والبتر قبائل رحالة[4]، ومهما تكن التصنيفات فإن الواقع الّذي ساد بلاد المغرب خلال العصر الوسيط أفرز قبائل سميت بقبائل البدو والرحل متكونة أساساً من صنهاجة وزناتة وبطونهم وقبائل أخرى بربرية مستقرة متكونة من قبائل المصامدة وكتامة وغيرها[5]، ورغم هذه التقسيمات الّتي تحاول الضبط الجغرافي لمجال القبيلة في بلاد المغرب، إلّا أنّ الباحثين سيصطدمون بحراك دائم للقبائل مرتبط بعديد العوامل كالصراعات السّياسيّة والمصالح الاقتصادية وغيرها.

---

(1)–روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإعلامي ط1.1988.ج1. ص313.

(2)–يوسف أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن 5 هـ، ج1، ط1، جامعة أم القرى السعودية، 1421هـ/2000م، ص49.

(3)–ابن خلدون.العبر، ج2، ص117.

(4)–القادري بوتشيش، مباحث، ص10.

(5)– القادري بوتشيش، مباحث، ص27.

خامسا: التحركات القبلية-صنهاجة وزناتة- أنموذجاً

إن واقع التحرك القبلي في بلاد المغرب واقع ضارب في التاريخ وما وقع في العهد الرّوماني ببلاد المغرب خير دليل على ذلك، حيث اضطرت القبائل البربرية إلى النزوح جنوباً بعد أنّ استولى الرّومان على الأراضي الخصبة في الشريط الساحلي[1] مما أدى إلى حدوث عدم توازن للوجود القبلي ببلاد المغرب، حيث أصبحت الجبال والصحاري مركزاً للكثافة السكانية وحصوناً خلفية للقبائل البربرية في حملاتهم ضد الرّومان، ومع قدوم العرب الفاتحين تكررت ظاهرة تغيير القبيلة لأرضها، وهو الحال لما كانت عليه قبيلة نفوسة الّتي ابتعدت عن الطريق الساحلي الرابط بين مصر والقيروان وتم استقرارها بالجبل المشرف على السهل[2]. وبالرجوع إلى أكبر القبائل البربرية ببلاد المغرب نجد أنّ التحرك الصنهاجي تميز بالديمومة وعدم الاستقرار كون معاشهم مبني على النشاط الرعوي وهو ما أشار إليه ابن حوقل بقوله"...ولا يعرفون حرثاً ولا زرعاً ولا ثماراً، وإنما أموالهم الأنعام وعيشهم اللحم واللبن..."[3] وحتى بعض الصنهاجيين الّذين عرفوا حياة الاستقرار بالمدينة لم يكن استقرارهم دائم وهو ما ذهب إلى وصفه الحميري بقوله"...رحالة لا يستقر بهم مكان"[4]، عكس فرع صنهاجة المستقر بالشمال[5].

وتجدر الإشارة هنا أنّ أكبر هجرة لقبائل صنهاجة من الجنوب إلى الشمال كانت في العهد المرابطي تحت وطأة ظروف اقتصادية قاسية[6]، ومن إفرازات هذه الهجرة تغيير عميق في الخريطة البشرية ومواطن الاستقرار، كما نتج عنها أيضا ظهور مجال جديد بعنوان جديد وأصبحت الارستقراطية الصنهاجية حاضرة فيه في الحواضر الشمالية.

---

(1)- امحمد بن حسن، المرجع السابق، ص137.

(2)- امحمد بن حسن، نفسه، ص138.

(3)-ابن حوقل، المصدر السابق، ص97.

(4)-الحميري، المصدر السابق، ص305.

(5)- القادري بوتشيش، مباحث. ص17.

(6)- ابن الأثير. المصدر السابق.ج8. ص85.

أما فرع زناتة فكان واضحا أنّ نمط معيشتهم مبني على حياة التنقل والترحال، ورغم استقرارهم النسبي في مضارب تامسنا[1]، وكذلك النطاق الشمالي والشرقي لتلمسان، ومن تيهرت إلى فاس[2]، إلّا أنّ لهم أيضاً تحركات قبلية لاسيما في القرن الرابع الهجري باتجاه المغرب الأقصى، والذي لم يكن طواعية إنما كان بضغط من العبيديين كانتقام منهم بعد إعلان قبائل زناتة تحالفهم مع أمويي الأندلس[3].

واستمر حراك القبائل الزناتية مع القرن الخامس هجري من خلال بطونهم كبني ورياغل ومكناسة الّتي امتد مجالها من ملوية السفلى إلى مكناسة عبر ممر تازة[4]والملاحظ على الحراك القبلي الزناتي من الفتح الإسلامي إلى غاية نهاية القرن الرابع هجري سيدرك حقيقة أنّ زناتة كانت قوة بشرية تتحرك بثقلها التاريخيّ في أمصار بلاد المغرب في مجال تتجانبه مركزية إفريقية (تونس) ومركزية المغرب الأقصى (فاس) وهذا المجال الجغرافي المفتوح عمّق في تحرر الذهنية الاجتماعية لإنسان هذه المضارب بمفهوم "القبيلة المتحركة بحريّة، في إطار نظام القبيلة الرعوية"[5].

وصفوة القول أنّ التحرك القبلي خلال العصر الوسيط لم يكن اختياريا في كلّ الأحوال بل ضبطته عدة عوامل طبيعية مثل انتشار الجوائح ومختلف الأمراض، فضلا عن عوامل اقتصادية كالبحث عن المعاش من خلال ممارسة نشاط الرعي والبحث عن الماء وكذلك الهروب من السياسات الضريبية مثل ما كان عليه الحال في ثورة صاحب الحمار، وقد يكون حتى للسيطرة على الطرق التجارية الّتي كانت تتحكم فيها القبائل الغالبة، وفي كلّ الأحوال لا يمكن أهمّال العامل السياسي الّذي كان من أبرز عوامل التحركات القبلية، فعامل الحروب على

---

(1)–مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامّة، آفاق عربية، العراق، (د ت)، ص197.

(2)– القادري بوتشيش، مباحث، ص25.

(3)–ابن حيان،ابن خلف بن حسين بن حيان الاموي. المقتبس من أنباء أهل الأندلس، المعهد العربي الإسباني، مدريد القطعة الخاصة بعهد عبد الرحمن الناصر، 1979، ج5،(د. ط).ص369.

(4)– القادري بوتشيش، مباحث، ص25.

(5)–هاشم العلوي، المرجع السابق. ص ص280–281.

مدار العصر الوسيط، أدى إلى تعرض أهالي المغرب لعديد المحن والأزمات والّتي غالباً ما تفتك بأرواح العديد من السكان مما أدى بنمو الشعور عند بعض القبائل بترك أوطانهم.

المطلب الثالث: علاقة القبيلة بالدولة

أولا: نماذج لآراء حول علاقة القبيلة بالدولة

يرى لويس مورغان أنّ البشرية اجتازت ثلاثة مراحل في تطورها منذ ظهور الإنسان، فالمرحلة الأولى هي مرحلة الهمجية والمرحلة الثانية هي المرحلة البربرية والمرحلة الثالثة هي مرحلة الحضارة[1]، ووجود الدولة هي الإطار الوحيد كي تستعمل كركيزة للحضارات الظاهرة في التاريخ، لأنه كان يبدو له مستحيلا تأسيس مجتمع سياسي أو دولة على عاميّات عشائر[2].

فمسألة ظهور الدول تعتمد رؤية شاملة لتطور المجتمعات البشرية وعبر تواريخها نلاحظ وجود خطين من العلاقات بين القبائل والدول، فالخط الأول هو مجموعات قبلية وعرقية في طريق التحول أدى إلى تكوين دول تحملها القبائل والخط الثاني دول استلحقت منهجياً القبائل الّتي حملتها فقوضتها وهمشتها[3]، فالكلام عن الدولة في المغرب خلال العصر الوسيط لا يكتمل إلّا بذكر القبيلة كبنية سياسية للدولة الناشئة في ذلك العهد والّتي أصبحت كيانا جامعا لمختلف القبائل على اختلاف عصبياتها، لتفرز لنا مشروع الدولة القبلية والّتي تنبثق عن حركة قبلية تتجسد في المطالبة بالسلطة السّياسيّة من طرف قبيلة أو اتحاد قبلي، وذلك عبر عصبية بدوية تطعمها دعوة ريفية تنادي بإصلاح سياسي، اجتماعي، ديني وتتمرد عن الشرعية السّياسيّة السائدة للدولة القائمة.

والحقيقة أنّ مشروع الدولة القبلية ليس حادثاً في المغرب الإسلامي بل هو امتداد لحركات قديمة منذ الفتح الإسلامي وكانت تجاربها الاولى قادتها القبائل المغربيّة ضد جور بعض الولاة الامويين والعباسيين، وجاءت بعدها التجارب الاستقلالية الاخرى الّتي قامت بها الاتحادات القبلية المغربيّة ضد جور بعض الولاة الأمويين والعباسيين، ثمّ بعدها التجارب

---

(1)–لويس مورغان.المجتمع القديم.لندن.ماكميلان وشركاؤه.1877.(د ط).ص123 /–موريس غودلييه، القبائل في التاريخ وفي مواجهة الدول، ترجمة: خليل أحمد خليل وغازي برو، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص44.

(2)–لويس مورغان، نفسه.ص123.

(3)– موريس غودلييه، المرجع السابق، ص48.

الاستقلالية الأخرى الّتي قامت بها الاتحادات القبلية المغربيّة الأخرى والمتمثلة في كلّ من صنهاجة (المرابطون)، ومصمودة (الموحدون)، وزناتة (المرينيون)، وغيرها.

وتأتي إشكالية علاقة القبيلة بالدولة انطلاقاً من أنّ القبيلة في بلاد المغرب ظلت مكوناً أساسياً في البنية الاجتماعية بل هي محرك الدولة، ويرى الباحث محمد عابد الجابري أنّ علاقة القبيلة بالدولة لابد أنّ تتناول عبر مفهومين:

الأول العصبية وقد عرفها بأنها"رابطة اجتماعية...سيكولوجية شعورية أو لا شعورية تربط أفراد جماعة معينة قائمة على القرابة المادية أو المعنوية ربطاً مستمراً، ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد، كأفراد أو كجماعة"[1].

أما المفهوم الثاني الّذي تناوله فهو وجود الوازع وحاول أنّ يقدمهاعلى شكل مشروع سياسي وديني، يقوده بالضرورة قائد أو داعية وتبتدئ بمقولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتنتشر عبر ربوع حدودها مشروعها السياسي وأغلب التجارب في هذا الإطار انتهت باستعمال العنف لفرضه كأمر واقع[2].

ثانيا: علاقة القبيلة بالدولة حسب ابن خلدون

ربط ابن خلدون أساس قيام الملك بالعصبية ذلك أنّ الرئاسة ولا تكون إلّا بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية[3]، والعصبية لا تكتمل إلّا في البادية تحت الظروف الطبيعية القاسية، وحيث تقتضي الحياة تماسكاً بين أفراد القبيلة، ولهذا نشأ النظام القبلي الّذي يعتبر سمة من سمات البداوة[4].

---

[1]–محمد عابد الجابري، العصبية والدولة، ص459.

[2]–محمد عابد الجابري.نفسه، ص459.

[3]–ابن خلدون، المقدمة، ص91.

[4]– ابن خلدون، المقدمة، ص91؛ إحسان النص، العصبية والقبيلة وأثرها على الشعر الأموي، دار الفكر.ط2، القاهرة، 1973، ص53.

إن تجربة ابن خلدون واحتكاكه المباشر بالمجتمع القبلي من خلال معاصرته لعديد الدويلات ذات العصبية القبيلة كبني حفص وبني عبد الواد وبني مرين، جعله يؤكد أنّ انطلاق الدول دائماً من القبيلة وأكد ذلك بقوله أنّ الدولة تكون في أولها بدوية[1].

وجعل ابن خلدون العصبية شرطاً أساسياً لقيام الملك. وللوصول لهذا الهدف لابد من وجود الوازع الديني الّذي يراه يوحد الأهواء. فالوازع الديني يوحد ما فرقه التنافس في العصب ويوحد الوجهة ليزداد التماسك الّذي سيكون سبباً مشروعاً للمطالبة بالسلطة السّياسيّة، وفي هذا السياق يحدد ابن خلدون دور الوازع الديني بكونه هو المهذب للعصبية، لذلك نجد ابن خلدون يظهر هذا الترابط خلال عهد تشكل الدويلات خاصة الموحدية والمرابطية بقوله"في المغرب كانت من القبائل كثيرٌ ممن يقاومهم في العدد والعصبية، إلّا أنّ الإجماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستمالة"[2]، وفي نفس السياق يدعم كلامه بقوله أنّ "الدول العامّة تقوم على الملك، والملك إنما يحصل بالتغلب والتغلب إنما يكون بالعصبية. واتفاق الأهواء على المطالبة، وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه"[3].

ويرى الباحث بوزياني دراجي رايا مطابقا لذلك الذي يراه ابن خلدون، فالقبيلة في النهاية أساسها الأسرة لتنتقل إلى العشيرة، ثمّ الفخذ ثمّ القبيلة ثمّ إلى مرتبة شعب وعلى هذا الأساس تتطلع إلى سلطة أكبر فتحاول جاهدةً إقامة دولة ولن يكون هذا إلّا على أنقاذ دولة أخرى شملتها الدورة التاريخيّة –منشأ ثمّ قوة ثمّ سقوط– لتصل بعدها إلى غايتها الكبرى وهي الملك وتكوين دولة[4].

والملاحظ أنّ طموح القبيلة للوصول إلى تكوين دولة يبقى في إطاره العادي ويبقى بإمكان أي دولة التعايش مع هذه الظاهرة. إنما الخطر هو حسب ابن خلدون في العصبية ذاتها لأنها هي العامل المؤجج لروح المقاومة لكل نظام حادث على القبيلة والمقصود هنا طبعا هي

---

[1]–رياض عزيز هادي، مفهوم الدولة ونشوءها عند ابن خلدون، مجلة العلوم السّياسيّة، العدد37، جامعة بغداد، عدد خاص بالذكرى، الخمسين لتدريس العلوم السّياسيّة في العراق، ص88.

[2]– ابن خلدون.المقدمة.ص169؛جغلول عبد القادر، الإشكاليات التاريخيّة في علم الاجتماعي السياسي عند ابن خلدون، تر: فيصل عباس، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص13.

[3]–ابن خلدون، نفسه، ص169.

[4]– بوزياني، العصبية، ص134.

الدولة، وبالرجوع إلى تركيبة القبيلة وتركيبة الدولة من منظور عام نجد أنّ الانتماء للقبيلة في الأساس هو انتماء اجتماعي من خلال علاقة النسب والدم أمّا الانتماء للدولة يكون بصفة أفراد على إقليم الدولة وإن كانت في إطار قبائل مشكلة لها.

ويمكن أنّ نقول أنّ الدولة في النهاية ما هي إلّا قبيلة كبرى جامعة للأفراد، تنصهر فيها القبائل الصغرى بكل عصبياتها وفق شعار تغليب المصلحة العامّة على الخاصة.

ثالثا: مظاهر العلاقة بين الدولة والقبيلة

أ/ الدولة والقبيلة بين العداء والولاء:

من الثابت تاريخياً أنّ علاقة القبائل بالسلطة المركزية في الغالب ظلت اسمية فقط وتجلت من خلال إجبار الدولة للقبيلة على أداء الضريبة، وإسهامها بعدد الجنود في الحملات العسكرية[1]، والملاحظ أنّ النظم القبلية في الغالب تتناقض مع نظم الدولة وثبت تاريخياً بأن ثمة نديةٍ دائمة بين النظامين ولا ينتهي ذلك الصراع إلّا بتغلب أحد الطرفين على نقيضه، وفي الحقيقة أنّ هذه المسألة لها أسبابها لأنه في الأصل يوجد تناقض وتعارض في المصالح بين القبيلة والدولة، ويشتد هذا حين تحاول الدولة احتواء القبائل وإحلال نظامها، فيحدث ذلك التصادم بين النظام الهيكلي للدولة والنعرة العصبية للقبيلة وهذا ما يعلل أنه مهما بلغت قوة الدولة، كانت تفتقد دائماً للاستقرار الداخلي وأفضل قرينة على ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) ﴾[2].

ويبقى الجدل قائما بشأن الكيان القادر على احتواء الآخر الدولة أم القبيلة وكيف يمكن إيجاد صيغة تعايش بين القبيلة والدولة في ظل تقاليد وقيم وعصبية القبيلة المنغلقة على حالها في إطارها الجغرافي والذي يؤثر على مقومات النهوض الحضاري الّذي تنشده الدولة بالرغم من أنّ القبيلة حمت المجتمع عندما انهارت سلطة الدولة في الكثير من الأحيان.

ومن المظاهر الّتي كانت تعكف الدويلات ببلاد المغرب الإسلامي على إجراءها لاحتواء تلك القبائل نجد منح بعض الامتيازات لها ولنا في ذلك عديد الأمثلة منها تلك الامتيازات الّتي منحها المرابطون لشيوخ القبائل من نفوذ كبير وحرية واسعة وجعلهم هم المسؤولون أمام قبائلهم

---

[1]– القادري بوتشيش، مباحث، ص244.

[2]– سورة هود، الآية118.

وفي الوقت ذاته كلفوا بالبطش بكل من تمرد أو انتفض[1]، وكذلك لقبيلة مسوفة الّتي كانت سباقة في المساهمة في الدعوة المرابطية فكان لهم بذلك حظ من الرئاسة والظهور[2]، انّ كلّ هذه الامتيازات الّتي سخرتها الدولة المرابطية للقبائل أعطى الانطباع للكثير من المؤرّخين من وجود دولة داخل الدولة المرابطية نفسها[3]، وفي نفس السياق وافق وصول قبيلة نفوسة إلى جهاز السلطة تحولها من البداوة إلى التمدن فسكنت المدينة وانصهرت داخل نسيج المجتمع الحضري الرستمي وهنا يقول مؤرّخ الدولة الرستمية"وكثرت الأموال بأيديهم وكانت العجم قد ابتنت القصور ونفوسة قد ابتنت العدوة، والجند القادمون قد بنت المدينة العامرة اليوم...."[4]، ولم تكتف الدولة آنذاك بهذا. بل عمدت على نشر التعليم الّذي أسهم في مراجعة القيم والمعايير التقليدية والّتي كانت في غالبيتها تعيد إنتاج القيم التقليدية وتكرس للقبيلة والعشيرة، كما سعت الدويلات المتعاقبة على بلاد المغرب الإسلامي الى تأمين إقليم لكل القبائل الّتي كانت تحت سلطتها والذي كان غير موجود أصلاً لدى القبائل لذلك لم تعتبر قبائل البدو الرحل دولاً لتخلف هذا الركن[5].

وركزت الدولة في الغالب من أجل استمالة القبيلة ذات الشوكة الأقوى والعصبية الكبيرة إدراكاً منها أنّ هذه العصبية تؤدي إلى الملك كأمر طبيعي وكقانون لازم من قوانين علم الاجتماع، ولابد أنّ يتبع الملك العصبية[6]كما أرادت بالدفع بالعصبية من الجزء إلى الكل أي من عصبية القبيلة إلى عصبية التناصر والولاء فكسب العصبية كقوة داعمة لسلطة السلطان لتثبت ملك الدولة والدولة تذهب بذهاب العصبية[7] وكانت الدولة تسعى حتى إلى حل النزاعات البينية بين القبائل المشكلة لها وقرينة ذلك ما حدث في دولة المرابطين حيث وقع الخلاف بين جدالة ولمتونة سنة(454هـ/1026م) مما جعل الأمير أبي بكر بن عمر يسارع

---

(1)–ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر: السيد عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة.المغرب، ط1، مج1، ص243.

(2)–ابن خلدون، العبر، ج6، ص252.

(3)–مصطف ناعمي، الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسّياسيّة، دار عكاظ، الرباط.1988، ص83.

(4)–ابن الصغير المالكي، تاريخ الدولة الرستمية بتاهرت، الجامعة التونسية،(د ت)(د ط) 1976، ص18.

(5)–شريف عمر، نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية، مركز الدراسات الإسلامية، القاهرة، 1991، د(ط)، ص9/8.

(6)–الريس محمد ضياء الدين، النظريات السّياسيّة الإسلامية، دار التراث، القاهرة، ط7، د(س)، ص190.

(7)–قباني عبد العزيز، العصبية بنية المجتمع العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1997، ص52.

بالعودة إلى الصحراء ليصلح بينهما[1] إيماناً منه بأن اقتتال القبائل المشكلة للدولة المرابطية يهدد الدولة ككل، وهذا ما استغلته بلاد السودان ومملكة غانا وأصبح ملكها يخطب لنفسه ويعلن جهراً طاعته أمير المسلمين العباسي في بغداد[2]

وفي مقابل هذا كانت بعض القبائل تبدي الولاء للدولة وفي هذا لدينا العديد من القرائن ففي العهد المرابطي كانت القبائل توفد كبار شيوخها إلى العاصمة مراكش لتقديم البيعة وتجديد الولاء كلما اعتلى أمير مرابطي جديد سدة الملك كرمزاً لاعتراف القبيلة بسلطته.

وتجدر الإشارة هنا أنه وحسب ابن عذاري فإن شيوخ القبائل هم الّذين طلبوا من يوسف بن تاشفين أنّ يتميز باسم خاص، فالتمسوا منه أنّ يتخذ لقب أمير المسلمين وشاركوا في بيعة علي بن يوسف(سنة 477هـ)[3]. والأمر نفسه خلال الدولة الرستمية(160هـ/296هـ)، فبالإضافة للدور العسكري لقبيلة نفوسة أضيف لها دور سياسي وإداري داخل المدينة لتتحكم الفئة النفوسية في تاهرت واستولت على السلطة الحقيقية في عهد عبد الوهاب[4]، لكن مظاهر الولاء هذه كانت على نطاق ضيق في مسار الأحداث الّتي طبعت التاريخ القبلي خلال العصر الوسيط اتجاه الدول، فالعدائية القبلية اتجاه الدول كانت دائماً حاضرة ما انّ يتم الشعور باستفزازها. وقرائن ذلك عديدة منها ما حدث إبان الدولة الإدريسية(172هـ/375هـ) الّتي ما أنّ استقام لها الأمر حتى تجاهلت قبيلة أوربة وبعض القبائل البربرية المساندة لها وحرمتهم من مختلف المزايا الّتي كانت لهم طوال فترة بداية الدولة الإدريسية مما دفعهم للانخراط في دعم دولة الأغالبة(184هـ/297هـ)[5]، والامر نفسه حين انطلقت الحركة النكارية رافضة للسلطة الرستيمة، وانطلاقاً من مبدأ رفض دفع الضرائب والتمسك بحق هذه القبائل في تيهرت وفي أرضها الّتي يبدو أنّ الدولة الرستمية اغتصبتها منهم[6]، ومن القرائن الأخرى ما حدث مع بعض القبائل الصنهاجية الّتي لم تنل حضها من الحظوة فجعلها تقف موقف العداء من الدولة

---

(1)–ابن أبي الزرع، المصدرالسابق، ص86 ؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص12.

(2)–الإدريسي الشريف، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، طبعة ليندن.مطبعة بريل، 1866، د.ط، ص06.

(3)–ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص27.

(4)–محمد بن حسن، المرجع السابق، ص150.

(5)–ابن خلدون، العبر، ج4، ص ص18/17.

(6)–محمد بن حسن، المرجع السابق، ص156.

المرابطية وهو ما يبرر مساندتها للموحدين نكاية في بني عمومتهم الّذين مارسوا سياسة إقصائية إزاء القبائل الصنهاجية الأخرى وهذا ماأكده مؤرخ الموحدين نفسه البيدق[1].

وحتى القبائل البربرية القوية الأخرى كالمصامدة تمردت على السلطة المرابطية، حتى ذكر ابن خلدون أنّ سبب بناء مراكش هو مراقبتهم[2]، ولأن لكل فعل ردة فعل فإن الدولة عمدت إلى سياسات خاصة للجم كلّ تمردات القبائل عن السلطة المركزية وبدأت بتعزيز سيرورة التفكك القبلي عن طريق التقسيم الإداري وبعث الولاة بدل شيوخ القبائل لتكسير الأطر القبلية وإزالة الحواجز ما بين الجماعات وخلخلت العصبيات ولذلك لم تعد علاقة الدولة بالقبيلة في حاجةإلى وساطة (الصلحاء)، فقد أصبحت علاقتها بها مباشرة أو مرتبطة بوساطات جديدة[3].

كما سعت الدولة إلى استبدال الأساس العرقي والسلالي بالأساس الترابي والإداري للقضاء إدارياً ونفسيا على الإطار القبلي كنموذج تقليدي للتنظيم الاجتماعي وتعويضه بتنظيم جديد يستجيب لمقتضيات الحداثة[4]، مع إبقاء استخدام القبيلة كمقوم اساسي لمواجهة الآخر[5].

ب/ التكامل بين العصبية القبلية والدولة:

إنّ الحديث عن علاقة العصبية القبلية بالدولة يجرنا الى الكلام عن تلك الرؤية التاريخيّة للكثير من المؤرّخين في مسألة تحديد طبيعة العلاقة بين القبيلة والدولة بشكل عام وهذا لا يتأتى إلّا بالرجوع إلى تتبع أخبار الدول الّتي انشأت ببلاد المغرب الإسلامي وتاريخ قبائل هذه المنطقة لكي نصل إلى مقاربة ربما قد تفكك لنا بعض شفرات ورموز هذه العلاقة المعقدة، فالقبيلة من خلال ما تم ذكره تعتبر أساس بناء الدولة، والدولة في حد ذاتها تتأثر بالعصبية القبلية فتنشأ علاقة طردية وهي كلما قويت شوكة العصبية القبلية نشاة دولة قوية على مقاس هذه العصبية والعكس صحيح فالدول الّتي نشأت ببلاد المغرب خلال فترة الدراسة هذه، قامت في الغالب على أساس العصبية مثل بني زيري والمرابطين والموحدين وغيرهم وقد استثنى ابن

---

(1)–البيدق.أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص53.

(2)–ابن خلدون، العبر، ج6، ص300.

(3)–محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص93.

(4)–رحمة بورقيبة، الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب،دار الطليعة للطباعة والنشر. بيرت.ط1.1991ص11.

(5)– محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص94.

خلدون من ذلك الدولة الإدريسية والعبيدية[1]، وفي نفس السياق يقول الجابري" وانظر إلى هذا المعنى الكبير الّذي يشير إليه ابن خلدون وتداعياته في واقعنا المعاصر، فإذا أرادت الدول والتجمعات النجاة فلابد أنّ تتعدى عصبية النسب إلى الالتحام الروحي أو الاجتماعي، فالدول العظيمة تحتاج إلى عصبية عامّة والدول الصغيرة...تقوم بالعصبية مع توفر ظروف معينة ومن أهمّها المصلحة الاقتصادية المشتركة الّتي تجمع بينها"[2].

وقد عرض علينا ابن خلدون في نفس السياق في كتابه المقدمة نظريته في الدولة والملك وعرض علينا في كتاب"العبر" نماذج توضح علاقة القبيلة بالدولة[3] فتكلم عن عديد الدول منها الدولة المرابطية وعدّد إسهامات القبائل الصنهاجية في نشوءها مثل قبيلة مسوفة ولمطة وأيضاً تكلم عن دعم قبائل صنهاجة للموحدين[4] بل انّ ابن تومرت عند إنشائه للدولة الموحدية اعتمد على نظام قبلي صرف[5]، وفي النهاية أعطى ابن خلدون خلاصة عامّة تشترك بين غالبية دول المغرب وهو أنّ القبيلة غايتها العليا الملك والرئاسة لذلك هي تسعى للمساهمة في إنشاء الدولة وتساندها ولما تصل غايتها تستقل عن الدولة ويستأثر أفرادها بحياة الضعف فتنخر فيها عوامل الهرم وتنحل الرابطة الّتي قامت عليها وتبدأ شيئا فشيئاً في الانهيار وتقوم مكانها دولة أخرى[6].

وخلاصة القول أنّ تشكل الدويلات في بلاد المغرب ما كان إلّا تعبيراً عن الخصوصيات البربرية وإرادة المغاربة في الاستقلال السياسي وتتويج شوكة عصبية القبيلة بتاج الدولة وكثيراً ما تكون هذه الدولة نتاج لمتطلبات إحدى الاتحادات القبلية بدورها في حق ممارسة الملك أو السلطة السّياسيّة والذي غلب عليه في فترة دراستنا هذه طابع الجهاد ونشر الإسلام مما أكسب الدولة وحتى القبيلة أرباحاً مادية يوزع ريعها على القبائل المكونة للدولة، كما أنّ الدولة تكسب

---

(1)–مصطفى الشكعة، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة، ط3، 1993، ص152.

(2)–الجابري، المرجع السابق، ص190.

(3)–عبد العزيز غوردو، مدخل لقراءة ابن خلدون أسئلة في المنهج والنظرية، مجلة كان التاريخيّة، العدد02، ذو الحجة 1429هـ/ديسمبر 2008م، ص31.

(4)–عبد العزيز غوردو، نفسه، ص36.

(5)–بوزياني، العصبية القبلية، ص94.

(6)–ابن خلدون، المقدمة، ص 170.

شرعية سياسية بعنوان الجهاد لتكون العلاقة بين الدولة والقبيلة في حالة الاستقرار علاقة تكامل بعيداً عن العلاقة السلطوية.

وكخلاصة لهذا الفصل نقول أنّ المتمعن في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي سيكتشف لا محالة أنّ القبيلة شكلت احدى الثوابت الاساسية في تاريخ المنطقة وكان ذلك حتى قبل الفتح الإسلامي. فكانت الشعوب البربرية تعيش ضمن احلاف قبلية كبرى عديدة وتركيبات قبلية بالغة التعقيد منتشرة في تلك الربوع واغلبها في اوطان البدو بعدما زاحم الرّومان والوندال والبيزنطيين السكان الأصليّين على نطاقات الساحل.

وكانت لهذه القبائل انظمة توارثتها الاجيال وهي تعتمد على رئيس القبيلة الّذي عادة ما يكون شيخ العصبية الغالبة وله مجلس من الاعيان كمساعدين له .ورغم سلطة القبيلة المتجدرة في مضاربها إلّا انها لم تصل درجة الملك كون أنّ اغلب محاولات القبائل البربرية في ذلك فشلت نتيجة وجود تناقضات بين القبائل من جهة وغياب الوازع الديني الّذي يجمعها من جهة اخرى فافرز هذا الوضع كثرة القبائل المشتتة والمتباينة الفرع امّا بترية او برنسية بعصبيات متفاوتة .والّتي كانت معول هدم لا عامل استقرار.

وما أنّ حل الفتح الإسلامي ببلاد المغرب حتى تمسكت القبائل البربرية بالعصبية الدينية على امل انشاء تحالفات قبلية نجحت فيها في غالب الاحيان بل وصلت حتى مرتبةالملك وانشات هذه القبائل البربرية دويلات .لكن يبدو أنّ هذه القبائل بقيت وفية لعامل العصبية القبلية ضمن اطارها الضيق والّتي لعبت دورا سياسيا خطيرا في الاحداث الكبرى الّتي شهدتها بلاد المغرب هذا من جهة ومن جهة اخرى كانت القبيلة الّتي تصل الى السلطة سرعان مايتسرب اليها رغد العيش وحياة البذخ فتتلاشى عصبيتها وبالمقابل تتحرك عصبية قبيلة اخرى منادية بالاصلاح لتتسلق سلم السلطة بعد أنّ تحيا على انقاذ القبيلة الّتي سبقتها في الملك في حلقة متجددة كان لابن خلدون فيها القسط الوافر بذكره في مقدمة كتابه العبر.

وهكذا اعتبر النمط القبلي العربي بعد الفتح الإسلامي على مايبدو احسن نمط يتعايش مع الذهنية القبيلة للبربر ربما لتشابه النظام القبلي البربري والعربي وكذلك لوجود العصبية الدينية الّتي جمعت مافرقته العصبية القبيلة.

الفصل الثّاني

القبيلة والمذهب الخارجيّ في بلاد المغرب الاسلامي مابين القرنين(2هـ-6هـ)

المبحث الأول: الخوارج

المطلب الأول: التّعريف اللّغويّ والاصطلاحيّ لمذهب الخوارج

المطلب الثاني: فرق الخوارج ببلاد المغرب(الصّفرية / الإباضيّة)

المطلب الثالث: دوافع انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب الاسلامي

المبحث الثاني: دور القبيلة في المذهب الخارجيّ ببلاد المغرب(2-6هـ)

المطلب الأول: القبائل المشكّلة لعصبة المذهب الخارجي

المطلب الأول: القبائل المشكّلة لعصبة المذهب الصفري ودولته

المطلب الثاني: القبائل المشكّلة لعصبة المذهب الإباضيّ ودولته

المبحث الأول: فرق الخوارج ببلاد المغرب

المطلب الأول: تعريف المذهب الخارجي

ا-تعريف المذهب لغة واصطلاحا

بدأت المذاهب الإسلامية تعرف طريقها إلى بلاد المغرب خلال القرن الثاني الهجري وعرفت وتيرة متسارعة في النصف الأخير منه، لتتنوّع بعدها بتنوّع الأفكار ومقتضيات كلّ فترة، ولعلّ الدّارس لهذه المذاهب يرى أنّ غالبيّة المذاهب جاءت لسدّ الحاجة إلى الفقه وتبيان المصالح الحادثة ودرء كلّ المفاسد المتأصّلة والطّارئة والّتي لم تضبطها النّصوص الشرعية، فكان لزامًا أنّ يجتهد الفقهاء لإيجاد حلّ شرعيّ لكلّ حدث مستجدّ، ولقد اكتسبت كلمة مذهب فضلا عن معناها اللّغويّ عديدا من المعاني الأخرى بسبب كثرت انتشار المذاهب الفقهية وغير الفقهية، ومن هنا نتساءل عن المقصود بكلمة المذهب لغة واصطلاحيا؟

1/ المذهب لغة: جاء في معاجم اللغة أنّ كلمة ذَهَبَ- يَذْهَبُ- ذَهَابًا تعني سار أو مر، فهو ذاهبٌ وذهوب، فالذّهابُ هو السّير والمرور، والمذهب مصدر كالذهاب[1]، والمذهب في الأصل مفعل من الذهاب وهو لغة: الطريق ومكان الذهاب، يقال ذهب القوم مذاهب شتّى؛ أي ساروا في طرائق مختلفة، وذهب الشخص مذهبه، سار في طريقه[2]، والمذهب المتوضأ، لأنه يذهب اليه، وجاء في الحديث النبوي أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم " كان إذا ذهب المذهب أبعد"[3] وجاء معنى المذهب في قاموس الطلاب بأنه: هو المعتقد الّذي يذهب إليه -الطريقة، حيث قال أبوفراس:

ومـن مـذهبي حـب الـديار لأهلهـا *** وللنـــاس فيهـــا يعشـــقون مـــذاهب

---

[1]- ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص 393.

[2]- عمر الجيدي، المرجع السابق، ص 09.

[3]- عبد العزيز بن صالح الخليفي، الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي مصطلحاته وأسبابه.دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1993، ص 142.

والأصل أنه نسق من الأفكار والجمع مذاهب، هذه المذاهب أسباب جذب الدنيا إلى الرؤساء[1]، أمّا عند أهل الحجاز فإذا قالوا خرج إلى المذهب؛ أي المتوضأ[2] ونقول ذهب مذهب فلان، قصد قصده وطريقته، وذهب في الدين مذهبا، رأى فيه رأيا، وقال السرقسطي: أحدث فيه بدعة[3] وقد يراد به المعتقد ذاته الّذي يذهب إليه والطريقة[4]

2/ المذهب اصطلاحا:

يراد بالمذهب تلك الأقوال الّتي تنسب إلى أربابها، ويطلق المذهب على كلّ اجتهاد إمام في الأحكام الإجتهادية استنتاجا واستنباطا ومات وهو مجتهد ومتمسك به سواء اقتدى به أو لم يقتد به[5] فقد نقل في الإستعمال الفقهي إلى الأحكام الّتي ذهب إليها إمام من الأئمة فجعل بذلك اسما للمسائل الّتي يقولها المجتهد والّتي يستخرجها اتباعه من قواعده ووجه المناسبة بين المنقول عنه والمنقول اليه، أنّ تلك المسائل أشبه بالطرق، ولذلك يعبر به عنها فيقال: طريق مالك وطريقته كما يقال مذهبه[6]، والمذهب في اصطلاح الفقهاء يعرف كحقيقة عرفية فيما ذهب إليه إمام من الأئمة من الأحكام الإجتهادية.[7]

وبتعبير أوضح ما اختص به من الأحكام الشّرعيّة الفروعيّة الإجتهاديّة، وما اختصّ به من أسباب الأحكام والشّروط والموانع والحجاج المثبتة لها[8]، أمّا عند المتأخّرين من أئمّة المذاهب فيطلق على ما به الفتوى، فيقولون المذهب في المسألة كذا من باب إطلاق الشّيء

---

(1)- علي بن هداية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط7.1991، ص 1040.

(2)- ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص 393.

(3)- عبد العزيز بن صالح الخليفي، المرجع السابق، ص 42.

(4)- الفيروز آباد، المصدر السابق، ج1، ص72.

(5)- محمد بن صالح العثيمين، عقيدة أهل السنّة والجماعة، مؤسسة الشيخ صالح العثيمين الخيرية، الرياض ط2، 1929، ص 20.

(6)- عبد العزيز بن صالح الخليفي، المرجع السابق، ص 43

(7)- محمد ابراهيم علي، إصلاح المذهب عند المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الامارات، ط1، 2000، ص 22.

(8)- محمد ابراهيم علي. المرجع السابق، ص 22.

على جزئه الأهمّ كقول الرّسول صلى الله عليه وسلم "الحج عرفة" لأنّ ذلك هو الأهمّ عند الفقيه المقلّد[1]، ويمكن القول أنّ المذهب هو تخريج علميّ ذو مرجعيّة دينيّة على شكل منهاج وأحكام إجتهاديّة توصّل إليها المجتهد بكدّ الذّهن وبذل الوسع في استنباطها من النّصوص، ويمثّل المذهب جماعة من المسلمين يعتقدون بمذهب معيّن، والجدير بالذكر أنّ أئمّة المذاهب لم يأتوا بالجديد من أنفسهم بل هم مجرّد مفسّرين لما جاء في الكتاب والسنّة. مستنبطين منهما الأحكام. وقرينة ذلك أنّ المذهب ليس شيئا منصوص عليه في الدّين وهو بذلك المعنى لم يكن موجودا بين المسلمين في عصر أصحاب المذاهب -الأئمة- وفي هذا السّياق قيل أنّ نسبة المذهب إلى صاحبه لا يخلوا من التّسامح، لأنّه لا يوجد أحدا من الأئمة يدعوا أحد إلى التمسّك بمنهجه في الاجتهاد، ولم يحدث هذا إلّا في القرن الرّابع الهجريّ عندما دعت الضّرورة إلى تتبّع اجتهادات فقهاء المدارس الفقهية من أجل التمكّن من حلّ المشكلات العلميّة بيسر وسهولة، وعليه فإنّ هذه المذاهب جاءت كمدارس فقهيّة لتلبية حاجة المسلمين الماسّة إلى معرفة أحكام دينهم وإنزال هذه الأحكام على الوقائع الجديدة[2].

وإن كانت بذرة المذاهب قد بدأت قبل هذا العصر بزمان، إذ كان أهل المدينة يعتمدون على فتاوى ابن عمر وأهل مكّة على فتوى ابن عباس وأهل الكوفة على فتوى ابن مسعود، فكان هذا غرسًا لأصل التمذهب بالمذاهب[3]، وصفوة القول أنّ مسألة التمذهب في إطاره العامّ ليس حكرًا على المسلمين فقط بل هو نتاجٌ فكريٌّ عالميٌّ عند كلّ الشّعوب، لأنّ العقول لا تعترف بالجمود ويبقى لكلّ إنسان آراؤه ووجهات نظره.

---

[1]- عمر الجيدي، المرجع السابق، ص09.

[2]- مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مج1، دار الندوة العالمية للطباعة النشر والتوزيع،ط4. ص107.

[3]- القاضي عياض أبوالفضل عياض بن موسى بن عمرو بن عياض السبتي اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان، ص ص 13، 14.

ب-تعريف الخوارج لغة واصطلاحا

ممّا لا ريب فيه أنّ الخوارج لعبوا دورًا بارزًا في تاريخ بلاد المغرب واستمرّ هذا الدّور حتّى منتصف القرن الرّابع الهجريّ فتاثروا كما أثّروا في الأحوال السّياسيّة والاجتماعية، ويبدو أن بلاد المغرب كانت أكثر بقاع العالم الإسلاميّ تقبّلا لمذهب الخوارج وكانت ثمار ذلك إقامة دولتين مستقلّتين عن الخلافة وهي الدّولة المدرارية بمذهبها الصّفريّ والدّولة الرستميّة بمذهبها الإباضي فمن هم الخوارج؟ وكيف انتشروا في بلاد المغرب؟ وما هي أهمّ فرقهم ببلاد المغرب

1-الخوارج لغة: هي جمعُ خارجيّ ولها عديد التأويلات منها الخروج للجهاد، ونستشف ذلك من قوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾[1]. وكلمة خارجيّ جاءت من الخروج، فيقال فلانٌ خرج عن جماعته أو خرج عن رأيه أيّ لم يعد منهم ولا على رأيهم[2].

2-الخوارج اصطلاحا: فهم كلّ من خرج عن الإمام الحقّ الّذي اتّفقت الجماعة عليه يسمّى خارجيا، سواءً كان الخروج في أيّام الصّحابة أو كان بعدهم على التّابعين بإحسان والأئمّة في كلّ زمان[3]، وظهرت نحلة الخوارج في المشرق بعد معركة صفين سنة(37هـ/657م) بين معاوية وعلي رضي الله عنهما، حيث أنكر الخوارج فكرة التحكيم[4].

---

[1]- سورة التوبة، الآية: 46.

[2]- أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 3، عالم الكتب، القاهرة، مصر،ط1. 2008، ص 628.

[3]- الشهرستاني،محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر، الملل والنحل، تح: أحمد فهمي محمد،، دار الكتب العلمية.ط2، بيروت لبنان، 1413هـ/1992م، ط3، ج1، ص 132.

[4]- فكرة التحكيم كانت في زمن اقتتال معاوية وعلي رضي الله عنهما، حيث التقى الجيشان في صفين وانتهى الأمر بعرض معاوية على علي الاحتكام إلى كتاب الله، وكان ذلك بين ممثل علي وهو موسى الأشعري رضي الله عنه وممثل معاوية عمر وبن العاص رضي الله عليه وانتهى الأمر بفشل التحكيم. انظر:- أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة، محاولة لنقد الراوية التاريخيّة وفق منهاج المحدثين، مكتبه العبيكان، الرياض.ص، ص 488/486.

المطلب الثاني: فرقة الخوارج ببلاد المغرب الاسلامي:

رغم أنّ عليًّا هادن الخوارج وناظرهم إلّا أنّهم رفعوا شعار "لا حكم إلّا لله"[1] وخرجوا إلى النهروان[2]، فخرج إليهم علي رضي الله عنه فقتل معظمهم[3]، ومن أهمّ فرق الخوارج: فرقة الأزارقة وفرقة النجدات، والفرقة الصفريّة والفرقة الإباضيّة وغيرها، وقد ذكرت العديد من المصادر والمراجع التاريخيّة أنّ أوّل المذاهب الّتي دخلت إلى المغرب الإسلاميّ هي الصّفريّة والإباضية وذلك مع مطلع القرن الثاني للهجرة.

1- الصفرية

هناك عديد الرّوايات الّتي تتكلّم حول أصل تسمية الصّفريّة بين من يرجع تسميتهم بالصفريّة لصفرة وجوههم من أثر العبادة والزّهد أو لأنّهم خرجوا من الدّين صفر[4] وبين من أرجع أصل التّسمية إلى مؤسّسها زياد بن الأصفر[5]، في حين ذهب طرف آخر في القول أنّ أصل التسمية يرجع إلى عبد الله بن صفار التميمي الّذي كان مع ابن الأزرق في بداية عهده. ثمّ انفصل عنه عند وقوع الخلاف بين قادة الخوارج سنة(65هـ)[6]، وهناك من نسبهم للمهلب أبي صفرة[7]، والجدير بالذكر أنّ جلّ المؤرّخين، اتّفقوا على أنّ أصل تسمية الصّفريّة إلى زياد بن الأصفر.

---

(1)- ابن خلدون، العبر، ج3، ص 303.

(2)- النهروين، أو النهروان، وتنطق في الغالب بكسر النون وهي ثلاثة نهروات(الأعلى، الأوسط، الأسفل)، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقيّ، حدّها الأعلى متصل ببغداد، شهدت موقعة علي بن ابي طالب رضي الله عنه. أنظر: الحموي. المصدر السابق.مج5.ص344

(3)- الطبري. المصدر السابق، ج5، ص 75/ 86.

(4)- عبد المنعم الحنفي، الفرق والجماعات والمذاهب الإسلاميّة، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 1993، ص 277.

(5)- أبي الحسن الأشعري،اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى. مقالات الإسلاميين واختلاف المحليين، تصحيح: هلموت، ويتر، ط3، فرانز شتايز، بفيسبادن، 1980، ص 102؛ البغدادي،عبد القهار بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح: محمد عثمان الحسن، مكتبة ابن سينا، (د.ط)(د ت)، ص 84.

(6)- أحمد محمد أحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين- الخوارج والشيعة- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط3، 2008، ص 76- 77.

(7)- يوليوس، فيلهوزن، أحزاب المعارضة السّياسيّة والدينية في صدر الإسلام- الخوارج والشيعة- تر: عبد الرحمن بدوي، (دط)، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، 1958، ص 45.

أ- الاصول الفكرية لفرقة الصفريّة:

تعتبر الصّفريّة من أقرب المذاهب الخارجيّة لاهل السنّة وذلك لبعدها عن الغلو وكذلك لضيق مساحة الخلاف بينها وبين أهل السنّة والجماعة[1]، ومن آرائهم.

-عدم تكفير القعدة عن القتال إذا كانوا على نفس عقيدتهم ومذهبهم[2]،ولم يجيزوا سبي مخالفيهم من أطفال وأخذ غنائمهم في الحرب[3].

- تمسّكوا بجواز التقية في القول دون العمل في حالة الضعف للتمكّن من الحاكم[4]،كماأجازوا تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقيّة دون دار العلانية[5]،وأجازوتزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقيّة دون دار العلانية[6]،كما قالوا ما كان من الأعمال عليه حدّ واقع، فلا يعتدى بأهله الاسم الّذي لزمه به الحدّ، فمن زنى يسمّى زانيًا، ومن سرق يسمّى سارقا لا كافرا مشركا، وكلّ الكبائر ممّا ليس فيها حدّ لعظم قدره، مثل ترك الصلاة فإنّه يكفر بذلك[7].فضلا على انهم لم يسقطوا الرّجم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار[8]،كما انهم يرون أنّ دار مخالفيهم دار حرب[9].

ونسب لإبن الأصفر قوله "نحن مؤمنون عند أنفسنا ولا ندري لعلّنا خرجنا من الإيمان عند الله، وقال الشّرك شركان، شرك هو طاعة الشيطان، وشركًا هو عبادة الأوثان والكفر كفران،

---

(1)- عبد الله خنشالي، أثر النزاعات المذهبية في الشعر المغربيّ(2هـ/4هـ)، دار الغرب الاسلامي.1994م، ص 57.

(2)- الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 159.

(3)-عبد المجيد بن حميدة، المدارس الكلامية في إفريقية إلى ظهور الأشعرية، ط1، مطبعة دار العرب، تونس، 1986، ص 148.

(4)- LOUIS GARDET, les hommes de l'islam, Edition hachette, (S.Ed) , 1971, p 213.

(5)-أحمد محمد أحمد جليّ، المرجع السابق، ص 61؛ عبد المنعم الحنفيّ، موسوعة الفروق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الرشاد، 1993، ص 278.

(6)-أحمد محمد أحمد جليّ، المرجع السابق، ص 61؛ عبد المنعم الحفنيّ، المرجع السابق، ص 278.

(7)-محمد أبوزهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، (د ت)، ص 157؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ص 89.

(8)-مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ط6، الدار المصرية اللبنانية(دون سنة)، ص 134.

(9)- أحمد محمد جلي، المرجع السابق، ص ص76- 77.

كفر بإنكار النعمة، وكفر بإنكار الربوبية، والبراءة براءتان، براءة من أهل الحدود-سنة- وبراءة من اهل الجحود- فريضة-"[1]

أمّا بخصوص مسألة الخلافة أو الإمامة فقد بنوها على الشورى مع عدم فرض القرشية كشرط للحكم، بل دعوا للمساواة بين كلّ الأعراق وإن كانوا عبيدا وأسيادهم[2].

وأفضل قرينة على ذلك تبوّء عيسى بن يزيد[3] وهو زنجي على رأس الإمارة بسجلماسة تفضيلا لتقواه وعلمه[4].

2-الإباضية:

نسبت إلى أحد فقهاء المذهب وهو عبد الله بن أباض[5]،ولعلّ نسبة المذهب لهذا الأخير دون غيره، نجد ما يبرره نظرا لتبنيه القيادة السّياسيّة والدينية للمذهب الإباضي كمناظراته للخوارج الأزارقة، وتحديه لبني أميّة ممّن حادوا عن نهج الخلفاء، هذه الوجاهة أكسبته شهرة أضفت عليه لباس ثوب زعامّة دينية فتبعه الكثير، فأضيفوا إليه وعرفوا به مّما جعله جديرا بأن يحمل أتباعه اسم الإباضية[6].

---

[1]- الشهرستاني، المصدر السابق، ج1. ص 50.

[2]-أحمد سليمان معروف، قراءة جديدة في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم، طلاس للدراسات والترجمة والنشر.ط1، دمشق، 1988، ص 121.

[3]- عيسى بن يزيد الأسود وهناك من يسميه عيسى بن يزيد بن سعد المكناسي الزناتي، وهو أول أمراء سجلماسة (140هـ-155هـ)؛ أنظر: أحمد العزاوي، المختصر في تاريخ الغرب الإسلامي- عصر الانقسام السياسي- القرون الإسلامية الأولى، 2009، ج1، ص 86.

[4]- أحمد العزاوي، نفسه،ج1، ص 87.

[5]- هو عبد الله بن أباض المقاعسي التميمي المرّي من قبيلة بني مرّة، عاصر معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى أواخر عبد الملك بن مروان، وهو زعيم الإباضية في البصرة يومها. أنظر: الزركلي، االمصدر السابق، ج4، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002، ص 62.

[6]- البرادي. ابو القاسم بن ابراهيم، الجواهر المنتقاة في تتميم ما أخلّ به صاحب الطبقات، نسخة خزانة الشيخ بالحاج، القرارة ولاية غرداية، تحت رقم 73. كتب في الصفحة الأخيرة (نسخة باعيسى بن داود بن صالح الورجلاني مسكنا والنفوس نسبًا، فرع من نسخة يوم الأحد 3 محرم 1196هـ، ص 165/163.

وفي مقابل ذلك تتّفق المصادر الإباضية[1] على أنّ جابر بن زيد[2](ت 93هـ/711م) هو صاحب المذهب وصاحب الفضل عليه وقد وصفه الدرجيني بقوله "والمقدم ممن يشار في الفتوى إليه"[3]، ورجحت المصادر أنّ السبب الحقيقي في عدم نسب المذهب إلى مؤسسه الحقيقي الإمام جابر بن زيد يعود أساسا إلى مبدأ التقية الّتي انتهجها مخافة الخطر عليه وعلى المذهب نتيجة حضوته لدى الأمويين فاختار التأقلم مع الظروف[4]ومن ثمّ فإنّ تسمية المذهب بالإباضية لا تعني أنّ عبد الله بن أباض هو الزعيم الروحي للمذهب وأنّ غيره تابع له كما يدّعي بعض المؤرّخين[5] لأنّه ما هو إلّا أحد رجال المذهب والذين يأتمرون بأمر جابر بن زيد في أقواله وأفعاله[6] وأفضل قرائن ذلك أنّ عبد الله بن أباض كان يصدر في كلّ أقواله وأفعاله كلمة عن جابر بن زيد[7].

ورغم ذلك لم يعترف أنصار المذهب الإباضي بهذا الإسم إلّا بعد تيقنهم بأنه لا يوجد ما يؤذيهم أو يؤذي المذهب ككل، وفي هذا السياق قال سالم السيابي (1326هـ/1412هـ)" ولما قضى العرف بتخصيص كلّ أمّة بإسم، سمانا مخالفونا بهذا الاسم"[8] ويبقى الراجح أنّ قبولهم

---

(1)- الشماخي، ابو العباس احمد بن ابي عثمان سعيد بن عبد الواحد،السير،تح:محمد حسن،دارالمدار الإسلامي،ط2009،1ص ص 182- 188؛ الدرجيني،ابو العباس احمد بن سعيد،طبقات المشايخ بالمغرب،تح: إبراهيم طلاي،مطبعة البحث،ط1،قسنطينة،(د س)، ج1، 1974ص 82.

(2)-هو جابر بن زيد الملقب بابن الشعثاء(ت 93هـ) وهو تابعي، كان إماما في التفسير الحديث، ونشأ وتعلّم بالبصرة، وألّف كتابا ضخما في الحديث سمّاه ديوان جابر؛انظر؛ الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسّرون، مكتبة وهبة، القاهرة (د ت)، ج4.ص ص 483/482.، الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 182.

(3)- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 205.

(4)- عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية مفهوم الإمامة ومشروعيتها وشروطها من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب- سلطنة عمان، ص 19.

(5)- عدون جهلان، نفسه، ص 19.

(6)- عوض محمد خلفات، نشأة الحركة الإباضية، دار الحكمة، لندن، ط2، 2013، ص 123.

(7)- عوض محمد خلفات، الأصول التاريخيّة للفرقة الإباضية، وزارة التاريخ القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط3، 1994، ص 9.

(8)- عمر وخليفة الناهي، دراسات عن الإباضية، ترجمة: ميخائيل خوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001، ص 46.

بهذه التسمية يرجع لنسب عبد الله بن أباض نفسه، كونه من قبيلة تميم وهي قبيلة من أكبر قبائل البصرة وعصبيتها مهابة[1].

ومن قرائن هذا ما جاء على لسان نور الدين السالمي(1284هـ-1332هـ):

إنّ المخـــــالفين قـــــد ســـــمّونا * بـــــذلك غيـــــر أنّنـــــا رضـــــينا
وأصـــــــله أنّ فتـــــــى إبـــــــاضٍ * كـــــان محاميـــــا لنـــــا ومـــــاضٍ
مـــــــدافعا أعـــــــدائنا بالحجّـــــــة * وحاميـــــا إخواننـــــا بالشّـــــوكة[2]

وقد أطلق الإباضيون على أنفسهم عدّة تسميات غير هذه التسمية تنأى بهم عن صفة الخوارج كأهل الدعوة[3] وأهل الحقّ والاستقامة[4]، وكان واضحًا أنّهم يتبرّؤون من انتسابهم إلى الخوارج بل اعتبروا ذلك تنابزًا بالألقاب[5].

أ- **الاصول الفكرية لمبادىء الإباضية:** يرى فقهاء الطائفة أنّ من أهمّ مبادئ الإباضية: ان مرتكب الكبيرة موحّد، وليس بمؤمن، وكانت نزعتهم أميل إلى السلم، فلم يبالغوا في الحكم على مخالفيهم ولا يسموهم بالكفار، لأنّ معهم الإقرار بالكتاب والرسل وإنّما هم كفار بالنعمة[6]. كم انه ليس لديهم غل على مخالفيهم من المسلمين لأنّها دار توحيد إلّا دار السلطان فهي دار بغي[7]، وفي هذا السياق قال عبد الله بن أباض "لا نقول فيمن خالفنا أنّه مشرك لأن معهم حر

---

(1)- عوض محمد خلفات، الأصول التاريخيّة، ص 82.

(2)- مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 2008، ج1، ص04.

(3)- عوض محمد خلفات، الأصول التاريخيّة، ص 79.

(4)- بكير بن سعيد أعوشت، دراسات إسلامية في أصول الإباضية، دار التضامن للطباعة،ط3 القاهرة، مصر، 1988، ص 138.

(5)- فرحات الجعبري، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، جمعية التراث، القرارة- غرداية، 1987،ج1. ص 89.

(6)- محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة،ط2. المغرب، 1986، ص ص 44/43.

(7)- الشهرستانيّ، المصدر السابق، ج1، ص 157.

ودعوة الإسلام تجمعنا وقتالهم غير جائز إلّا بعد إقامة الحجة عليهم، ودارهم دار سلام ما عدا معسكر السلطان"[1].

كما أنهم يرفضون اشتراط القرشيّة في الإمام ويقولون أنّ كلّ مسلم يجوز له ذلك إذا ما توفّرت فيه الشّروط، كما تميّزوا بالاعتدال وتسامحهم مع المعتدين، وهذا الاعتدال ساعدهم على نشر مذهبهم، فلم يعرف عنهم اللجاج كالمعتزلة ولا العنف مثل الأزارقة ولا الإفراط شأن الشيعة[2].

وتجدر الاشارة الى أنه لم يعرف عنهم الطعن في الصحابة، وهذا ما أشار إليه الباحث فرحات الجعبري حول اعتدال مواقفهم تجاه الصحابة[3].

كما انهم يرون ان لا يحلّ لهم من غنائم المخالفين في الحرب إلّا الخيل والسلاح وما فيه من قوة الحرب[4]، واقروا بجواز شهادة المخالفين ومناكحتهم والثورات معهم[5]،اما منظورهم في مسالة خلق القران فهم يقولون بخلق القرآن وأنه محدث[6].كما نفوا قطعيا إدراك الله بحاسة البصر[7]،وفي نفس الوقت نفوا رؤية الله سبحانه وتعالى مستدلين بالآية الكريمة، قال تعالى: " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار"[8]، وكذالك قالوا أن أفعال البشر من خلق الله وهو مسخّر لها[9].

المطلب الثالث: دوافع انتشار المذهب الإباضي في بلاد المغرب

---

(1)– لقبال، المغرب، ص 166.

(2)– لقبال، نفسه، ص 167.

(3)– فرحات الجعبري، المرجع السابق، ص 72.

(4)– محمد أبوزهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ت)، ص 74.

(5)– محمد أبوزهرة، تاريخ الجدل،، دار الفكر العربي، ط1.ص 159.

(6)–جميل بن خميس السعدي، قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983.ج4، ص 08.

(7)– بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص 55.

(8)– سورة الأنعام، الآية: 103.

(9)–عبد الباري محمود داوود، الإرادة عند المعتزلة والأشاعرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص 135؛ جميل بن خميس السعيدي، المرجع السابق، ج2، ص 148.

1- انتقال الخوارج إلى بلاد المغرب (38هـ):

بعد المحنة الّتي حلت بالخوارج على يد أصحاب الإمام علي رضي الله عنه بعد موقعة النهروين والذي زاد من وطأتها الاضطهادات العنيفة الّتي وجهت لهم في المشرق على يد قادة بني أمية[1] مما دفع الكثير منهم إلى الترحال بين مختلف الأمصار الإسلامية والهجرة إلى حيث لا تنالهم أيادي جيش الدولة في المشرق[2]، ويبدو وأنّ الضربات الّتي أصابتهم على يد بني أمية أضعفتهم، فلم يستجمعوا قواهم ولم يستطيعوا أنّ يكونوا كتلة واحدة، بل اختلفت مبادئهم وتفرقوا إلى فرق بلغت في العدد نحوعشرين فرقة[3]، ونتيجة للظروف الّتي كانت تعيشها بلاد المغرب، وجد دعاة الصفرية والإباضية في بلاد المغرب البيئة المناسبة لهم لتقوية صفوفهم وإنشاء كيانات سياسية لهم، وقد بدا ظهور الخوارج في المغرب في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك(71هـ/125هـ)[4]. وكانت البصرة مركزا لنواة دعاة الخوارج ومنها انطلق عكرمة مولى عباس (ت 105هـ/724م)[5]، وسلامة بن سعيد[6]، في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الهجري، وقيل أنهما وصلا إلى إفريقية على ظهر بعير واحد، الأول يدعوا إلى المذهب الصفري والثاني يدعو إلى المذهب الإباضي[7]،

---

(1)- لقبال، المغرب، ص 153.

(2)- لقبال، نفسه، ص 153.

(3)- سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات النشأة، التاريخ، العقيدة التوزيع الجغرافي، الأوائل للنشر والتوزيع للخدمات المطبعية، ط3، (د م)، 2004، ص 200.

(4)- هشام بن عبد الملك، تولى الخلافة بعد وفاة أخيه يزيد بن عبد الملك، وهو عاشر خلفاء بني أمية؛ أنظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي في العهد الأموي، المكتب الإسلامي، ط7، 2000، ص 242.

(5)-يكنى بابي عبد الله، أصله بربري من رواة الحديث، توفي سنة (105هـ) وتعددت وتضاربت الروايات بخصوص انتحاله الصفرية من عدمه؛انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج5 ص ص 20/12.

-الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص11.

(6)- هو سلمة بن سعيد الحضرمي أول دعاة الإباضية في المغرب،أنظر: الدرجيني، المصدر السابق ص11.

(7)- أبو زكريا،يحي بن ابي بكر الورجلاني. كتاب السير وأخبار الأئمة، تح عبد الرحمان ايوب.الدار التونسية للنشر.تونس.1985، ص40-41.

وكان واضحا منذ الوهلة الأولى أنّ الداعيين قد خصصا لكل منهما مناطق نفوذ فاختص الإباضية بإفريقية والمغرب الادنى والأوسط بينما كان نشاط الصفرية في المغرب الأقصى[1] ويبدوا أنّ هذا كان في نطاق خطة مدروسة وضعها الإمام أبوعبيدة الّذي كان يرسل بعض الدعاة لإستطلاع أحوال الناس ببلاد المغرب لدراسة تطورهم الفكري والحضاري وحتى درجة ولائهم للسلطة الحاكمة[2]،

وهكذا نجح سلامة بن سعيد في مهمة نشر المذهب الإباضي ونالت دعوته إقبالا واسعا، فلم تمر عشرون سنة على دخوله بلاد المغرب حتى تكونت جماعة معتبرة من الإباضيين في طرابلس بزعامّة مسعود التجيبي[3] وبعد مقتل مسعود التجيبي انتخب الإمام الحارث الكندي خلفا له والذي لم يبق طويلا بعد أنّ قتل أيضا على يد عبد الرحمان بن حبيب[4] ليتولى بعده إمامة الإباضيين اسماعيل بن زياد النفوسي والذي توفي بعد ولايته مباشرة سنة (132هـ)[5] وهو نفس تاريخ رجوع بعثة طلبة العلم من المشرق اذانا بعهد جديد

2-إنتشار مذهب الخوارج ببلاد المغرب:

بدأ إنتشار مذهب الخوارج ببلاد المغرب الإسلامي بتأسيس إمامة مستقلة على رأسها أبوالخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري(ت144هـ/761م)[6] على مدينة طرابلس ثمّ تتوسع

---

(1)- سلمى محمود اسماعيل، الصراع الإثني والمذهبي في المغرب الأقصى (في ضوء نظريات (ابن خلدون) رؤية للنشر والتوزيع 2010، ص119.

(2)- عوض محمد خليفات، التنظيمات السّياسيّة والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان، مسقط، سلطنة عمان، (د.ت)، ص07.

(3)- عدوان جهلان، المرجع سابق، ص23.

(4)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص223.

(5)- عدون جهلان، المرجع السابق، ص24.

(6)- هو الإمام أبوالخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، أصله من اليمن، وكان أحد أفراد البعثة العلمية الّذين تلقوا على يد أبي عبيدة مسلم العلم في البصرة؛ أنظر: محمد صالح ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، مكتبة الإستقامة، سلطنة عمان، 1997، ص149.

لتشمل جزيرة جربة .لكن هذه الإمامة لم تعمر طويلا ولم تتجاوز الأربع سنوات بعد أنّ تمكن جيش الخلافة العباسية بقيادة محمد بن الأشعث من القضاء عليها سنة 144هـ.

ليبدأ بعدها فصل جديد وذلك بتأسيس أول دولة مستقلة بالمغرب الأوسط للمذهب الإباضي والّتي بلغت في عهد مؤسسها عبد الرحمان بن رستم[1] أوج عظمتها العلمية والسّياسيّة، فانتشر المذهب الإباضي في عديد المضارب واحتضنته قبائل نفزاوة ولماية ولواتة وزجالة ويفرن ومغراوة، وشمل عديد بطون القبائل البربرية وبقي الحال هكذا إلى غاية سنة (296هـ/909م) وهو تاريخ سقوط الدولة الرستمية على يد ابي عبد الله الشيعي[2] لينكمش الوجود الإباضي ببلاد المغرب ويستقر قرب منطقة ورجلان.

ودخلوا في مرحلة الكتمان في الدعوة الى المذهب. في حين أنّ إباضة طرابلس قد لجأوا إلى جبل نفوسة ومدينة زوارة الواقعة على الشاطئ الغربي ليليبيا وقسم آخر منهم استقر في جزيرة جربة التونسية.

وفي النهاية فان عكرمة مولى بن عباس قد نجح في وضع البذور الأولى للمذهب الصفري ببلاد المغرب وجعل القيروان مقرا له يستقبل فيها مشايخ القبائل مبلغا إياهم تعاليم المذهب الصفري ليتم إيصاله إلى مختلف أمصار بلاد المغرب، ولعل ميسرة المطغري[3]، كان أهمّهم وفي هذا السياق تشير الروايات إلى كيفية لقاء عكرمة بميسرة، وكيف كان هذا الأخير متخفيا في ثوب سقاء يبيع الماء وأخذ عنه المذهب ثمّ عاد ونشره بين قومه[4] كما انتشر المذهب الصفري في مضارب مكناسة عن طريق شيخهم أبو القاسم سمك وبن واسول ونطاق برغواطة

---

(1)- هو عبد الرحمان الفارسي الأصل الخارجي المذهب تم بيعته للإمامة سنة 162 بصفته أمّا ظهور أي بعد بناء تاهرت وهناك من يقول سنة 160 دامت إمامته 11سنة؛ أنظر: أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص 94/35.

(2)- هو الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الملقب بأبي عبد الله الشيعي بعثه إمام الشيعة إلى الإمام ابن حوشب باليمن لتعلم تعاليم الدعوة للمذهب الإسماعيلي (287هـ) وكلف بها ببلاد المغرب، أنظر: ابن الأثير. االمصدر السابق، ج1، ص31، ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص 443.

(3)- ميسرة المطغري هو زعيم بربري ينحدر من قبيلة مطغرة البربرية وقد لقب في عديد المصادر بالفقير أو الحقير، تزعم حركة الخوارج الصفرية في بداياتها الأولى، انظر:ابن الأثير، المصدرالسابق، ج4، ص224.

(4)- ابن خلدون، العبر، ج1، ص 105-118.

عن طريق بن ملوك[1]، وانتشر ببلاد السودان وإمارة نكور[2] وهكذا صار لهذا المذهب أتباع كثر في مختلف أرجاء بلاد المغرب، ويعتبر ميسرة أول من إكتسب دعما سياسيا ودينيا مكنه من حمل لواء الصفرية في ربوع المغرب الأقصى[3]، وربما لهذا جاءتهم فكرة مبايعتهم له كإمام عليهم ودعوتهم إياه بلقب أمير المؤمنين لأول مرة في تاريخ المغرب الإسلامي[4] لكن سرعان ما تمرد عليه رجال نحلته وتم قتله واستخلافه بخالد بن حميد الزناتي كإماما جديد عليهم[5]، ثمّ سجلت الحركة الصفرية نضوجا أكبر وأصبحت تهدد ولاية إفريقية نفسها وتحاصرعاصمتها القيروان[6]، لكن انهزامهم في معركة الأصنام وما ذكرته المصادر من خسائر في الأرواح لأتباع المذهب الصفري والمقدرة بمئة وثلاثون ألف قتيل[7] وتشتت من بقي من أتباع المذهب ولجوئهم إلى الصحراء جعلهم يؤسسون فيما بعد ذلك مدينة سجلماسة الّتي كان أول أمرائها عيسى بن يزيد الأسود سنة (140هـ/155هـ)،[8] الّذي قتل هو أيضا لتتم بيعة أبي القاسم سمكو بن واسول (155هـ/168هـ)[9] كإمام للإمارة المدرارية سجلماسة.

أ/دور دعاة المذهب:

انطلاقا من النص الّذي زودنا به الدرجيبي والذي يقول " حدث غير واحد من أصحابنا عن الإمام أفلح عن ابنه عبد الوهاب عن جده عبد الرحمان بن رستم أنه قال: أول من جاء يطلب المذهب الإباضي ونحن بقيروان إفريقية سلامة بن سعيد، قال قدم علينا من أرض البصرة ومعه

---

(1)- ابن خلدون، نفسه، ج1، ص105-118.

(2)- ابن خلدون، نفسه، ج1، ص157.

(3)- محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص63.

(4)- لقبال، المغرب، ص159.

(5)- لقبال، نفسه، ص159.

(6)- سعد زغلول، المرجع السابق، ص 272.

(7)- السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص51.

(8)- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص86.

(9)-أحمد العزاوي، نفسه، ج1، ص87.

عكرمة مولى ابن عباس متعاقبين على بعير، فسلامة يدعو إلى مذهب الإباضية وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية"[1].

وعليه يمكن القول أنّ دور الدعاة في نشر الفكر الخارجي كان كبيرا خاصة في البيئة المغربيّة المتسمة بالفطرة المذهبية والإتجاهات غير المتحزبة فضلا على تفاني الدعاة في نشر المذهب دون إعتبار للأخطار وهذا ما نستشفه من مقولة سلمة بن سعيد " وددت لو يظهر هذا الأمر ولا أبالي بعدها أنّ تقطع عنقي"[2] وقد عمل سلمة على نشر مبادئ الإباضية في مختلف أمصار بلاد المغرب.

وكان خطاب دعاة الخوارج دقيق يتلاءم مع نفسية البربر وذلك من خلال إبراز ولاة بني أمية كمخالفون للدين في معاملتهم للسكان، وأثاروا مسألة الخلافة ووضعوها في إطار جديد وهو عدم اشتراط القرشية وأنها حق للجميع كما أنهم رفعوا شعار "لا حكم إلّا لله ولا إحتكام إلّا لكتاب الله" كما بينوا للبربر مسألة رفض الدين للظلم وإن كان من السلطان وعدم الخضوع للسلطة الظالمة[3]، ومن أهمّ ما أعان الخوارج على نشر مذهبهم احاطة دعوتهم بالسرية التامة[4] خاصة وأن الخلافة كانت تتبع رؤوس دعاة الخوارج في بلاد المغرب. فقد تمكن واليها محمد بن الأشعث من قتل أول إمام إباضي ببلاد المغرب "أبو الخطاب" سنة (144هـ/761هـ)، وتتبع عبد الرحمان بن رستم وحاصره ولكنه فشل في قتله[5] ويبدو أن دعاة المذهب الخارجي بالمغرب كانوا يحافظون على علاقتهم بالبصرة وإمام المذهب هناك وهو ما يفسر جمع الدعاة للطبلة من جهات مختلفة ويكون منهم بعثة بإتجاه البصرة وكان عددهم

---

[1]- الدرجيني، المصدر السابق، ج1ص11. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص92.

[2]- لقبال، المغرب، ص ص 154/153.

[3]- صابر طعيمة، الإباضية عقيدة ومذهبا، دار الجيل، بيروت، د ت، دط، 1986، ص ص 33-35.

[4]- لقبال، المغرب، ص153.

[5]- النويري، المصدر سابق، ج24، ص40.-ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 72.

خمسة وسموا فيها بطلبة حملة العلم[1] وأصبح المذهب الخارجي يجذب البربر. وكانت القيروان مركز دعوتهم ومنها ينتقلون إلى مختلف المضارب[2]، وهذا له ما يفسره كون دعاة المذهب نادوا بمبدأ العدل والمساواة متخذين بذلك قوله تعالى "وشاورهم في الأمر" [3]، وهكذا نجح دعاة المذهب الخارجي في نشر المذهب في مناطق عديدة ببلاد المغرب بل وأصبحوا دعم حقيقي لدعاة المذهب ويتضح ذلك من خلال مشاركة القبائل البربرية في الثروات الّتي قادها الخوارج ضد الخلافة[4].

ب/ سياسة ولاة بني امية تجاه البربر ونتائجها:

كانت بلاد المغرب ملجأ للفارين من الخلافة والناقمين عليها وذلك لبعدها عن مركز الخلافة، وقد لجأ اليها الخوارج بعد فشلهم في تأسيس كيانات مستقلة لهم بالمشرق بسبب الخلافة الأموية[5] وهو الأمر الّذي جعل عددا كبيرا من الخوارج يلتجئون إلى بلاد المغرب الإسلامي، ليلتمسوا الأمن بعيدا عن متناول أيدي الأمويين وبعدهم العباسيين، بسبب إتساع أرض بلاد المغرب وتشعب مسالكه وسخط قبائله على عمال بني أمية لما كان يصيبهم من اذى على أيديهم[6] فضلا عن حاجة الخوارج للبربر في بلاد المغرب، وبالمقابل فإن البربر أيضا وجدوا ضالتهم في المذهب الخارجي لما كانوا يعانونه من ممارسات ظالمة من ولاة الخلافة الأموية.[7]

---

(1)- طلبة حملة العلم المغاربة خمسة وهم: أبوالخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، عبد الرحمان ابن رستم، عاصم السدراتي، اسماعيل ابن درار الغدامسي وأبوداود القبلي؛انظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص19.

(2)- بن عميرة، المرجع السابق، ص93، محمود اسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص54.

(3)- سورة آل عمران، الآية 159.

(4)- أحمد ناجية، وضع القبائل البربرية في المغربيّن الأدنى والأوسط من وفاة الكاهنة إلى نهاية العهد الأغلبي -مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة تونس 2013، ص 93.

(5)- لقبال، المغرب، ص153.

(6)- عبد الرؤوف أحمد عرسان جرار، ثورات الصفرية في بلاد المغرب، مجلة الأستاذ، العدد 223، المجلد الأول سنة 2018- جامعة القدس المفتوحة، فرع جنين، فلسطين، ص328.

(7)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص 52/51.

والحقيقة أنّ البربر وجدوا في مبادئ الخوارج ما يستجيب لرغباتهم مثل عدم اشتراط إحتكار القرشية في الخلافة وحق القيام على السلطان الجائر وتكوين إمامة أو أكثر دون تفرقة بين الأجناس[1]، كما كان فكر الخوارج يبدو منافيا مع المدنية المفرطة ونظام الدولة المحكم ويميل للتنظيم القبلي الّذي يناسب البربر[2] وكان الولاة قد تمادوا في التنكيل بالبربر واستعمال التعسف إلى درجة محاولة بعضهم توشيم حرسهم وفرض عليهم الجزية وهم مسلمين[3] خاصة في عهدي يزيد بن أبي مسلم الثقفي، وعبيد الله بن الحبحاب السلولى[4] أنّ المتتبع لفترة ولاة بلاد المغرب سيلاحظ حتما ظهور السمات الإقطاعية في امتلاك الثروة وتركمها حكرا على الولاة وحاشيتهم، وتملكهم للعبيد والجواري المتخيرة والخصيان والدواب والذهب والفضة والآنية[5]، فكان الوالي يزيد بن حاتم (155هـ/171هـ) يملك الأراضي ويأنف عن العمل الفلاحي وفي هذا السياق يقول ابن عذاري "روي أنّ بعض وكلائه زرع فولا كثيرا في بعض رياضه فقال له: يا ابن اللخناء !! أتريد أنّ أعير بالبصرة فيقال يزيد بن حاتم باقلاني [6]!!"

ويضيف ابن عذاري قائلا " كان الوالي يزيد بن حاتم مزارع احد أبنائه تغص بقطعان من الغنم[7]". وكان الفقيه القيرواني محمد بن مسروق يمر بقرية من قرى أبيه فيخرج إليه أهلها ومن فيها فيقولون "نحن عبيدك وكل مالنا في هذه القرية فهولك، أمّا جواريه فإنهن يعددن بعدد الليالي".[8]

---

[1]- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص76.

[2]- محمد بن حسن، نفسه، ص77.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص56؛ محمد محمد زيتزن، المسلمون في المغرب والأندلس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط).(د.ت)، ص 65.

[4]- لقبال، المغرب، ص 155.

[5]- ابن عبد الحكم.المصدر السابق، ص93.

[6]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص 81-82.

[7]- ابن عذاري، نفسه، ج1، ص82.

[8]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص126.

ويبدوا أنّ الخلفاء الامويون في المشرق كانت لهم المسؤولية على ما مارسه الولاة، وكانوا يستحبون طرائف المغرب ويبعثون فيها إلى عامل افريقية فيبعث البربريات المختارات، فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب مناهم الكثير وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة[1]. وكان اعتقاد عبيد الله بن الحبحاب أنه يمكنه أنّ يبقى طويلا كوالي على ولاية إفريقية بتملقه هذا، إذا أجزل العطاء للخليفة في دمشق[2] فتعالى عن البربر وأصبح ينظر إليهم نظرة أهل الذمة وبالغ في جمع الجزية بدل الزكاة ولم يترك رجاله قبيلة إلّا ودخلوها وأصابوا من السبي أمر عظيم[3]،

ويمكن القول إجمالا أن ولاة إفريقية في هذا العهد بالغوا في التعسف، وفرضوا سياسات جائرة فكانت تؤخذ الضرائب في شكل رقيق، وأهم قرينة على ذلك ما كتبه عمر ابن العاص في شرطه على أهل لواته من البربر من أهل برقة بقوله "عليكم أنّ تبيعوا أبناءكم ونساءكم فيما عليكم من جزية، فقال الليث: فلوا كانوا عبيدا ما أحل الله ذلك"[4].

وكانت هذه الممارسات تحدث أمام أنفة البربر وما كان منهم إلّا أنّ بثوا شكواهم إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عن طريق ميسرة المطغري والذي فشلت مساعيه في الوصول إلى مجلس الخليفة.[5]

لقد ظهر للبربر عجز الخليفة على إنصافهم من ولاته، وفي المقابل كان هؤلاء الولاة مستمرون في ممارساتهم العدائية وهذا ما نلمسه من كلام ميسرة نفسه إذ قال في نفس السياق وهو يصف حالهم "...ثم إنهم عمدوا إلى شياهنا، فجعلوا يبقرونها بحثا عن السخال يطلبون

---

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص52.

[2]- لقبال، المغرب، ص156.

[3]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 222؛ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص 51-52.

[4]- البلاذري، المصدر السابق، ص ص 227/226.

[5]- لقبال، المغرب، ص157.

الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاه في جلد"[1] وقال ايضا " إنهم ساومونا أنّ يأخذوا كلّ جميلة من بناتنا، فقلنا، لم نجد هذا في الكتاب ولا سنة ونحن مسلمون"[2] .

إن هذه الممارسات أثارت غضب البربر ونقمتهم على السلطة، فلم يجدوا إلّا أنّ يأخذوا بالدعوة الّتي جاء بها الخوارج كسبيل وحيد وجدوا فيها ملاذا للفرار من ظلم الولاة[3]، وهو ما خلق أرضية خصبة لطرح أفكار الخوارج ومبادئهم في بلاد المغرب، وانخرط البربر في هذا المذهب وعملوا به، وعليه فإن الخوارج وجدوا المجال مهيأ لزرع هذا الفكر.

[1]- الطبري، تاريخ دار القاموس الحديث، ج5، ص ص 50-59.

[2]- الطبري، نفسه، ج5، ص50.

[3]- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص202.

المبحث الثاني: دور القبيلة في المذهب الخارجي ببلاد المغرب (2هـ/6هـ)

في الوقت الّذي كانت القبائل البربريّة تبحث عن موطء قدم لها في نسيج الأمّة العربيّة الإسلاميّة، كانت بلاد المغرب تعايش عديد المحن كغيرها من الأقطار الإسلاميّة ولعلّ الخصومات القبليّة لاسيما القيسيّة واليمنيّة[1] وسياسات ولاة الخلافة الإسلاميّة الجائرة هي في الغالب[2] من أعطت مناخا مناسبا لإستقطاب البديل الّذي كانت تبحث عنه القبائل البربرية والّتي وجدته آنذاك في دعوة الخوارج لها، وبعيدا عن فرضيات إبعاد الخلافة عن ما كان ولاة بنو أمية يقومون به والذي دافع عليه عديد المؤرّخين مثل محمد علي دبوز[3] والسيد عبد العزيز سالم[4] والذي لا يعفيهم في كلّ الأحوال من حقيقة أنّ الوالي هو مرآة للخليفة، فإنّ العديد من الدارسين كأحمد العزاوي ومحمود إسماعيل رأوا في تبنّي القبائل البربريّة للمذهب الخارجيّ لا يعدوا أنّ يكون مجرّد حركة دينيّة هي امتداد لحركات أخرى بالعالم الإسلاميّ، وهناك من رأى أنّها إحدى أوجه الصّراع بين البربر والعرب في زعامّة موطن بلاد المغرب، وقد تكون حرب قبلية بالوكالة عن عرق البرنس الموالي لسلطة بني أمية والبتر المتمثل في قبيلة زناتة تلك القبيلة البدوية المتمردة.

إنّ تمحيص كلّ هذه الآراء نجد فيها أحكام مسبقة، وأفضل قرينة على ذلك هو نسيان الوضع السياسي القائم في ذلك الوقت والذي شبهته المصادر بنظام الإقطاع[5]، وطبيعة الفرد المغربيّ الّذي يميل إلى الفكر التحرّري البدوي القبلي والذي يرفض الوصاية المركزية، وهذا ما كان يتقاطع مع الفكر الخارجي، فوجدت القبائل البربرية إطارا عاما مذهبيا يكون بمثابة لواء لها ضد ولاة بني أمية، ووجد الفكر الخارجي سيوف القبائل البربرية من أجل الانتشار في مضارب بلاد المغرب، فلبست القبائل البربرية ثوب المذهب الخارجي.

---

(1)- محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص31.

(2)- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص62.

(3)- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج2، ص165.

(4)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق،ج2. ص63.

(5)- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص 78.

المطلب الأول: القبائل المشكلة لعصبة المذهب الصفري

1- قبيلة مطغرة:

هي إحدى القبائل البترية -كما ذكرنا في الفصل الأول- والّتي عمرت بمضارب الأرياف، ويبد وجليا أنّ الخوارج لم يجدوا العناء الكبير في كسب ود هذه القبيلة البدوية كغيرها من القبائل البدوية الأخرى، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته بقوله: "ان القبائل البدوية تحوي أناسا على الفطرة الأولى، والأصل في الفطرة الاولى أنّ تكون مهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر..."[1].

وارتبط إسم هذه القبيلة بإسم زعيمها ميسرة المطغري، وكان هذا للدور الّذي لعبه هذا الأخير في نشر المذهب الصفري بين أفراد قبيلة مطغرة على اعتبار أنه هو زعيمها القبلي[2]، فتخطى الخوارج الصفرية مرحلة الدعوة إلى مرحلة الظهور، فأضحت بذلك مطغرة أول نواة لإتحاد قبلي بعد أنّ تمكن ميسرة من كسب مساندة القبائل الصفرية له، وبفضل تلك المساندة اكتسب دعما سياسيا أضيف للدعم الديني مكنه من توحيد كافة القبائل الصفرية في ربوع المغرب الأقصى تحت زعامته[3].

إنّ الملاحظ لهذه التجربة القبلية البربرية الأولى من نوعها والّتي أخذت طابعا تحرريا، مكّن ميسرة من اعتلاء قيادة حلف قبلي يحمل لواء تغيير مذهبي بمسمى -الصفرية- وفي الحقيقة ما كان هذا إلّا إشباعا لرغبات القبائل دفعا لجور الأمويين وتطلعا لأخذ الملك وكانت بدايات هذا الحلف القبلي ناجحة، إذ كان من ثمارها تكوين قيادة مشتركة مرتكزة على دعوة دينية موحّدة جعلتها تنتقل من طور السلم إلى طور الحرب [4]، وانعكس ذلك ميدانيا بالانتصار في أول

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص123.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص118

[3]- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص63

[4]- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص82

موقعة لصفرية الخوارج ببلاد المغرب في موقعة الأسراب[1] وقيل في مصادر أخرى موقعة الأشراف[2].لكثرة من قتل فيها من قادة العرب[3].

وهكذا تمكن هذا الحلف القبلي من السيطرة على مناطق المغرب الأقصى بعد معارك كثيرة[4] لتمتد هذه السيطرة من السوس الأقصى حتّى أواسط ليبيا[5]، حتى أنّ بعض المصادر تشير إلى تقلد ميسرة لاسم أمير المؤمنين بعد أنّ تم مبايعته بالخلافة[6].

وهنا لابد من التوقف على ما أقدمت عليه القبائل البربرية المنتحلة للنحلة الصفرية اتجاه ميسرة المطغري وهو رئيس قبيلة مطغرة بتوليته لزعامّة الحلف القبلي الصفري رغم أن قبيلته لم تكن هي القبيلة الغالبة، ولا نجد من تبرير لهذا سوى كون ميسرة حمل لواء الملك للحلف القبلي الناشئ مستئنسا بإرضاء المطالب القبلية وكان في الوقت نفسه عامل ضمان على ما يبدو لنجاح الحلف كون أنّ رئيس هذه الاتحاد القبلي ليس له نفوذ فعلي ولا عصبية قبلية قوية تحميه من عصب القبائل المتحالفة. إنما شرعيته استمدت من تنفيذ مطالب قبلية بغطاء مذهبي.

وهنا نستحضر قول الباحث محمد عابد الجابري في نفس السياق بقوله "معهم وفوقهم في آن واحد، وهو معهم من حيث أنّ العصبية ككل تقوم على المساواة في الحقوق والواجبات وهو فوقهم لأنه يحظى بتقديرهم واحترامهم[7] وهذا ما يظهر جليا في مسألة تنحية زعيم قبيلة مطغرة من رئاسة التحالف القبلي الصفري وبالتالي من إمامة المذهب وذلك بعد أنّ آثر على ما يبدو البعد الاستراتيجي بإنسحابه إلى طنجة والّتي رأت فيه القبائل المتحالفة معه تراجعا منه كونها كانت تدعوا إلى الإستمرار في الحرب.

---

(1)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص145

(2)- السيد عبد العزيز سالم. المرجع السابق.ج2.ص 220

(3)- عصام الدين رؤوف الفقي، تاريخ المغرب والاندلس، د.ط، مكتبة النهضة الشرق، القاهرة، (د س)، ص55.

(4)- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص110.

(5)- عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الإباضية، (د.ن)، (د.م)، 1982، ص97.

(6)- ابن خلدون، العبر، ج4، ص242. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص52.

(7)- الجابري، العصبية والدولة، ص182.

وهنا تقاطعت رغبات القبائل مع زعيم مطغرة وداعية المذهب الصفري، وقد أشار ابن خلدون لهذا في ذات السياق بقوله "ثم ساءت سيرته، فنقم عليه البربر بما جاء به فقتلوه، وقدموا على أنفسهم خالد بن حميد الزناتي"[1].

وهكذا فإن رؤية القبائل ما ينقض مابايعوا عليه زعيم مطغرة أدى بهم لعزله وقتله[2]، ولم تشفع له أسبقيته ولا علمه بالمذهب أمام عصبيات القبائل المؤلفة للحلف الّذي كان يقوده.

وصفوة القول أن قبيلة مطغرة قادة في فترة متقدمة بعد انتشار الاسلام ببلاد المغرب القبائل البربرية في حلف قبلي بغطاء المذهب الصفري .وكانت هي عصبية الحلف من خلال تراسه من طرف شيخ قبيلتها ميسرة المطغري .والذي سعى جاهدا لإسقاط حكم الامويين عن بلاد المغرب الاسلامي، لكن يبدو ان القبائل البربرية لم تجد تطلعاتها في شخص ميسرة فانقلبت عليه وقتلته لتخلف قبيلة مطغرة عصبية جديدة تمثلت في عصبية بطون قبائل زناتة

2- قبيلة زناتة:

يكفي أنّ هذه القبيلة قد صنفها ابن خلدون في مرتبة "جيل" [3]، حيث أنه أسهب في الكلام على هذه القبيلة، بل خصص جزءا كبيرا من كتابه العبر في جزءه السادس حول أخبار هذه القبيلة وكبرها وقوة شوكتها، ويبدو أنها حسمت الصراع السياسي على السلطة داخل الحلف القبلي الصفري الّذي كان بقيادة قبيلة مطغرة لصالحها وذلك بتحول القيادة إلى زناتة، وهنا نلاحظ تحقق رؤية ابن خلدون في الرياسة إذ قال في نفس السياق "الرياسة لا تكون إلّا بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية كما قدمناه، فلابد في الرياسة على القوم أنّ تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة، لأن كلّ عصبية منهم إذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم أقروا بالإذعان والاتباع" [4] وهو ما كان في هذا الحلف الّذي كان واضحا فيه غلبة عصبية زناتة.

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص221.

[2]- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص95.

[3]- بوزياني، القبائل ، ص142

[4]- ابن خلدون، المقدمة، ص131.

واذا استعرضنا الأحداث الّتي رافقت تحول قيادة الحلف القبلي من مطغرة إلى زناتة نجد أنّ عصبية قبلية زناتة كانت غالبة أيضا للتوجه العام للحلف القبلي الصفري، ووصفها ابن خلدون بقوله: "فزحف إليه خالد بن حميد الزناتي فيمن معه من البربر وكانوا خلقا لا يحصى"[1]، وظهر جليا انتصار رؤية القبيلة الغالبة، إذ ما أنّ صعدت قبيلة زناتة على ركح الأحداث التاريخيّة حتى صحّحت مسار التحالف القبلي الصفري، وواصلت ما توقفت عنده قبيلة مطغرة ساعة قيادتها للحلف القبلي واستعملوا في ذلك خالد بن حميد الزناتي[2].

وهكذا برز نجم قبيلة زناتة بعد أنّ أفل دور قبيلة مطغرة وقادت ثورات متوالية ضد وجود خلافة الأمويين ببلاد المغرب، فكانت أول الانتصارات لهذا الحلف بقيادة زناتية بقتل القائد ابن الحبيب في المعركة الشهيرة المسماة معركة الأشراف(123هـ/742م)[3]، ثمّ حقق انتصار ثاني لهذا الحلف الجديد على الخلافة بمضارب واد سبو قرب مضارب بقدورة بالقرب من تيهرت (124هـ/743م)[4].

ورغم أنه لم تجُد علينا المصادر حسب اطلاعنا بذكر أخبار زعيم قبيلة زناتة خالد بن حميد بعد هذا، وكان اختفاءه على ما يبد وبكيفية غامضة لكن الأكيد أنّ صراع العصب على رئاسة الحلف القبلي الصفري بقيت مستمرّة وقرينة ذلك هو تغير قيادة هذا الاتحاد للمرة الثالثة.

3- قبيلة هوارة :

بزغ دور قبيلة هوارة تزامنا مع دخول حنظلة بن صفون سنة 124هـ مسرح التواجه مع القبائل البربرية المتمردة بمسمى حرب الخلافة الأموية لخوارج الصفرية ببلاد المغرب، وكان الحلف القبلي البربري قد عرف تصدّع جديدا على ما يبدو أفرز قيادة جديدة أيضا لهذا الحلف

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص222.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق.ج2، ص220.

[3]- ابن عبد الحكم،المصدر السابق، ج1، ص237؛ السيد عزيز سالم، نفسه،ج2. ص220.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج4، ص242؛ سعد زغلول، المرجع السابق، ص299.

القبلي الصفري بقيادة عبد الواحد الهواري[1] والحقيقة أنّ هذه القيادة الهوارية لم تكن موحّدة إنما تقاسمتها مع عرب الفتح بقيادة عكاشة الفزاري[2].

وهنا لابد من الإشارة إلى أنّ هذا الحلف البربري العربي هو الأول من نوعه على ما يبد وبين الخوارج الصفرية وعرب الفتح، ممّا يعطي انطباعا حقيقيا لحدّة التنافس الّتي كانت تعيشها القبائل على السلطة من خلال زعامّة الأحلاف القبلية، وإن كانت تحت لواء مذهب واحد، وكانت حين ذاك قد انتقلت فروع من قبيلة هوارة من مضارب طرابلس باتجاه الأوراس، وتحالفت هذه الفروع مع قبيلة زناتة الّتي بقيت على العهد في حلفها ضد الخلافة ودليل ذلك أنّ معظم عناصر جيش عبد الواحد الهواري من قبيلة زناتة قد ساندته في صراعه ضد الخلافة[3]، وقد خصّ ابن خلدون هذا بقوله "وهوارة يومئذ خوارج على الدولة، منهم عكاشة بن أيوب وعبد الواحد بن يزيد في قومهما، فثارت هوارة ومن تبعهم"[4]، فضلا على أنّ لهوارة عديد المواقف[5] مع الحلف الصفري، لكن تصدّى لهم جيش حنظلة ابن صفوان[6]، وطاردهم إلى نواحي المغرب الأقصى وبهزيمة الحلف الهواري العربي يكون حنظلة[7]، قد قضى على ثورة الخوارج الصفرية بالمغرب الأوسط[8].

---

(1)- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 98.

(2)- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، تاريخ المقريزي الكبير، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، (د ط)، بيروت، لبنان، ج3، ص 372.

(3)- بن عميرة، المرجع السابق، ص81.

(4)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص221.

(5)- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج3، ص735.

(6)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص58.

(7)- استطاع حنضلة أنّ يحرز النصر على الثوار في معركتي القرن والاصنام خارج القيروان سنة 124 هـ؛ انظر: احمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص.25 حتى قيل أنه رد ما علم في الأرض مقتلة كانت أعظم منها؛ انظر: ابن عذاري، نفسه، ج1، ص59

(8)- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص66؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص33.

وهكذا وبعد موت الخليفة هشام سنة 125هـ، دخلت الدولة الأموية مرحلة الإحتضار، ثمّ انشغلت الدولة العباسية الناشئة بمشاكل تأسيسها[1].

4- قبيلة مغيلة:

كانت لهذه القبيلة أدوار بالغة الأهمية منذ ظهور الخوارج الصفرية ببلاد المغرب، وكانت في مقدمة القبائل الثائرة على ولاة القيروان[2] وكان زعيمها أباقرة المغيلي والذي أعلن نفسه إماما للخوارج الصفرية بعد مبايعته سنة 148هـ/766م بنواحي تلمسان[3] وحاول القضاء على حكم العرب بإفريقية لكن تصدى له جيش حنضلة بن صفوان.[4]وقد سجل التاريخ لهذه القبيلة بقيادة زعيمها ابا قرة اليفرني العديد من المعارك ببلاد المغرب ضد الخلافة وكانت هذه الاخيرة في كل مرة تسعى للقضاء على خطر هذه القبيلة ومن وراءها النحلة الخارجية ومن دلائل ذلك ان الخلافة كلفت العديد من امرائها للقضاء على ثورة هذه القبيلة منهم الامير الاغلب بن سالم الذي استمر في قتالهم الى غاية سنة 150هـ[5] ثم عمربن حفص المهلبي 151هـ[6] الذي وجد نفسه في مواجهة قبيلة مغيلة ومن حالفها من جيوش بقيادة عبد الرحمان بن رستم وعاصم السدراتي والمسعود الزناتي وكلهم كانت تجمع بينهم النحلة الخارجية و بقيت الحرب بين مغيلة وحلفائها سجال الى ان قضى عليهم الامير حاتم المهلبي سنة 157هـ/744م[7].

5- قبيلة ورفجومة:

ارتبطت هذه القبيلة صاحبة النحلة الصفرية بتلك الأعمال الّتي تسببت بمجازر القيروان الّتي فاقت حدود الوصف[8]، مستغلة ذلك الفراغ الّذي حدث داخل بيت الخلافة العباسية مما

---

(1)- احمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص65.

(2)- بوزياني، القبائل ، ص 1418/ 119.

(3)- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 528.

(4)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص 58-60.

(5)- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 211.

(6)- عبد الرحمن الجيلالي، نفسه، ج1، ص 211.

(7)- عبد الرحمن الجيلالي، نفسه، ج1، ص 212.

(8)- بوزياني.القبائل، ص219. الميلي، المرجع السابق، ج2، ص528.

سهل لها دخول القيروان سنة 138هـ، ورغم أنّ ورفجومة هي إحدى بطون قبيلة نفزاوة الإباضية[1] إلّا أنها مالت للنحلة الصفرية وبتطرف شديد، فقاموا بالقضاء على حكم ابن حبيب الفهري في إفريقية والمغرب نهاية سنة 138هـ/756م[2].

ويصف ابن خلدون تطرفهم بقوله أنّ بربر ورفجومة أفسدوا وظلموا واستهانوا بالدين حتى أنّ زعيمهم عاصم بن جميل ادعى النبوة[3]، وقد أجمعت المصادر في تعليلها لمسألة خروج أبي الخطاب إلى القيروان إنما كان تلبية لنداءات أهل القيروان واستغاثتهم به. جراء ما قامت به قبيلة ورفجومة تحت لواء الصفرية من إعتداء على النساء وقتل الرجال وانتهاك الحرمات[4] عندما ربطوا دوابهم في مسجد عقبة بن نافع وفعلوا مختلف المنكرات فيه[5] مما دفع نفزاوة على ما يبدو الى التحول للمذهب الإباضي، كما يقول ابن خلدون[6] ليتولى زعامّة هذه القبيلة الصفرية في مرحلة ثانية عبد الملك بن أبي جعد اليفرني.[7] وفي هذا السياق يمدنا ابن عذاري بنص يبين فيه نهاية قبيلة ورفجومة على يد أبي الخطاب بقوله " وفي سنة 141هـ، كان خروج أبي الخطاب إلى القيروان لقتال ورفجومة، فخرج إليها عبد المالك، فخذله أهل القيروان، وإنهزموا عنه، فقتل عبد الملك وأصحابه في صفر، وكان تغلب ورفجومة على القيروان سنة وشهرين"[8].

وصفوة القول أنّ ضغط ولاة إفريقية على الصفرية، والذي يرجح أنه سبب لإبتعادهم عن القيروان قابله انتشار الصفرية في المغرب الأقصى تحديدا وبقيادة قبائل بربرية عريقة على شاكلة زناتة ومصمودة مكنها من الإسهام في ظهور إمارات خارجية مستقلة.

---

(1)- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص529.

(2)- ابن عذاري، المصدر السابق،ج1، ص70.

(3)- ابن خلدون، العبر، ج4، ص 244.

(4)- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 141-142؛ الدرجيني، المصدر السابق، ص 60.

(5)- لقبال، المغرب، ص163.

(6)- ابن خلدون، العبر،ج6، ص 135؛ محمود اسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص، ب، من مقدمة كتابه.

(7)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص70.

(8)-ابن عذاري، نفسه، ج1، ص71.

المطلب الثاني: القبائل المؤسسة للإمارات ذات النحلة الصفرية

1- **إمارة تامنسا(2هـ/5هـ)** [1]: يرجح غلبة الأصل الزناتي لهذه الإمارة خلافا لرأي ابن خلدون الّذي يؤكد أنها امتداد لمجال مصمودة، فتكون بذلك مصمودية العصبية[2]، وبالرجوع إلى تأسيس هذه الإمارة الخارجية الصفرية. نجد أنّ المصادر تربط هذه الإمارة البرغواطية بزعيمها طريف ومن بعده ابنه صالح الّذي كان ملكا على زناتة وزواغة[3]، وكانت مضارب برغواطة المتواجدة بريف المغرب الاقصى وتحديدا بجوار قبيلة غمارة المصمودية. والّتي كان لها ذكرا عند ابن عذاري بقوله" وكان بالمغرب حينئذ، قوم ظهرت فيهم دعوة الخوارج ولهم عدد كثير وشوكة كبيرة وهم برغواطة"[4]، كما كان لهذه القبيلة الدور الريادي في قيادة الحلف القبلي الصفري على عهد ميسرة المطغري، وما ان قتل ميسرة لأسباب غامضة حتى رجع طريف إلى تامنسا وبايعه أهلها على الإمارة سنة 123.[5]

ويبدو أن طريف قاد قبيلته نصرة للصفرية ضد سلطة ولاة الخليفة، ومرت عليه معارك الأشراف وبقدورة وموقعتي القرن سنة 124هـ/472م، والأصنام عام 125هـ/743م[6]، وجال طريف بقيادته لقبيلة برغواطة المغرب الأوسط والمغرب الأدنى في حربهم ضد بني أمية في مضارب القيروان، وفي هذا السياق يخصهم ابن عذاري بقوله" وإن الصفرية رجعت إلى مدينة القيروان لنهبها واستباحتها في ثلاث مائة ألف من البربر مع أمير منهم ... وكان طريف من جملة قواد هذا العسكر"[7].

---

(1)-أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص78.

(2)-أحمد العزاوي، نفسه، ج1، ص78.

(3)- أحمد العزاوي، نفسه، ج1، ص78.

(4)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص59.

(5)- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص78.

(6)- ابن عذاري، المصدر السابق.ج1،ص58.

(7)- ابن عذاري، نفسه،.ج1، ص ص 56-57.

ولعل تفكك أول أحلاف البربر البترية ذات الصبغة الصفرية بقيادة قبيلة مطغرة كان إيذانا بنشوء إمارة جديدة مستغلة في الوقت نفسه صراعات الدولة الأموية القبلية -القيسية واليمنية- وأفول عصبيتهما من جهة. وبروز عصبية الدولة العباسية من جهة أخرى.

إنّ مسألة المذهب عند الإمارة البرغواطية سادتها عديد الآراء والإستنتاجات حول مرجعيتها الصفرية أو إرتدادها على الدين الإسلامي وتحريفه، غير أنّ الظاهر أنه وبعد وفاة طريف خلفه ابنه صالح والذي استمر على الأقل ظاهريا على مذهب الخوارج الصفرية[1] وفي الوقت نفسه تكاد تجمع المصادر على أنه وضع أسس ديانته الجديدة وحاول ربط الدين الإسلامي بالعرب، وأن ديانته تخص البربر فقط[2]، وهكذا حاول صالح بناء حلف جديد تحت غطاء مذهبه الجديد يضم القبائل البربرية مثل جراوة وزواغة وبني ودمر ومطماطة وزناتة[3] وفي نفس السياق يقول ابن الخطيب " ودخل في طاعته خلق كثير من زناتة وغيرهم وعظم أمره"[4].

2-إمارة سجلماسة المدرارية (140/296هـ) [5]:

ظهرت إمارة سجلماسة المدرارية ذات النحلة الصفرية سنة 140هـ في واحة تافيلالت جنوب بلاد المغرب الأقصى[6]، غير أنّ العديد من المؤرّخين عملوا على التقليل من المكانة التاريخيّة لهذه الإمارة، وقد فسّر الباحث محمود اسماعيل ذلك بكون هذه الإمارة جاءت بالمضارب الصّحراوية الدّاخلية البعيدة عن مراكز الحل والعقد فضلا على أنّ شح المصادر وندرة المادة العلميّة جعل المؤرّخيون يحجمون عن الخوض في موضوعها[7]،.

---

[1]- ابن خلدون.العبر.ج6، ص ص 428-429.

[2]- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص79.

[3]- مؤلف مجهول، الإستبصار، ص 200.

[4]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص 184.

[5]- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص 86.

[6]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 267/ 273.

[7]محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص 112/ 113.

والجدير بالذكر أنّ قوام هذه الإمارة كانت عصبيّة قبيلة مكناسة[1]، كما أسهمت عناصر قبلية أخرى غير مكناسة في قيام هذه الإمارة ولعل أبرزها بربر صنهاجة (الملثمين) [2].

وتجدر الاشارة هنا أنّ الكثير من الباحثين يغيبون دور صنهاجة في الإنخراط في ثورات الخوارج ضد السلطة الأموية وحتى العباسية فيما بعد، والحقيقة عكس ذلك فإبن عذاري يصف لنا ثورة صنهاجة بقيادة ثابت الصنهاجي على السلطة وكيف استولى على باجة[3]، كما أنّ ابن خلدون زودنا بنص يعتبر من أهمّ القرائن على دور صنهاجة في المذهب الخارجي بقوله "...واستشرى داء البربر وأعضل أمر الخارجية ورؤوسها، فانتفضوا من أطراف البقاع، وتواثبوا على الأمر بكل ما كان داعين بدعوتهم، وتولى كبر ذلك يومئذ صنهاجة"[4]، ولم تكن صنهاجة هي القبيلة الوحيدة الداعمة لقبيلة مكناسة في قيام إمارة سجلماسة بل كانت أيضا قبائل أخرى مثل زويلة وزناتة وحتى زنوج السودان وأهل الربض الأندلسيين[5]، وكان إمتداد مضارب مكناسة حول حوض ملويّة وقد سبق لها أنّ ثارت مع مسيرة المطغري ضمن الحركة الاولى للخوارج الصفرية، وكان زعيمها آنذاك أبو القاسم سمكو بن واسلول،والذي بايع عيسى بن يزيد الأسود على إمارة سجلماسة[6] وقد فتح المؤرّخون هنا جدلا واسعا حول طبيعة هذه المبايعة، ونحن نعرف أنّ ابا القاسم سمكو هو ابن قبيلة مكناسة صاحبة العصبة الغالبة في الإمارة وأن عيسى بن يزيد هو رجل غريب عن مكناسة ولا عصبية له، وفي هذا السياق لابأس أنّ نتطرق لأهم الفرضيات الّتي تجادل فيها المؤرّخون.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج4، ص 34.

[2] – أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص 86.

[3] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص61؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2،ص324

[4] – ابن خلدون، العبر ج6،ص223، عبد العزيز سالم، نفسه، ج2، 324.

[5] –النفوسي.سليمان بن عبد الله الباروني. الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية،المطبعة البهية البارونية 1940، (د.ط)،ج1. ص33؛ ابن خلدون. العبر،ج6،ص130؛.محمود اسماعيل، الخوارج، ص114؛ سلمى محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص181.

[6] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 156.

1-الفرضية الأولى: الرأي القائل بتفضيل صاحب العلم والأقرب للمذهب كشرط لزعامّة الإمارة وسندنا في ذلك هو ماسبق ظهور هذه الإمارة تحديدا عند بداية انتشار النحلة الصفرية وذلك بتشكيل أول حلف قبلي بقيادة مسيرة المطغري، رغم أنّ قبيلة مطغرة ليست القبيلة الغالبة انما كان مسيرة السباق للمذهب خصوصا أنّ المذهب الصفري يجعل الإمامة في أي فرد قادر على الاضطلاع بها بصرف النظر عن أصله ولونه [1]

2- **الفرضية الثانية:** إحتمال وجود صراع زعامّة داخل قبيلة مكناسة نفسها حول قيادة الإمارة وإختيار عيسى بن يزيد الأسود لقيادتها، هو حل للنزاع بالقبيلة ومن وراءها الإمارة ككل جراء الصراع على رءاستها.

3- الفرضية الثالثة: هو إحتمال وجود العنصر السوداني المستقرين بالإقليم الّذي كان موطن لإمارة سجلماسة أكثر عددا من العنصر المكناسي نفسه لاسيما في بداية عهد الإمارة، ذلك أنّ قبيلة مكناسة عرف عليها الترحال بين المضارب وعدم الاستقرار بموطن واحد بحثا عن المعاش كونها قبيلة بدوية، ولعل تنازلها عن قيادة الإمارة قد يكون عمل استراتيجي من زعماء قبيلة مكناسة لكسب الوقت من أجل إعمار موطن الإمارة بافرادها وهذا ماحدث فعلا مع مرور السنوات، لتنقل زعامّة الإمارة بعد مقتل عيسى بن يزيد بتهمة السرقة[2]، وتتم مبايعة بعده مباشرة أبو القاسم سمكو بن واسول فترة (155/168هـ) على إمارة سجلماسة[3] ليستقر الحال لقبيلة مكناسة ذات النحلة الصفرية في قيادة إمارة سجلماسة [4] وبقي الحال هكذا إلى غاية نشوء مشكل الإمامة في عهد الأمام المنتصر الملقب بمدرار فترة (208/253هـ)[5]، وما حدث بين ولديه ميمون بن الرستمية والمعروف بإبن أروى وهي أمة بنت عبد الرحمان بن رستم

---

[1]- سلمى محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 181.

[2]- أحمد العزاوي، المرجع السابق،ج1، ص87.

[3]- البكري، المصدر السابق،ج،1، ص148؛ العزاوي، المرجع السابق،ج1،ص87.

[4]- سلمى محمود، المرجع السابق، ص182.

[5]- العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص88.

صاحب تيهرت[1] وميمون بن تقية، بعد أنّ ولى المنتصر المدراري ابن الرستمية ميمون على رأس الإمارة وظهرت مخاوف تحول مذهب الإمارة من الصفرية إلى الإباضية، خاصة بعد تزايد عدد الإباضيين بالإمارة، لكن التفاف أهل سجلماسة بميمون بن تقية ثبت المذهب الصفري بسجلماسة[2] ولعل تغلغل المذهب الصفري بين البربر والعرب والأفارقة والسودان على حد سواء، واشتماله لكافة الأجناس دفع ابن خلدون الى القول أنّ الصفرية قد فشت مقالتها في سائر القبائل بإفريقية وصار لهم عدد كثير وشوكة قوية[3].

لتعرف الإمارة بعدها هزات مذهبية أخرى خاصة بعد غلبة المذهب العبيدي الشيعي في بلاد المغرب ووصول نفوذه إلى الإمارة إلى غاية أنّ قام الأمير محمد بن الفتح (331هـ/347هـ)، بالتخلي عن التعبية للعبديين واتباع مذهب أهل السنّة هكذا بقي حال الإمارة إلى أنّ سقطت بيد بني خزرون الزناتيين سنة (366هـ) الموالين للأمويين، لتسقط بعدها الإمارة في يد المرابطين أواسط القرن الخامس للهجرة[4].

وصفوة القول أنّ نشوء الإمارة الصفرية قد مر بمرحلتين أساسيتين: الأولى وغلبت عليها تلك العصبية القبيلة والّتي رجحت كفة قبيلة مكناسة باعتبارها القبيلة المبادرة لتزعم ذلك الحلف الّذي كان قوام إمارة سجلماسة، لتليه بعدها مرحلة ثانية مالت فيها الكفة لقوة المذهب الصفري في توجيه الأحداث بعد ذلك، دون أهمّال العامل الإقتصادي الّذي كان له ثقله في مجرى الأحداث بعد ذلك، كون أنّ إمارة سجلماسة كانت همزة وصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان.

3-إمارة بني يفرن بتلمسان (157/148) [5]:

ارتبط ظهور هذه الإمارة على مسرح الاحداث ببلاد المغرب بتحول نشاط الصفرية من المغرب الأدني إلى المغرب الأوسط بعد ضغط بني أمية على نشاطها وفي الوقت نفسه ظهور

---

(1)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 157؛ ابن خلدون.العبر، ج6، ص130.

(2)- ابن عذاري، نفسه، ص157؛ سلمى محمود، المرجع السابق، ص184.

(3)- محمود اسماعيل، الخوارج، ص50.

(4)-احمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص90.

(5)-عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص211- 212.

قوى إباضية يبدو انها رأت في القبائل البربرية المتبنية للمذهب الصفري عائقا لمشروعها الدعوي خاصة بعد رجوع طلبة العلم من المشرق، ليجد أبو قرة الصفري المجال مفتوحا لتأسيس إمارته بحلف قبلي صفري جديد، إذ أنّ أباقرة اليفرني تولى الزعامّة الصفرية الزناتية[1] عقب وفاة خالد بن حميد الزناتي وقد أشارت المصادر وإن كان ذلك بإقتضاب إلى دور أبي قرة اليفرني في حصار مدينة القيروان سنة (125هـ/743هـ)، وكان يقود معركة الأصنام الشهيرة الّتي انتصر فيها حنظلة بن صفوان[2] على دعاة الصفرية، وكان من افرازات إنهزام الصفرية في المعركة فرار أبي قرة إلى تلمسان وبقائه مرابطا بها ينتظر فرصة تجديد ثورة الصفرية، وكان له ذلك ساعة طرد عبد الرحمان بن حبيب الفهري من قبل ابن صفوان من القيروان سنة (192هـ/746م) لتتجدد ثورة أبي قرة بتلمسان وتدوم مدة ستة سنوات كاملة انتهت بانهزام أبي قرة ومن معه من بني يفرن[3]، لكن محن العباسيين ببلاد المغرب بقيت مستمرة وهو ما استغله بن ويفرن ليبايعوا أبا قرة اليفرني إماما عليهم سنة (148هـ/765م) والذي جدد محاولاته الاستلاء على القيروان، لكن تمكن الأغلب بن سالم التميمي والي افريقية من دحرهم، ليضطر أبو قرة للإنسحاب مجددا إلى تلمسان خاصة مع تجدد ضربات القبائل الإباضية ضد القبائل الصفرية[4]، كلّ هذه الظروف دفعت أبا قرة على مايبدو الى مراجعة خططه اتجاه الخطر العباسي، وتفطن إلى ضرورة بناء قاعدة ارتكاز ثابت له كأولوية وهو ما كان له بمضارب تلمسان والّتي هم بتحصينها وحاول جعلها حاضرة عامرة محصنة بصور منيع[5] بل أصبحت تلمسان عاصمة للإمارة الصفرية الفتية وقبلة لقبائل أخرى مثل قبيلة مغيلة وصفرية المغربيّن الأدنى والأوسط[6] مما هز مضجع الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور (136هـ/145هـ)،

---

(1)- الميلي.المرجع السابق، ج2، ص528.

(2)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص62 ؛ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص118.

(3)- ابن عذاري، نفسه، ج1، ص61.

(4)- ابن خلدون، العبر،ج6، ص 162؛ ابن عذاري، المصدر السابق،ج1، ص ص 70-71.

(5)- البكري، المصدر السابق،ج1، ص ص 76-77.

(6)- اسماعيل محمود، الخوارج في المغرب، ص77.

الّذي اعتمد على أفضل قادته لإزالة إمارة أبي قرة اليفرني ومن هؤلاء القادة الأغلب بن سالم التميمي[1] وعمربن حفص بن عثمان الملقب ب -المهلب بن أبي صفرة- [2].

وفي المقابل قام أبو قرة بعقد تحلفات مع القبائل الإباضية خاصة مع أبي حاتم يعقوب بن حبيب بنواحي طرابلس[3] وعبد الرحمان بن رستم[4] وعاصم السدراتي[5] وكان مسرح هذا التواجد مضارب القيروان ومدينة طبنة الّتي كانت تقع على الطريق الرئيسي المؤدي إلى تلمسان مقر إمارة بني يفرن الصفرية، وقد عانت امارة أبي قرة اليفرني كثيرا من المجاعات الّتي انتشرت في ذلك العهد[6] في حين كانت الخلافة العباسية تنفق الأموال على أعيان بني يفرن لتأليبهم عليه، مما أدى إلى انقسامات كبيرة داخل معسكر خوارخ الصفرية وبقي الحال هكذا إلى غاية وفاة أبي قرة بتلمسان، لتشح بعدها المادة الخبرية حول هذه الإمارة الصفرية.

وصفوة القول: أنّ مجيء خوارج الصفرية لبلاد المغرب كان يبد وكمخرجا لهم من ضربات الخلافة الأموية لهم وصادف هذا وجود الكثير من أهل المغرب مشبعون بسخط كبير ضد عمال بني أمية لتتقاطع رغبة قبائل البربر المتمردة من هوى الخوارج في كراهية بني أمية ليحدث تحالف بين عصب القبائل البربرية والمذهب الصفري فتتحول حركة الخوارج الصفرية من حركة دينية خالصة في أول عهدها إلى حركة عدوانية معارضة للخلافة، اعتمدت على قبائل غرب بلاد المغرب لبعدها عن مركز الخلافة وحاولت التوسع عن طريق الأحلاف القبلية أو الدويلات لكنها فشلت في النهاية نتيجة تصارع العصب القبلية المشكلة لها وعدم التمكن من توحيد كلمتها مع إباضية بلاد المغرب.

---

[1]- هو الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي أحد ولاة إفريقية حين ولاه المنصور إياها سنة 148هـ؛ أنظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص112.

[2]- ابن الأبار،ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي قضاعي، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر، 1985م، ج1، ص72.

[3]- ابن خلدون، العبر ج6، ص112

[4]- ابن عذاري.المصدر السابق، ج1، ص75.

[5]-ابن عذاري، نفسه،ج1، ص75.

[6]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص88.

المطلب الثالث: القبائل المشكلة لعصبة المذهب الإباضي

1- قبيلة لماية:

كان لهذه القبيلة البترية أدوار بالغة الأهمية في احتضان المذهب الإباضي، ويعود جذور عهدها مع هذا المذهب من خلال مشاركتها في بث سلطان إمام الإباضية ببلاد المغرب أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري على مضارب طرابلس والقيروان، حيث لجأ إمام الإباضية اليها عند محاربته لقبيلة ورفجومة ذات المذهب الصفري والّتي عاثت في المنطقة فساد[1].

وبمقتل أبي الخطاب ضاقت المضارب بواليه عبد الرحمان بن رستم الّذي فر من القيروان إلى المغرب الأوسط مستجيرا بحلفائه من القبائل البربرية وهو ما كان من قبل قبيلة لماية، وهناك نص لإبن خلدون في ذات السياق يقول فيه "... نزل على قبيلة لماية لقديم حلف بينه وبينهم"[2].

والحقيقة أنّ إختيار هذه القبيلة لم يكن عبثا بل كان تتويجا لنضالها في خدمة المذهب الإباضي واحتماءا بعصبيتها، خاصة أنّ مضارب هذه القبيلة بالجنوب الشرقي للمغرب الأوسط[3] ومن أدوارها أنها كانت سيفا للإباضية في عهد أبي الخطاب ثمّ على عهد عبد الرحمان بن رستم بالإمامة وساهموا في بناء عاصمة الإمارة الرستمية تيهرت[4].

2- قبيلة لواتة:

وهي قبيلة بترية عرفت الإسلام باكرا كون مضاربها بإقليم برقة وهي منطقة تماس بين بلاد المغرب ومصر، وكان إمتداد شعبها إلى إقليم طرابلس وقابس وجبل الأوراس وفي هذا السياق

---

(1)- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص528.

(2)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص246؛محمد دبوز، المرجع السابق، ج3، ص ص 253-254.

(3)- على أنّ جمهورهم كان يرتع في مراتع المغرب الأوسط أنظر: بوزياني، القبائل ج1،ص108، كما أنّ ابن خلدون يخص قبيلة لماية بتحديد دقيق بأرض السرسو جنوب منداس وإلى الغرب أرض زواغة ؛أنظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص246.

(4)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص247.

قال ابن خلدون "...وكان منهم بجبل الأوراس أمة عظيمة"[1] وهي مضارب عرفت أوج ثوارت الخوارج الإباضية في بداية ظهورهم ببلاد المغرب على أيام أبي الخطاب المعافري، وكانت سيوف لواتة سيوفا إباضية في أيام محن المذهب، وبرز دورها أكثر أيام استقرار المذهب في تيهرت وهنا قال ابن خلدون " كان من لواتة، هؤلاء قبيلة عظيمة بضواحي تاهرت إلى ناحية القبلة، وكانوا ظواعن هناك على وادي مينا"[2].

إنّ المتتبع للدور الّذي لعبته قبيلة لواتة في تثبيت دعائم المذهب الإباضي يدرك تماما أنّ هذه القبيلة تجاوزت مسألة عصبية القبيلة الداعمة للمذهب الإباضي بل كانت عماد المذهب، وهنا لدينا عديد القرائن على ذلك منها مسألة مصاهرة ثاني امام للدولة الرستمية عبد الوهاب بن عبد الرحمان(168هـ/188هـ) لأحد أعيان قبيلة لواتة وقد جاء مؤرّخ الدولة الرستمية ابن الصغير(ت719هـ) بعديد الإشارات الأخرى الّتي تبرز دور هذه القبيلة منها تحالفها مع الإمام أبي اليقضان(241هـ/281هـ) ضد محمد بن مسالة الّذي اقتطع تيهرت وتملكها بعد طرده لكل موالي أبي اليقضان[3]

كذلك احتضان هذه القبيلة لأبي اليقضان بموضع يقال له "تساونت" قرب نهر مينة الّذي هو بمضارب تيهرت ومن هناك تمت مبايعته بالإمامة[4].بمضارب تيهرت ومن هناك تمت مبايعته بالإمامة[5] .

3- قبيلة زواغة:

وهي قبيلة بربرية من فرع البتر لهم بطون في طرابلس وقسنطينة وجبال شلف ونواحي فاس[1] ظهرت قبيلة زواغة بثقلها على عهد الإمام يعقوب بن أفلح حين احتضنته بمضاربها

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص117.

[2]- ابن خلدون، نفسه، ص118؛ الميلي، المرجع السابق، ج1، ص72.

[3]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص 84-85.

[4]- بوركبة محمد، الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، دار كفاية، 2017، ص151.

[5]- بوركبة محمد، نفسه، ص151.

في الجهة الغربية بطرابلس سنة 282هـ/895م[2] وسطع نجمها أكثر خلال ماواكب الدولة الرستمية من أحداث في عهد أبي حاتم(281هـ/294هـ) الّذي خرج عن طاعته رجلا يسمى الطيب بن خلف في جبل نفوسة ولم يتمكن عامله أبي منصور إلياس من القبض عليه بعد أنّ فر الطيب بن خلف إلى قبيلة زواغة مستجيرا بها خاصة أنها كانت على رأي أبيه خلف[3] ورفضت أنّ تسلمه إلى أبي المنصور، فدارت بينهم الحرب هزمت على اثرها زواغة ولجأت إلى جزيرة جربة ليتم بعدها إلقاء القبض عليه وأخذه إلى الجبل وحبسوه وظل بسجنه حتى أعلن عن توبته وأطلق سراحه[4].

4- قبيلة بني يفرن:

هي قبيلة بربرية ثائرة، وعرفت بتحالفاتها الكثيرة منذ بداية الفتح الإسلامي وذلك بتحالفها مع قبيلة جراوة ضد الفاتحين، ثمّ تحالفت ضد ولاة بني أمية بقيادة ميسرة المطغري ثمّ بقيادة خالد بن حميد الزناتي ثمّ بقيادة أبي قرة اليفرني[5] وستأتي لها تحالفات سيتم ذكرها في سياقات أخرى.

والظاهر أنّ عبد الرحمان بن رستم (144هـ/168هـ) كان يدرك الطابع الثوري لهذه القبيلة خاصة أنها تعتبر من أهمّ بطون زناتة، فعمل على احتواء عصبيتها، وكان أولى خطوات عبد الرحمان بن رستم لذلك هي استعمال رابط المصاهرة، حيث تزوج من إمراة يفرنية من أميرات تلمسان[6] .وهي الّتي أيدت إبنها عبد الوهاب في اختياره إماما بعد وفاة أبيه من بين الستة[7]،

---

(1)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص.264 ؛الميلي، المرجع السابق، ج1، ص75.

(2)- بوركبة، المرجع السابق، ص155.

(3)- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والاندلس(160هـ/296هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، 1987/1408م، ص189.

(4)- الباروني، الازهارالرياضية، ج 2، ص278.

(5)- بوزياني، القبائل ، ص156

(6)- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص110

(7)- الدرجيني، المصدر السابق، ص ص55/54.

وتجدر الاشارة الى أن هذا التكتيك السياسي لم يكن هو الأخير لعبد الرحمان، حيث فعل الأمر نفسه بتزويج إبنته أروى لمدرار بن اليسع[1] .وهو ما خلق توازن كبير للإمارة الإباضية على الأقل في عهده، لكن بعد وفاة عبد الرحمان بن رستم وظهور مسألة استخلافه والّتي انتهت أطوارها بتوليه ابنه عبد الوهاب بالإمامة حيث وصفه ابن الصغير بقوله"...ملكا ضخما وسلطانا قاهرا، وعلى يديه افترقت الإباضية"[2].

وبداية من هذا العهد طفت معالم معارضة قوية من داخل الكيان الإباضي تحديدا من قبيلة بني يفرن بقيادة أبي قدامة يزيد بن فندين اليفرني وكانت هذه المعارضة تظهر في الوهلة الأولى على شكل تصحيح للخط الإباضي في تولية الإمامة وربطت الأمر بما كان يحدث في عهد الإمام الأول عبد الرحمان بمثابة قدوة وجلب الاقتداء بها وذلك بإنشاء مجلس استشاري وإعطاء الإمامة لمن هو أعلم، بل هناك نص ذكره الشماخي يقول فيه" أنّ ابن فندين اشترط على الإمام الّا...يقطع أمرا دون مشورة جماعة من المسلمين معلومة"[3].

والملاحظ أنّ المصادر الإباضية أوردت أنّ هذه المعارضة بقيادة بني يفرن وصنفتها في إطار الانشقاق المذهبي وأعطت قرينة على ذلك بأن عبد الوهاب هو من أم يفرنية، لذلك لا يمكن محاربته بالعصبية اليفرنية[4]. لكن الواقع أظهر أنّ هذه المعارضة تحولت من المدينة إلى الجبال واكتسبت أنصارا تحت عديد الشعارات كمعارضة الضرائب الثقيلة[5] بل وحاولوا إعطاء صورة على أنّ إباضية بني رستم مازالوا على سطحية الفهم العميق لتعاليم الإباضية ولعل لجوء زعيم بني يفرن ابن فندين لفتوى علماء المذهب بالمشرق لدعم حركته الثورية على حساب بني رستم لأفضل قرينة على ذلك، وهو ما ذكرته المصادر الإباضية في نفس السياق، حين انضم

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص268

[2]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص09.

[3]- الشماخي، المصدر السابق، ص30؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص47.

[4]- محمود إسماعيل، الخوارج، ص324.؛ محمد بن حسن.المرجع السابق، ص ص111/109

[5]- الشماخي، المصدر السابق، ص39.

كبير فقهاء الإباضيين بمصر الامام شعيب بن معروف إلى صفوف النكار[1] فتكونت بذلك إمامة منشقة عن إباضية تيهرت في أواخر القرن الثالث هجري بقيادة أبي عمار عبد الحميد الأعمى.

وهكذا بقيت هذه الإمامة اليفرنية ثائرة حتى بعد سقوط الدولة الرستمية على عهد أبويزيد مخلد بن كيداد اليفرني.

5- قبيلتي مزاتة وسدراتة:

تعتبر كلا القبيلتين إحدى بطون قبيلة لواتة البربرية، أمّا مضارب مزاتة فهي جنوب شرقي سطيف واقليم الجريد[2] أمّا قبيلة سدراتة فهي متواجدة بالقرب من مضارب ورجلان[3] ووصف أغلب المؤرّخين القبيلتين بالنحلة الإباضية خاصة أنه كان لهما دور بارز في عهد الدولة الرستمية، وفي هذا السياق هناك نص للإلمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم يقول فيه " ما قام هذا الدين -الحكم الرستمي- إلّا بسيوف نفوسة وأموال مزاتة[4] وكانت هذه القبائل تنزل في فصل الربيع جوار تيهرت وأحوازها لما حولها من الكلأ وبعد إنتهاء موسم الرعي يدخل وجوههم إلى المدينة فيبرون ويكرمون ثمّ يصرفون إلى شياههم وبعيرهم ويرحتلون بعد ذلك إلى بلادهم[5].

ويبدو أن القبيلتين كانتا ذات قوة ونفوذ كبيرين عند إمام المذهب الإباضي في عهد عبد الوهاب الرستمي، وهو ما جعلهم هدفا لدعاة الواصلية لتحريضها[6] ومقتضي هذا التحريض أنّ أحوال مذهب الإباضية بالدولة الرستمية تغيرت مقارنة بزمن الإمام عبد الرحمان بن رستم[7]

---

(1)- محمود إسماعيل، الخوارج، ص ص158/157؛ محمد بن حسن، المرجع السابق، ص112

(2)- بوزياني، القبائل، ص243

(3)- بوزياني، نفسه، ص243.

(4)- عبد الله الباروني، الازهار، ج2، ص273.

(5)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 47.

(6)- محموداسماعيل، الخوارج، ص 159.

(7)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص41.

وأن القضاة جائرون وصاحب بيت المال خائن وصاحب الشرطة فاسقا وحتى الإمام متواطئ معهم لا يغير من أمرهم شيء في إشارة إلى الإمام عبد الوهاب الرستمي[1] فدفعهم هذا الكلام لمجابهة الإمام، وخاطبوه بأن الرعية قد ضجت من جور القضاة والقائم بالشرطة وطالبوه بتنحيتهم وأن يولي عليهم خيارهم[2]. فأجابهم الإمام بالشكر لقولهم ووعدهم في رؤية ما طلبوا.

والملاحظ هنا مسألتين أساسيتين أولها رغبة أعيان القبيلتين في محاربة الفساد وتصحيح مسار المذهب الإباضي من كلّ الشوائب الّتي تعكر صفو والرعية والدين، وقرينة هذا ما جاء على لسان ابن الصغير حين وعد الإمام عبد الوهاب وفدهم بالتبصر في شكواهم، إذ كانت ردة فعلهم أنّ دعوا له واثنوا عليه فقالوا وخيرا ثمّ انصرفوا[3].

وثانيا مسألة مخاطبة الإمام في حد ذاته بقضايا ثقيلة تخص حاشية وتركيبة بلاط الإمام نفسه ومتمثلة في شخصيات تمثل قوام الدولة كصاحب الشرطة وصاحب القضاء وصاحب بيت المال على إعتبار أنّ هذه الوظائف هي من نصيب العصبة الحاكمة وبالتالي فهي قرينة قوية على ما بلغته قبيلتي مزاتة وسدراتة من قوة الشوكة والعصبية من جهة، ومن جهة أخرى تبين تلك المكانة العليا الّتي كانت تحضى بها لدى الإمام نفسه، ويمكن هنا أنّ نستشهد بما حدث حينما قال الإمام عبد الوهاب لوجهاء قومه وقادتها، بسؤاله حول رأيهم فيما طلب أعيان مزاتة وسدرتة، فقالوا كلهم ل واستجبت لهم فسيخلعونك بحجة أنّ القوم لم يجتمعوا كلهم عليك، فأردد لهم أمرهم[4].

إن دور قبيلة مزاتة لم يقتصر على دعم دعاة المذهب الإباضي، بالمال وجعل أنفسهم سيوفا للمذهب فحسب، بل كان لهم أيضا دور مناقض لهذه المواقف فعند رجوعنا لرد الإمام عبد الوهاب على أعيان مزاتة وسدراته برفض طلب تنحية صاحب القضاء والشرطة وبيت

---

(1)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص41.

(2)- علي دبوز، المرجع السابق، ج2، ص426؛ بوركبة، المرجع السابق، ص158.

(3)- ابن الصغير.المصدر السابق، ص48.

(4)- علي دبوز، المرجع السابق، ج 1، ص ص42/425.

المال بحجة انعدام الحجة والبينة .فقام الأعيان بحشد أتباعهم وعسكروا عند كدية النكار[1]، في إشارة قوية منهم بإعلان تحالفهم مع النكارية، خاصة وأنهم نزلوا منازلهم[2]، ويبدو ان هذا الخلاف السياسي تحول إلى صراع عسكري تحت غطاء مذهبي، ساهم في اعتناق قبيلة مزاتة لمذهب الإعتزال[3]، ورغم محاولة الإمام الإباضي احتواء الأمر، إلّا أنّ القبيلة اختارت المعاندة والشقاق.[4] فأصبحت لغة الحرب هي السائدة وهو ماحدث، حيث أسفرت على القضاء على حركتهم، وفر من بقي منهم مرابطا بجبل الأوراس حتى سقوط الدولة الرستمية[5].

6- قبيلة نفوسة:

هي قبيلة بترية، يمتد موقعها الجغرافي من طرابلس غربا إلى جبل نفوسة حتى مناطق القيروان[6] ومن الصعب بمكان أنّ نعطي تاريخا محددا لإنتشار الإباضية بهذه القبيلة. وكل ماهو بحوزتنا تلك الإشارات الموجودة في المصادر القائلة بأن أول من جاء متبنيا للمذهب الإباضي ببلاد المغرب هو سلمة بن سعد[7] والذي مكن للمذهب الإباضي بمضارب نفوسة بحماس كبير، وهو ما يعكس قوله "وددت ل ويظهر هذا الأمر يوما واحدا ولا أبالي بعدها أن تضرب عنقي "[8].

وانطلقت تحالفات القبائل البربرية لنشر المذهب الإباضي وكانت في البداية قبيلتي هوارة وزناته هي النواة الأساسية لهذه الحركة لكن الصراع الكلاسيكي التقليدي بين القبيلتين كان

---

(1)- الباروني، الازهار، ج2، ص118.

(2)- ابن الصغير.المصدر السابق، ص41.

(3)- ابن حوقل، المصدر السابق، ص34.

(4)- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص123.

(5)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص44.

(6)- بوركبة، المرجع السابق، ص166.

(7)- مسعود مزهودي، جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني ملال إلى بلاد المغرب(642 1053م)، مؤسسة تاوالت الثقافية،الجزائر. 2003، ص49.

(8)- مسعود مزهودي، نفسه، ص50.

مفجرا لهذا التحالف[1] ليبدأ بعده ظهور نجم قبيلة نفوسة يظهر وكانت البداية من سنة 132هـ/749م، بقيادة نفوسية خالصة تزعمها اسماعيل بن زياد النفوسي[2] لتدخل القبيلة بعده ضمن التحالف القبلي والمشكل من نفوسة وهوارة وضريسة وكان هذا التحالف الداعم الأساسي على تعيين أبي الخطاب إماما للظهور.

وتجدر الإشارة هنا أن النموذج الخلدوني يبدو أنه لم ينجح بخصوص تطور الحلف بعدما عجزت القبائل المشكلة من التحول من العمران البدوي إلى العمران الحضري بواسطة العصبية، وفي الحقيقة كان لهذا أسباب كثيرة أهمّها الصراع البيني الدائم بين زناتة وهوارة، خاصة أنّ زناتة اتهمت صراحة أبي الخطاب بميله لزناتة، وخير دليل على ذلك قول ابن عذاري في نفس السياق " ثمّ أنّ زناتة وهوارة تنازعتا فيما بينهما، واتهمت زناتة ابا الخطاب في ميله مع هوارة ففارقه جماعة بينهم وبلغ ذلك ابن الأشعث، فسر به ورحل اليه..."[3].

أمّا مسألة تبعية قبيلة نفوسة للدولة الرستمية ذات النحلة الإباضية فهناك عديد النصوص الّتي تبين ذلك منها قول ابن الصغير "...وأتته- أي أفلح عبد الوهاب – نفوسة يسألونه أنّ يقدم عليهم من رآه ..."[4]

وكذلك نص للشماخي يقول فيه "ولما حضرته الوفاة أي أبوحسن أيوب بن العباس – أرسلوا إلى الإمام أنّ يولي عليهم، فأجابهم أنّ يختاروا أفضلهم، وكتبوا إليه أنه ليس مثل أبي عبيدة لهذا الأمر إلّا عبد الحميد الجناوي، فأرسل الإمام إليهم أنّ يوله بأمرهم"[5].

وهناك نص أيضا في نفس السياق لإبن واضح اليعقوبي يقول فيه "...ومن طرابلس إلى أرض نفوسة وهم قوم عجم الألسن إباضية كلهم، لهم رئيس يقال له إلياس، لايخرجون عن أمره، ومنازلهم في جبل طرابلس في ضياع وقرى ومزارع وعمارات كثيرة، لا يؤدون خراجا إلى

---

(1)- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص90.

(2)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص225/223.

(3)- ابن عذاري.المصدر السابق، ج1، ص72.

(4)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص57.

(5)- الشماخي، المصدر السابق، ص182.

سلطان ولا يعطون إلّا إلى رئيس لهم بتيهرت، وهو إمامهم ويقال له عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم[1].

ويبدو أنه كان واضحا أنّ قبيلة نفوسة علاقتها بالرستميين لاتعرف خط واضح وإمتازت بالندية تارة وبالولاء تارة أخرى وقرينة ذلك أنّ نفوسة كانت تقوم بعديد التعيينات للأقاليم التابعة لها دون استشارة من السلطة المركزية بتهرت ودون موافقة إمام المذهب[2].

ورغم ذلك كان النفسيون سيفا لإباضية بني رستم رغم أنّ الأئمة الرستميين لم يعطوا هذه القبيلة حقها في الكثير من الفترات من عمر دولتهم باستثناء زيارة الإمام عبد الوهاب لهم، وحتى أنه استقر بمضاربهم لفترة من الزمن، وكان على ما يبدو أن الدولة الرستمية هي من يحتاج لهذه القبيلة وقرينة ذلك الاستنجاد بها أيام ثورة الواصلية فضلا عن الحاجة اليهم في دفع الضرائب[3] وكانت قبيلة نفوسة تعتبر عصبية أساسية في الدولة الرستمية.كون ان تواجدها بالدولة كبيرا منذ الوهلة الأولى وقد قدره الباروني بستين عالما من طرابلس ونفوسه[4]. وقد سماهم ابن الصغير بالعسكرية[5]، لذلك كانت قبيلة نفوسة عصبة الدولة الرستمية وزاد هذا المقام في عهد عبد الوهاب بن رستم لدرجة أنه كان أغلبهم يستأذنه قبل الخروج للحج[6].

وهكذا أصبح النفوسيون ينظرون إلى الدولة الرستمية على أنها دولتهم وعليهم حمايتها وأصبحوا يتمتعون بالامتيازات الإدارية والعسكرية والإقتصادية[7] حيث قال فيهم الإمام عبد الوهاب "ما قام هذا الدين إلّا بسيوف نفوسة وأموال مزاتة[8] وبفضلهاعلى قمع الحركة التمردية

---

(1)- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 07.

(2)- مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص 78.

(3)- محمد الطالبي، الدولة الاغلبية التاريخ السياسي (184هـ/298هـ)، تر: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985، ص ص 391/389.

(4)- الباروني، الأزهار، ج2، ص44.

(5)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص44.

(6)- الباروني، الأزهار، ج2، ص304.

(7)- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1،ص99.

(8)- الباروني، الأزهار، ج2، ص273.

النكارية، كما كان لقبيلة نفوسة اليد العليا في محاربة فرقة الواصلية المعتزلة والتغلب عليها[1] ورغم مابلغته قبيلة نفوسة من قوة ومدد للدولة الرستمية نصرة للمذهب الإباضي إلّا أنها لم تعمر طويلا خاصة بعد هزيمة موقعة مانو الشهيرة سنة (283هـ/896م).[2]

7- قبيلة نفزاوة:

وهي قبيلة بربرية بترية لها انتشار عبر كامل بلاد المغرب، وكان لهم ذكر بجبل الأوراس وإفريقية ونواحي القيروان وسهول بونة وساحلي برشك وباديس[3] وكان من أهمّ بطون هذه القبيلة نجد ولهاصة والّتي تفرعت إلى فرعين هما: ورتدين وورفجومة[4] وقد عرفت ورفجومة بالنحلة الصفرية، كما عرفت بما تداولته المصادر من ذلك بالعبث والفساد والمجازر الّتي ارتكبتها في القيروان، وربما كانت هذه الأعمال هي الشرارة الأولى لنشوء ذلك الصراع القبلي بين القبائل الإباضية والقبائل الصفرية.

ومن المفارقات حول مسألة تمذهب قبيلة نفزاوة أنّ نجد أحد بطونها -ورفجومة- على النحلة الصفرية في وقت كان عموم القبيلة على المذهب الإباضي ولنا في هذا السياق عديد القرائن كقول مبارك الميلي " ...ونزل على أميرهم عاصم بن جميل بأوراس، وكان كاهنا فأجاره واجتمعت اليه نفزاوة...وكانوا على رأي الإباضية..."[5] وقول محمود اسماعيل " ففي عهده- الإمام داود بن حاتم- ثارت قبيلة نفزة الإباضية بجبال باجة بزعامّة صالح بن نصير..."[6] ويقول مبارك الميلي في موضع آخر " وفي سنة 161هـ. ثارت نفزاوة وهي اباضية المذهب وأميرها صالح بن نصير"[7]، لكنه يناقض كلامه في سياق آخر بقوله " وكان أبوالخطاب بن

---

[1]- بوركبة، المرجع السابق، ص168.

[2]-هي معركة انكسرت فيها شوكة قبيلة نفوسة في عهد الإمام أبي حاتم يوسف على أيدي الأغالبة بقيادة ابراهيم بن أحمد الأغلبي في معركة قصر مان وقرب طرابلس؛ أنظر: بوركبة، نفسه، ص172.

[3]- بوزياني، القبائل، ص243.

[4]- بوزياني، نفسه، ص219.

[5]- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص527.

[6]- محمود اسماعيل، الخوارج، ص94.

[7]- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص529.

السمح الإباضي بطرابلس... فبلغه مناكر ورفجومة وقصد القيروان بجموعه فقاتل ورفجومة ونفزاورة..."[1].

ومن خلال ملاحظة هذه الاقوال نجد عديد الإفتراضات الّتي قد تفسر لنا هذا التناقض، بداية بفرضية إمكانية اختلاط الامر عند مبارك الميلي بين ما قامت به ورفجومة وهي إحدى بطون نفزاوة وبين نحلة نفزاوة نفسها، وهناك فرضية أخرى وهي أنّ قبيلة نفزاوة كانت على النحلة الصفرية في البداية ثمّ تحولت إلى المذهب الإباضي، ويبدوا أنّ هذا أقرب للتسليم به وقرينة ذلك هو انتشار المذهب الصفري الّذي سبق انتشار المذهب الإباضي هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن رجوع البعثة العلمية الأولى من البصرة إلى بلاد المغرب تحت مسمى " حملة العلم الخمسة"[2]، يعتبر حافزا لقبية نفزاوة على تبني النحلة الإباضية لا سيما أنّ أبا داود القبلي النفزاوي كان من ضمنهم وهو إمام قبيلة نفزاوة فضلا على أنّ عديد المصادر تنسب النحلة الإباضية لزعماء قبيلة نفزاوة مثل ذكر صالح بن نصير النفزي الإباضي[3] واسماعيل بن زياد النفوسي الإباضي (ت132هـ)، والذي كان له ذكر عند عبد الحكم وابن خلدون[4].

وبالرجوع إلى ابن خلدون نجده قد حسم مسألة تمذهب نفزاوة وكيف تحولت إلى المذهب الإباضي، بل يؤكد حتى على دور نفزاوة في نشر المذهب الإباضي، وإسهامهم في مواجهة ولاة الخلافة الأموية وكان له في هذا السياق نص يقول فيه: "...ثم انتفضت نفزاوة على أبي داود، ودعوا إلى دين الإباضية وولوا عليهم صالح بن ناصر منهم..."[5].

---

[1]- الميلي، المصدر السابق، ج2، ص528.

[2]- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص96.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص83 ؛ -بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس،دار الكتاب العربي.الجزائر. ط3، 2007، ص179.

[4]- بوزياني. نفسه، ص164.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص151.

8- عناصر أخرى:

الأكيد أنّ الإباضية قد انتشرت في عديد مضارب بلاد المغرب، وبالتالي هناك قبائل بربرية عديدة قد لبست ثوب النحلة الإباضية أو على الأقل قد انتشر في بطونها وأفخاذها من قبائل لماية ولواتة وزجالة ونفزاوة وهوارة ومزاته ومكناسة ومطماطة ويفرن ومغراوة وبني سنجاس وبني دمر[1].

والملاحظ هنا أنّ هذه القبائل لم تكن تحت لواء سياسي موحد رغم اشتراكها بالمذهب وحتى في القبيلة الأم بل توزعوا على أقاليم الأغالبة والأدارسة[2] ومن بين فروع القبائل البربرية والّتي لبست ثوب الإباضية ولم نجد لها على حد اطلاعنا ذكر واضح بخصوص مسألة النشاط المذهبي الإباضي قسطيلية وقفصة ونفطة والحامة وسماطة وبشرى وأهل الجبل[3].

والجدير بالذكر هنا هو أنه هناك أجناس أخرى ليست بربرية ووصلت مرتبة قيادة الأحلاف القبلية أو رءاسة الكيانات السّياسيّة مثل العنصر الأندلسي خاصة في عهد عبد الرحمان بن رستم. الّذي كان على ما يبد وأن قائدهم هو مسعود الأندلسي الّذي كان قاب قوسين أو ادنى من قيادة الدولة الرستمية[4].

وعموما فإن هذه الأجناس كانت على شكل قيادات أو مجموعات ساهمت بشكل أو آخر في نشر المذهب الإباضي ومنها:

أ- **العرب:** ومن أهمّ قادة الأحلاف القبلية الإباضية ببلاد المغرب هو أبي خطاب عبد الأعلى المعافري السمح، وهو ينسب إلى قبيلة معافر الكهلانية اليمنية وهو من بين طلبة العلم الخمسة[5]، وقد حاول إنشاء دولة إباضية في موضع غربي طرابلس يقال له "صياد" وكان ذلك

---

(1)- الميلي.المرجع السابق، ج2، ص530.

(2)- الميلي، نفسه، ج2، ص531.

(3)- ابن حوقل.المصدر السابق، ص96؛ -بوركبة، المرجع السابق، ص174.

(4)- الشماخي، الصدر السابق، ص54؛-الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص35.

(5)- بوزياني، دول الخوارج، ص164.

أيام إحتلال ورفجومة للقيروان[1]، ورغم درجة الإحترام الّتي كان يحضى بها أبوالخطاب عند عامّة الإباضيين إلّا أنّ نعرة العصبية القبلية بعد صراع زناتة وهوارة كلفته تخلي قبيلة زناتة عنه وبالتالي إنهزامه امام العباسيين[2].

ومن القيادات العربية البارزة أيضا نذكر محمد بن عرفه القيرواني، والذي عايش الإمام أبي بكر بن أفلح (240هـ/241هـ)، والذي وصفته المصادر أنه أصبح صاحب الملك الفعلي للدولة الرستمية بعد أنّ أصبحت الإمامة الفعلية له والإسمية لأبي بكر[3] حيث قال عبد الرحمان الجيلالي في هذا السياق"...وترك أمر ملكه وإدارة شؤون دولته إلى صهره ابن عرفة..."[4] فأصبح له أنصار يمجدونه[5] فحصلت بينهما من ذلك وحشة، فتم تدبير له مؤامرة انتهت باغتياله[6]، ليثور بعدها أتباعه والمعارضين للإمام أبي بكر بن أفلح، ولم تهدأ الأمور إلّا بعد أنّ عاد أبو اليقضان من المشرق واستلم إمامة الدولة من أخيه.

وعموما فإن العرب وإن كان معظمهم على المذهب الحنفي والمالكي حتى المعتزلة في ذلك العهد إلّا أنّ إبن الصغير أعطى نماذج كثيرة على بعض صفوتهم الّذين تمذهبوا بالمذهب الإباضي بل ومنهم من أصبح السيف المدافع عنه ومنهم من ألف الكتب الّتي تدافع عنهم مثل محمد بن بكر[7] وإن أردنا إعطاء تفسير لظاهرة وجود قائد عربي لحلف قبلي بربري نجد عديد الإحتمالات منها مسألة وجود الفراغ الروحي أو الديني عند القبائل البربرية خاصة في الفترة الّتي سبقت قدوم حملة العلم ولم تجد القبائل البربرية من قيادة تفيض بتعاليم المذهب الخارجي أحسن من العنصر العربي هذا من جهة ومن جهة أخرى تبقى مسآلة تنافس القبائل البربرية

---

(1)- ابن الاثير، المصدر السابق، ج4، ص281.

(2)- ابن عذاري.المصدر السابق، ج1، ص ص73/71.

(3)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص72.

(4)- عبد الرحمان محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص231.

(5)- الباروني، الازهار الرياضية، ج1، ص222؛ -محمد دبوز، المرجع السابق، ج3، ص571؛- بوركبة، المرجع السابق، ص180.

(6)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص231.

(7)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص99.

على الملك قائمة، ولن يكون توازن داخل أي حلف قبلي بربري إلّا بوجود قيادة عربية الّتي لا توجد لها عصبية غالبة فيتحقق التوازن بين القبائل البربرية.

ب- الفرس:

خصّصت المصادر مسألة تواجد الفرس ببلاد المغرب في إطار موجات توافده عليه، لاسيما في عهد الخلافة العباسية، حيث ذكرت جيش الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الّذي أرسله إلى بلاد المغرب بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي والذي يضم ثلاثين ألف من أهل بلاد خرسان الفارسية[1]، بل أنّ الفرس الخرسانيين كانوا عماد الدولة العباسية[2].

وفي كل الأحوال لا يمكن التكلم عن الوجود الفارسي ودوره في نشر المذهب الخارجي دون التكلم عن عبد الرحمان بن رستم وسلالته من بعده، وبعيدا عن الروايات الّتي وردت في المصادر عن أصل عبد الرحمان بن رستم فإن الإجتماع كان واضحا حول أصل هذا الإمام الفارسي والذي ينسب إلى الأسرة المالكة الكسروية[3] وهي أسرة فارسية مشهورة[4].

وقد تلقى عبد الرحمان مذهب الإباضية على يد إمامها أبي عبيدة مسلم[5] بالبصرة وحين عودته إلى بلاد المغرب، ساهم في ثورات الإباضية ضد ولاة الخلافة، وتولى حكم القيروان وكان قاضيا عليها[6]، وبعد القضاء على إمام الإباضية أبي الخطاب، فر عبد الرحمان من القيروان إلى المغرب الأوسط[7]، ليؤسس بعدها أول دولة مستقلة بنحلة إباضية والّتي سميت نسبة له – الدولة الرستمية –.

---

(1)- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص32؛-الشماخي، المصدر السابق، ص131 ؛-بوركبة، المرجع السابق، ص183

(2)- ابن الاثير، المصدر السابق، ج4، ص323.

(3)-عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص227

(4)- ابن حزم، االمصدر السابق، ص511.

(5)- الباروني، الازهار، ج2، ص02

(6)- بن خلدون.العبر، ج6، ص159؛-الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص29

(7)- ابن عذاري.المصدر السابق، ج1، ص72؛-عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص227؛- بوركبة، المرجع السابق، ص185.

وهكذا تمكن عبد الرحماب ابن رستم من ان ينشئ تاريخ جديد للوجود الفارسي إبان ظهور الخوارج ببلاد المغرب، ويبد وأن نشاط عبد الرحمان كان عنصر محفز لهجرة جماعية للعنصر الفارسي لتيهرت من أجل الاستقرار فيها[1].

ورغم أنّ العنصر الفارسي لم تكن له العصبة القبلية الّتي تتبناه إلّا أنّ هناك الكثير ممن قدم إلى تيهرت تلك الفترة، فضلا على أنّ سلالة عبد الرحمان قد جعلت منهم أصحاب الحضوة لاسيما في عهد الدولة الرستمية لذلك أسهموا في الحفاظ على كيان الدولة لكون الأئمة هم منهم من أصل فارسي[2].

المطلب الرابع: القبائل المؤسسة للإمارات الإباضية:

رغم أنّ القبائل الإباضية لم تتّحد تحت إمارة واحدة وكانوا متوزعين على دويلات بلاد المغرب مثل الأغالبة أو الأدارسة، لكن كانت الحركة الخارجية بالمغرب عاملًا قويًا في استقلال بعض القبائل البربرية تحت إمارات إباضية، وقد نقل مبارك الميلي عن اليعقوبي إحصاءًا لثلاث إمارات فضلًا عن الدّولة الرستمية[3].

1- إمارة بني دمر:

وهم بطن من قبيلة زناتة ومضاربهم في الجهة الغربية من الجبل المشرف على تلمسان. وفي الجنوب الشرقي من سوق كرام[4]، وكانوا على المذهب الإباضي[5]، ومن زعماء بطونها نجد مصادف بن جرتيل[6] وهناك نص في نفس السياق لليعقوبي يقول فيه "...ثم إلى قوم يقال

---

(1)- احسان عباس، المجتمع التيهرتي في عهد الرستميين، مجلة الاصالة، العدد 45، السنّة الخامسة، جمادى الأول 1395هـ/ماي1975م، مطبعة البحث، قسنطينة-الجزائر، ص26؛ -بوركبة، المرجع السابق، ص185.

(2)- بوركبة، نفسه، ص185.

(3)- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص531.

(4)- بوزياني، دول الخوارج، ص166.

(5)- بوزياني، نفسه، ص 166؛ -بوركبة، المرجع السابق، ص160.

(6)- عبدالرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص213.

لهم بنو دمر من زناتة في بلد واسع وهم شراة كلّهم، عليهم رئيس منهم يقال له مضاف بن جرتيل في بلد زرع ومواش بينه وبين هاز مرحلة[1].

والظّاهر أنّ تركّز هذه الإمارة كان بنواحي قصر البخاري[2]، أمّا عن إسهامات هذه الإمارة في الانتصار للمذهب الخارجي فالمعلومات شحيحة جدا فبإستثناء وجود الإشارات في بعض المصادر على نحلة هذا البطن الزناتي، لم نجد أدوار لعبتها بشكل جاد على مسرح الأحداث والصّراع الخارجيّ مع الخلافة على الأقل[3]، وما يمكن قوله في هذا الصّدد مجرّد تخمينات انطلاقًا من الإنتماء القبلي لهذا البطن الزناتي ومن خلال المضارب الّتي شملتها.

ويبدو واضحا أنّ هذه القبيلة أسهمت بشكل أو آخر في الحلف الزناتي الصفري بقيادة خالد بن حميد الزناتي، ثمّ بعده نرجح انتقالها إلى المذهب الإباضي على عهد الدولة الرستمية.

2- إمارة بني مسرة:

وهم فخذ من قبيلة زناتة وعاصمتهم "أوزكا" بنواحي سعيدة بعمالة وهران[4] وهي على ثلاثة مراحل من تيهرت في الجنوب الغربي[5]، أمّا اليعقوبي فخصّها بالذكر بقوله "...ومن خرج من تاهرت سالكا الطريق بين القبلة والغرب سار إلى مدينة يقال لها أوزكا ثلاث مراحل والغالب عليها فخذ من زناتة يقال لهم بنومسرة، رئيسهم عبد الرحمان بن أودموت بن سنان، وصار بعده ولده، فانتقل ابن له زيد إلى موضع يقال له "ثارينة" فولده به"[6].

---

(1)- اليعقوب، المصدر السابق، ص19.

(2)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص213؛ -الميلي، المرجع السابق، ج2، ص532.

(3)- بوركبة، المرجع السابق، ص161.

(4)- عبد الرحمان الجيلالي.المرجع السابق، ج1، ص213.

(5)- الميلي.المرجع السابق، ج2، ص533.

(6)- اليعقوبي، المصدر السابق، ص198.

3- إمارة هوارة

هي أحد بطون فرع البرنس وكانت مواطنهم زمن الفتح الإسلامي بمضارب طرابلس إلى سرت لذلك كانوا من القبائل السبّاقين للمذهب الإباضي وربّما هذا ما يبرّر انحياز الإمام أبي الخطاب المعافري إليها مبكرًا[1].

والملاحظ أنّ هوارة لعبت دورا بارزا تراوح بين الإيجاب والسلب في مختلف مراحل انتشار المذهب الإباضي سواءاً في تيهرت أو في طرابلس أو جبل نفوسة، وفي سياق ذكر مضارب إمارة هوارة فقد خصّها اليعقوبي بنصّ يقول فيه "ومن تيهرت وما يحوزه عمل ابن أفلح الرّستميّ إلى مملكة رجل من هوارة، يقال له ابن مسالة الإباضي إلّا أنه مخالف لإبن أفلح يحاربه، ومدينته الّتي يسكنها يقال لها الجبل إلى مدينة يلل، تقرب اليها، مسيرة نصف يوم"[2].

أمّا عبد الرحمان الجيلالي فذكر مضاربها بنواحي واد شلف نحو نهر مينة شرقا ومدينة سيق غرباً وعاصمتها " قلعة مغيلة دلول" على مسافة يومين من مستغانم[3]، وهو ما اتفق عليه معه مبارك الميلي نقلا عن البكري بقوله "...وبغربي مستغانم على نحوثلاثة أميال مدينة تامزغران، وهي مسورة لها مسجد جامع وعلى مقربة منها قلعة هوارة ويسمونها تاسقدالت، وهي جبل له ثمار ومزارع وتحت هذه القلعة يجري نهر سيرات..." [4].

ومن الواضح أنّ هناك تقاطع بين مضارب قبيلة هوارة وقبيلة لماية البترية وبطونها جعلها دائمة الصّلة بها[5]، ولعلّ الثقل الّذي كانت تمثله هذه الإمارة لنصرة الدعوة الإباضية كان له ما يقابله من الحضوة داخل حتى هرم السلطة الرسمية حيث أنها استغلت ذاك الصّراع الّذي رافق إنتقال الإمامة من عبد الرحمان بن رستم إلى ابنه عبد الوهاب، واتخذت من واد محاذي لحاضرة تيهرت موطن لها وسمّي هذا الواد بواد هوارة.

---

(1)- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص96.

(2)- اليعقوبي، المصدر السابق، ص195؛-الميلي، المرجع السابق، ج2، ص532

(3)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص213

(4)- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص532؛ -بوزياني، دول الخوارج، ص166

(5)- محمد دبوز، المرجع السابق، ج3، ص255/245؛ -بوركية، المرجع السابق، ص153.

وقد اختلف المؤرّخون في إعطاء تبرير لهذا التوجّه الجديد لقبيلة هوارة اتجاه السّلطة الحاكمة[1]، فهناك رأي برّرها بأنها انشقاق مذهبيّ على شاكلة مؤرّخ الدّولة الرّستميّة ابن الصغير[2]، فيما يقول غيره أنّ هذا يدخل في إطار تمرّد سياسيّ نتيجة التهميش الّذي عرفته القبيلة على شاكلة المؤرّخ محمد دبوز[3]، وهناك رأي آخر برّرها بقوله أنه خلاف بين الإمام عبد الوهاب وزعيم قبيلة الأوس احدى بطون قبيلة هوارة حول الزواج من إحدى بنات شيخ لواتة[4]، وتجدر الاشارة هنا ان سياسة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم كانت تعتمد على منع المصاهرات الّتي تؤدّي لأحلاف قبيلة، بإعتبار أنّه فارسيّ عن البربر، ولا قبيلة تأويه وتدافع عنه[5]، وبسبب هذا منع هذه المصاهرة منعًا لقيام تحالف بين القبيلتين، وسارع هو بمصاهرة قبيلة لواتة لقطع الطريق عن هوارة نهائيًا[6]، ممّا أثار قبيلة هوارة وأعيانها فقرّروا مغادرة تيهرت[7]، ونزلوا بواد هوارة على بعد عشرة أميال من تيهرت وانضمّت إليهم جماعات من الخارجين على الإمام[8].

وهنا بدأت مؤشرات جديدة تطبع علاقة بني رستم مع قبيلة هوارة وكانت البداية بقيام هذه الجماعات بأعمال عنف في حقّ رعايا الدّولة الرّستميّة[9]، كلّ هذه المحن عجّلت بمواجهة عسكرية بين الإمام عبد الوهاب المتحالف مع قبيلة نفوسة ضدّ قبيلة هوارة سمّيت بمعركة نهر إسلان[10]، ومن افرازات هذه المعركة تكبّد هوّارة الهزيمة ففرّت إلى جبل ينجان[11]، لتبقى إمارة

---

(1)– تابليت عمر، المرجع السابق، ص89.

(2)– ابن الصغير، المصدر السابق، ص52؛ –محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 121.

(3)– محمد دبوز، المرجع السابق، ج3، ص255/245.

(4)– محمود إسماعيل، الخوارج، ص121؛ –بوزياني، دول الخوارج، ص166.

(5)– الباروني، الازهار الرياضية، ج2، ص123.

(6)– ابن الصغير، المصدر السابق، ص121.

(7)– الشماخي، المصدر السابق، ص162.

(8)– الحريري، المرجع السابق، ص127.

(9)– ابن الصغير، المصدر السابق، ص46/45.

(10)– ابن الصغير، نفسه، ص ص46/41؛ – تابليت عمر، المرجع السابق، ص89.

(11)– محمود إسماعيل، الخوارج، ص 121؛ – الحريري، المرجع السابق، ص127.

هوارة بإقليم جنوب سهل شلف حوالي نهر مينة بين سهلي منداس شرقاً وسيق غرباً، وكانت رئاسة هؤلاء لرجل يقال له ابن مسالة الإباضي وهو مخالف للأئمّة الرسميين بتيهرت[1]، في حين كانت لها بطون في طرابلس.

والملاحظ أنّه رغم الإختلافات الّتي هزّت العلاقات الهوارية الرستمية إلّا أنها سجّلت في فترات أخرى تقاربات نصرة للمذهب الإباضي على الأقل من خلال تلك الحادثة المتمثلة في إستغاثة قبيلة هوارة بها سنة(196هـ/811م)[2] جرّاء ما واجهته من معاملة قاسية من عبد الله بن الأغلب مولى العباسيين على طرابلس فكان ردّ الإمام عبد الوهاب تلبية دعوتهم بقدومه على رأس جيش من نفوسه[3]، وضربوا حصار شديد على طرابلس، انتهى بصلح مؤقّت مع الأغالبة ممثلة الخلافة العبّاسية ببلاد المغرب آنذاك[4].

4- الامارة الرّستميّة(161هـ/297هـ):

تنسب الإمارة الرّستميّة إلى مؤسّسها عبد الرحمان بن رستم الفارسي الأصل الخارجي الإباضي المذهب[5]، أمّا تاريخ تأسيس هذه الدّولة فكان في أعقاب الإضطرابات الّتي عرفها بلاد المغرب والّتي حدثت بين قبائل الصّفريّة والإباضيين المشكلة من قبائل لواتة وهوارة زناتة ونفوسة .. من جهة وبين ولاة الخلافة المشرقية من جهة أخرى والّتي أفرزت إلتحاق جلّ القبائل الإباضية بعبد الرحمان بن رستم بتيهرت أين أقام دولة ذات حكم إباضي منفصل نهائيًا في المجال السياسي والإداري عن الحكم المركزي الإسلامي[6]، وكان ذلك سنة (160هـ/777م) وعاصمتها تهيرت[7].

---

(1)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص213.

(2)- بوركبة، المرجع السابق، ص 153

(3)- تابليت، المرجع السابق، ص 96.

(4)- الباروني، المصدر السابق، ج1، ص 94.

(5)- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص 94.

(6)- داوود سليمان، حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، مطبعة أبوداوود، الجزائر، 1993، ص 65

(7)- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1984م، ط2،ج4. ص 207.

ولم تشر المصادر بذكر حدود ثابتة للدّولة الرّستميّة لأن الحدود لم تكن معروفة في تلك الفترة، وإنّما وضعت حدودها الجغرافية من باب التقريب لتوضيح الرقعة الجغرافية الّتي جرت فيها الأحداث التاريخيّة والسّياسيّة[1].

ويبدو أن روايات ضبط حدود الدّولة تصبّ في أنّه يحدّها شمالا تلول منداس إلى قرب غليزان ومنها إلى فرندة، ثمّ ينعطف خطّها شرقي جبل عمور إلى ميزاب وجلة -ورقلة- وجنوب باب الأغواط[2]، وهذا دلالة على أنّ الدولة قد استولت على جميع التراب الجزائري الحاضر يومئذ ماعدا ناحية الزاب شرقا وتلمسان غربا[3].

ومما لاريب فيه أنّ للعصيبة القبيلة دورا بارزا في نشأة دولة بني رستم والّتي مثلتها قبيلة لماية[4]. مدعمة بعصيبات أخرى كقبيلة لواتة [5] وهوارة[6] فضلاً عن قبيلتي مزاتة ونفوسة[7]. وقد تعززت عصيبات هذه القبائل بالعامل المذهبي الإباضي الّذي أزال علة التنافس بينها، فأفرزت دولة قوية استقلت بنفسها.

أمّا مسألة مبايعة عبد الرحمان بن رستم إماما على الدولة الرستمية الإباضية فكانت بعد وصوله إلى تيهرت وإجتماع رؤساء القبائل ذات العصب الغالبة ويبدوا أنه نظراً لغربته بينهم وسابقته في الدعوة للمذهب الإباضي وكونه احد الخمسة حملة العلم ارتضوه وبايعوه[8]. وقالوا بعدما ماتشاوروا، "ولكن هذا عبد الرحمان بن رستم لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له تحمية،

---

(1)- بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية(160- 296هـ)(777- 909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، الجزائر، نشر جمعية التراث بغرداية، مزيدة ومنقحة، 1414هـ/1993م، ص 78.

(2) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص 226/ 227؛ - الميلي.المرجع السابق، ج2، ص 537.

(3)- عبد الرحمان الجيلالي، نفسه، ج1، ص226.

(4)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 246-250؛ - دبوز، المرجع السابق، ج3، ص253.

(5)- ابن خلدون.العبر، ج6، ص 234 - 238.

(6)- دبوز، المرجع السابق، ج3، ص254.

(7)- دبوز، نفسه، ج3، ص 254/518.

(8)- الأوزكي. سرحان بن سعيد، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة تج وثق محمد حبيب صالح ومحمود بن مبارك السليمي، وزارة التراث والثقافة،ط3. سلطنة عمان، 2012.ج3، ص 32.

فأجمعوا رأيهم على ذلك"[1]. وأورد أبو زكرياء عبارة هامة في هذا السياق يقوله فيها "...وليست له قبيلة تمنعه إذا تغير أو تبدل"[2].

وهنا ظهر عبد الرحمان كحل لمعضلة القبائل المشكلة لعصبة الدولة الرستمية حول من تكون العصبة الحاكمة بإختيار من لا عصبة له وهو مأكده ابن الصغير بقوله " أنتم الرؤساء ولا نأمن أنّ يتقدم واحد على صاحبه، فتفسد نيته ولعل المقدم أنّ يرفع أهل بيته وعشيرته على غيرهم فتفسد النيات ويكثر الإختلاف[3] .

ثم بويع عبد الرحمان بن رستم بالإمامة في تيهرت سنة 160هـ/776م[4] وتعتبر هذه البيعة الثانية له بعد الأولى سنة 144هـ/761م[5] لتأتي بعدها المبايعة بالإمامة[6] ففي الأولى بصفته إمام دفاع وفي الثانية بصفته إمام ظهور[7] والجدير بالذكر فإن عبد الرحمان بن رستم أحسن سيرته وعدل في حكمه وشاور في رأيه ولم ينقم عليه أحد من رعيته أو من القبائل

---

(1)- الشماخي، المصدر السابق، ص53؛- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص42؛ - رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص80.

(2)- الشماخي، نفسه، ص 83.

(3)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص27.

(4)- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 543 ؛ - عبد الرحمان الجيلالي. المرجع السابق، ج1، ص227؛ -هشام جعيط.تأسيس الغرب الإسلامي القرن الأول والثاني الهجري 7-8م، لبنان، دار الطليعة.2004، ط1، ص 190.

(5)- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص95 ؛ -الميلي، المرجع السابق، ج2، ص543؛- رابح بوناز، المرجع السابق، ص53.

(6)- أجمعت المصادر والمراجع التاريخيّة حول مسألة تولية عبد الرحمان ابن رستم خلال هذه الفترة، ما عدا بعض المؤرّخين، منهم ابن عذاري المراكشي؛ انظر:- ابن عذاري. المصدر السابق، ج1، ص197الذي يؤكد فيه تاريخ 161هـ بينما يؤكد المؤرّخ أحمد العزاوي، على أنها كانت في 162هـ؛انظر: -احمد العزاوي.المرجع السابق.ج1.ص96

(7)- يجوز لدى الإباضية وجود أكثر من امام دفاع، أي وقت الحركة السرية، أنظر: أحمد العزاوي نفسه، ج1، ص95 ؛ - الشماخي، المرجع السابق، ص 89.

البربرية[1] وأعتبرت فترة إمامته هي الفترة الرئيسية لتأسيس إمارة الرستميين ثمّ تليها مرحلتين آخرتين[2].

أ- مرحلة القوّة مع وجود انشقاقات مذهبية:

لقد ورث عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم إمارة قوية عرف والده كيف يحقق من خلالها ذلك التوازن بين القبائل البربرية بعدما حقق المذهب الاباضي ذلك الإشباع الديمقراطي بين عصبها، وظهر جلياً أنّ التمسك بتعاليم المذهب وتحقيق التوازن بين القبائل هو الضامن الوحيد لاستمرار قوة الدولة الرستمية وهو ما كان في عهد عبد الرحمان على الأقل.

وكانت مسألة ولاية العهد والإخلال بمبدأ الشورى، في تولية عبد الوهاب للإمامة أهمّ تحدي للدولة كون أنّ مبدأ الإباضية كان يقضي الالتزام بالشورى دون الوراثة لاسيما وأن مسعود الأندلسي غريم عبد الوهاب كان أعلم منه في أمور الدين[3].

في حين كان واضحاً اعتماد عبد الوهاب يميل إلى العنصر الفارسي وعنصر نفوسة كعصبة مستقرة للدولة الرستمية في مواجهة القبائل المترحلة والمتقلبة التوجه[4]. وكانت أول معارضة قبلية للرستميين بقيادة يزيد بن فندين تحت مسمى النكارية المشكلة من قبائل بني يفرن وسدارته ومزاتة.[5] ضد جماعات الفرس الّذين كانوا قوة لابأس بها في الدولة الرستمية[6] وقبيلة نفوسة[7] وقبيلة زناتة كون عبد الوهاب أمه يفرنية وهذه القبيلة أحد الفروع القبلية لقبيلة الأم زناتة[8].

---

(1)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص227؛ -الميلي، المرجع السابق، ج، ص543 ؛ -أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص 95.

(2)- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص 99/96.

(3)- الحريري، المرجع السابق، ص ص 110/109.

(4)- أحمد العزاوي.المرجع السابق، ج1، ص 96.

(5)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص47.

(6)- الحريري، المرجع السابق، ص110؛ - الباروني، المصدر السابق، ج1، ص100.

(7)- الشماخي، المصدر السابق، ص 102/101.

(8)- ولا ندري حقيقة انتصار فرع بني يفرن الزناتي قد مال لعبد الوهاب كون ابن فندين المعارض للإمام هو أيضا يفرني؛ أنظر: الشماخي، االمصدر السابق، ص145؛ - الحريري، المرجع السابق، ص110.

وقد أفرزت هذه الإضطرابات مقتل ابن فدين وتقديم عبد الوهاب لإبنه أفلح لولاية العهد[1] رغم رفض القبائل الثائرة لمبدأ الوارثة في الإمارة[2] وربما هذا ماشجع زعيم الواصلية بالمغرب الأقصى إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوروبي في إثارة واصلية تيهرت على الإمام عبد الوهاب[3].

والجدير بالذكر أن الصراع والإضطرابات الّتي سادت تيهرت شجعت حركات انفصالية أخرى مثل الحركة الخلفية الّتي تزعمها خلف بن السمح أثر موت أبيه السمح وهو عامل الرستميين على الجبل[4]وضمت هذه الحركة قسم كبير من جبل نفوسة وبن ويفرن وزواغة وبدأت مع نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للهجرة واستمرت حتى سنة 221هـ في عهد الإمام أفلح ابن عبد الوهاب(188/168هـ)[5] .

والملاحظ أن بعد المسافة بين تيهرت وهذا الإقليم فضلا عن رغبة خلف في وراثة جده أبوالخطاب ووالده عامل عبد الوهاب على المنطقة الشرقية عنصرا مغذيا لهذه الحركة الّتي وإن كانت ضعيفة في مجلمها إلّا أنها نجحت في ابقاء زعامّة هذا الإتجاه حتى نهاية الدولة الرستمية[6]. وهو ما أثار تخوفات الإمام عبد الوهاب وجعله يرفض ما استحبه لنفسه أي مبدأ الوراثة في حكم عائلة أبي الخطاب[7].

ويبدو أنّ بذور الإنشقاق كانت متوالية على بن ورستم لتنطلق حركة جديدة ثائرة تحت مسمى الحركة النفاثية بقيادة فرج بن نصر الويغري المعروف بنفاث بن نصر النفوسي، والذي انتقد استثراء الطبقة الحاكمة وعاب نفاث على أفلح بذخه ونظام الجباية غير العادل وطريقة تولي

---

(1)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص55.

(2)- الشماخي، المصدر السابق، ص86؛ - أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص96.

(3)- الباروني، االمصدر السابق، ج2، ص117.

(4)- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص115.

(5)- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص115؛ -أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص98.

(6)- أحمد العزاوي، نفسه، ج1، ص98.

(7)- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص116.

الإمام أفلح بالوراثة دون الروجوع إلى الشورى[1] وكان انتشار هذه الحركة بقنطرار النفوسية ونفوسة الجبل وقبيلة زواغة[2].

ويبدو أنّ أفلح فهم أنّ هذه الحركة ليست متعلقة بالمذهب بقدر ماهي متعلقة بإختلال التوازن بين القبائل المشكلة بين العصبة الحاكمة والعصبة المعارضة، فأظهر سياسة جديدة اتجاه القبائل توازن بين القبائل لكن بسياسة التفرقة[3] .ففرق بين لواتة ومطماطة وبين لواتة وزناتة وبين الفرس وجند العرب فتنافرت النفوس وصارت كلّ قبيلة ملاطفة لأفلح خوفاً من أنّ يعين صاحبتها عليها فيما قالوا[4].

وهنا يظهر بشكل جلي موقف أفلح من هذه الحركة خاصة في رسائله الّتي وجهها إلى عامله بنفزاوة وحتى إلى نفاث بن نصر نفسه[5] والّتي تنص على الحزم في القضاء على هذه الحركة واستعمال الأنصار بالجريد وجبل نفوسة لمحاربته بكل الطرق[6].

ب- مرحلة الصراعات البينية القبلية داخل الأسرة الحاكمة حول السلطة:

إنّ المتتبع لمرحلة حياة الدولة الرستمية يلاحظ أنه بمرور الوقت بدأ العامل المذهبي يضعف وعليه فإن العصيبة المشكلة للقبائل الداعمة لتواجد الدولة فقدت تلاحمها فاسحة الطريق لظهور ما هذبه الدين من قبل فبدا التحاسد ينخر الدولة خاصة وأن تيهرت كانت فضاء حضاري ضم عديد الأجناس والمذاهب فكان من نتاج هذا ضعف دور القبائل فلجأ بن ورستم إلى فئة الجند[7] والذين كان غالبيتهم من العرب الفارين نح وتيهرت من الأغالبة[8] ؛لتتحول

---

(1)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 128/127 ؛- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص98.

(2)- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص124 ؛-أحمد العزاوي، نفسه، ج1، ص 98.

(3)- أحمد العزاوي، نفسه، ج1، ص 98.

(4)- محمود اسماعيل، الخوارج، ص 124 /126؛- ابن الصغير، المصدر السابق، ص63.

(5)- الباروني، االمصدر السابق، ص ص 206/199.

(6)- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص128.

(7)- الجنحاني الحبيب، المجتمع العربي الإسلامي، التاريخ الإقتصادي والإجتماعي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب.الكويت.1990، ص131.

(8)-الجنحاني. نفسه، ص 131.

التركيبة القبلية للدولة الرستمية إلى تركيبة معقدة جدا تحكمها العصيبات الغالبة ومصالح كلّ قبيلة بشكل خاص فالفرس أصبحوا هم حاشية الأمراء مستندين على سيوف نفوسة مقابل مانالوه من حضوة وامتيازات[1] بدعم من لواتة وهم أصهار الأئمة[2].

وفي الجهة الأخرى كانت قبيلة هوارة في معارضة صريحة لحلف الإمام[3] وفي ظل هذا التطاحن بين القبائل حول الإمامة أصبح عامّة تيهرت يتدخلون بشكل أو بآخر في فرض الإمام المناسب لرغباتهم رغم أنهم ليسوا كلهم أصحاب النحلة الإباضية[4] وبتحول الدولة الرستمية إلى حقل كبير يضم عديد العصبيات القبلية لاسيما في أطراف الدولة مثل الحركة الخلفية والنفاثية وانتقال العدوى إلى القبائل المشكلة أساساً للدولة الرستمية وللأسرة الحاكمة نفسها[5]، لم تعد بطون وفروع القبائل الّتي لم تكن على المذهب الإباضي بتهرت مهتمة بمسألة استمرار الحكم الرستمي مما سهل على العبيدين اسقاط تيهرت سنة297هـ[6].

وصفوة القول أنّ ذكر هذه الإمارات ليس معناه حصرية وجودها بل نعتقد بوجود إمارات أخرى وهذا من خلال عديد المؤشرات الّتي ترجع أساساً إلى ذهنية الرجل البربري بالأخص والقبيلة البربرية ككل فهم يألفون سيادة العشيرة ويأنفون من الخضوع لرئيس من قبيلة أخرى[7] والأكيد أنه من غير الدولة الرستمية لم تقم للخوارج دولة قوية تحمل كلّ الإمارات أو حتى الدويلات على الإنضواء تحت لواء حكومة مركزية قوية مثل أقرانها فيما سيأتي الفاطميين أو المرابطين أو الموحدين.

---

(1)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 87/80.

(2)- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص99.

(3)- أحمد العزاوي، نفسه، ج1، ص99.

(4)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص105.

(5)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص197.

(6)- أحمد العزاوي. المرجع السابق، ج1، ص101.

(7)- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص533.

وكخلاصة لهذا الفصل ككل نقول أنه يعتبر القرن الثاني الهجري قرن تحول جذري في الخريطة القبلية والمذهبية ببلاد المغرب، فبعد التبعية قبل الإسلام لقوى أجنبية أروبية خضع بعدها بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي للخلافة المشرقية الّتي نجحت في إيصال الإسلام إلى المنطقة[1]. ولكنها لم تنجح في الحفاظ على ارتباطها سياسيا به. لأن القبائل البربرية اندمجت في إطار الأمة الإسلامية لكنها حافظت على خصوصياتها الّتي تستجيب إلى رغباتها المتعلقة بالقيام على السلطان الجائر وأحقية تكوين إمامة أو أكثر مستقلة وعدم التفرقة بين الأجناس[2].

ويبدو أنها وجدتها في إعتناق المذهب الخارجي والّتي خاضت من أجله عديد الحروب، لكن يبقى منشأ تلك الحروب ليس اختلاف العقيدة أو لرغبة سياسية في تكوين دولة توحد قبائلهم وفي هذا عديد القرائن كون البربر لم يتحدوا في إطار الدولة الخارجية ضد السلطة العربية ولم يبلغوا درجة التعصب المذهبي كون المذهب في حد ذاته كان جديداً على بلاد المغرب بشساعته ومنهم من كان لايفقه فيه شيء وهو ما أشار إليه اليعقوبي بقوله " ومزاته كلها اباضية على أنهم لايقفهون ولا لهم دين..."[3] بل كان القصد أنّ البربر كانوا على مايبدو غير مهيئين على النقلة التاريخيّة لتجاوز النظام القبلي وتخطي مرحلة اتحادات القبائل للوصول إلى نظام الدولة وقيام شعوب موحدة رغم أنّ تناسب فكر الخوارج الّذي يبدوا متنافياً مع المدينة المفرطة والموافق للتنظيم القبلي للمغاربة[4].

وهكذا بقيت القبائل البربرية ذات النحلة الخارجية أسيرة عصبيات قبائلها وعلى كراهية سلطة الخلافة المشرقية، حتى قضى عليها الشيعة ومن بقي منها بقي معزول في الصحاري مثل ورقلة ومزاب متحصنة بقسوة المناخ وبعيدة عن نفوذه دول الشمال فحافظت على عقائدها وأعرافها غير متأثرة بالإنقلابات السّياسيّة[5].

---

(1)- أحمد العزاوي.المرجع السابق، ج1، ص70.

(2)- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص 76

(3)- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 182.

(4)- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص77.

(5)- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 530.

الفصل الثّالث

القبيلة والمذهب الشّيعيّ في بلاد المغرب الإسلاميّ

(2هـ- 6هـ)

المبحث الأول: المذهب الشيعيّ ببلاد المغرب (التّعريف – النشأة)

المطلب الأول: تعريف الشّيعة لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: أهمّ مبادئ فرقتيّ الزيديّة والإسماعيليّة

المطلب الثالث: نشأة المذهب الشيعيّ وانتقاله إلى بلاد المغرب الاسلامي

المبحث الثاني: دور القبيلة في المذهب الشيعيّ ببلاد المغرب الاسلامي

المطلب الأول: القبائل المساندة للوجود الشيعيّ ببلاد المغرب الاسلامي

المطلب الثاني: القبائل الثّائرة على الوجود الشيعيّ ببلاد المغرب الاسلامي

المبحث الأول: المذهب الشيعيّ ببلاد المغرب (التّعريف – النشأة)

عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على تبليغ رسالة الإسلام كاملة، وحث المسلمين على ملازمة الدين الّذي جاء به دون تغيير أو تحريف، وأعطى لنا الأمثال من الضالين قبلنا لكن زاغ المسلمون على ما أوصى به خير الأنام، فتفرقوا واختلفوا فرقا وشيعا فصدق فيهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة[1]، وفي هذا السياق سنستعرض الفرقة الشيعية في بلاد المغرب.

المطلب الأول: تعريف الشيعة لغة واصطلاحا

1-الشيعة لغة:

يقول ابن دريد (ت 321هـ /933م)، فلان من شيعة فلان أي ممن يرى برأيه، وتشيع الرجل على الأمر تشيعا إذا أعنته عليه وشايعت الرجل على الأمر مشايعة[2]، وقد دلَ قوله تعالى على هذا المعنى " ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الّذي من شيعته على الّذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه، قال هذا من عمل الشيطان إنه عدوُ مضل مبين"[3].

2-الشيعة اصطلاحا: ظهر مصطلح الشيعة كذكر مذهبي خلال الفتنة الكبرى، فمن بقي في معسكر علي ابن أبي طالب بعد خروج الخوارج عليه هم الّذين أطلق عليهم مصطلح الشيعة[4]، بمعنى أنّ الشيعة هم من بقوا على ولاء علي بن أبي طالب وشايعوه معتبرينه الأحق بالخلافة

---

(1)- البغدادي، ابي المنصور عبد القهار،الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجيةمنهم،تح محمد عثمان الحسن،مكتبة ابن سينا،(د ط) (د ت)، ص50.

(2)- ابن دريد.محمد بن الحسن ابي بكر، جمهرة اللغة،ج2، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين،1987، ص87.

(3)- سورة القصص الأية 15.

(4)- سلمى محمود، المرجع السابق، ص127.

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنها حق لآل البيت نصا ووصية[1]، كون الإمامة في إعتقادهم هي في آل البيت تأسيسا على الإعتقاد بأن الإمامة لا تكون بالإختيار إنما بالنص والتعيين[2] وكانت بلاد المغرب كغيرها من البلدان مجالا لإنتشار المذهب الشيعي متمثلا في الفرقتين الإسماعيلية والزيدية.

المطلب الثاني: أهمّ مبادئ فرقتي الزيدية والإسماعيلية

1-الزيدية: هي إحدى الفرق الشيعية، تنتسب إلى الإمام زيد بن علي زيد العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب[3]وتعد هذه الفرقة من أكثر فرق الشيعة اعتدالا[4].

أ-أهم مبادئها:

1-لم يقولوا بمبدأ النص والتعيين واعترفوا بشرعية خلافة أبي بكر وعمر وفق مبدأ جواز تقديم المفضول على الفاضل[5]، عن طريق الأمام من نسل علي بن أبي طالب بعد اختيار أهل الحل والعقد[6]، وقد خالف فرع الجاورودية[7] منهم ذلك.كما عارضوا مبدأ التقية[8].واقروا بوجوب أنّ يكون الإمام عادلا وينهي عن المنكر ولم يقولوا بعصمته[9].و قد وصفت الزيدية

---

[1]- الشهرستاني، المصدرالسابق، ج1، ص169.

[2]- سلمى اسماعيل.المرجع السابق، ص128.

[3]- سلمى اسماعيل، نفسه، ص129.

[4]- أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج1، ص114.

[5]- الشهرستاني.المصدر السابق، ص161.

[6]- النوبختي.الحسن بن موسى (ت 288هـ)، فرق الشيعة، منشورات الرضا، (د ط).بيروت.لبنان. 1984، ص221.

[7]- هي إحدى فروع الزيدية مؤسسها أبي الجارود زياد بن زياد؛ انظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص173.

[8]- الصاحب ابن عباد، أبو قاسم اسماعيل بن عباد بن عباس القزويني.نصرة مذاهب الزيدية، بغداد، 1977، ص201.

[9]- أحمد شوقي ابراهيم العمرجي، الحياة السّياسيّة الفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي، مطبعة مدبولي،ط1. القاهرة، 2000م، ص169.

بأنها أكثر فرق الشيعة اعتدالاً إزاء أهل السنّة[1] .أمّا الشهرستاني فقد أشار إلى تقارب الفكر الزيدي بالفكر المعتزلي[2].

2/الإسماعيلية:

وهي إحدى فرق الشيعة وتنتسب هذه الفرقة إلى الإمام العلوي السابع، اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب[3]، بإعتباره صاحب النص الشرعي[4] وتقول هذه الفرقة بإمامة اسماعيل بن جعفر ثمّ افترقت عندما ساقت الإمامة بعده إلى ابنه الأكبر اسماعيل، مع ما أشيع من أخبار حول أنه مات في حياة أبيه ثمّ إلى أبنه محمد ابن اسماعيل الّذي اعتبرته إماما مستورا في حلقات أبنائه[5].

أ-**أهم مبادئهم:** للإسماعيلية عقائد خاصة كغيرها من الفرق، إلّا أنّ الملاحظ قد غلب على العديد منها ما اقتبسوه من الفلسفات اليونانية[6] ومن مبادئهم:

1-قالوا بأن لكل ظاهر من النصوص الشرعية باطن ومنه يأتون بالتأويلات[7] لذلك صنفت الإسماعيلية راس الفرق الباطنية [8].

---

(1)- اغناس غولد شهير، العقيدة والشريعة في الإسلام، تر محمد موسى واخرون.دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1959، ص 237.

(2)- الشهرستاني، المصدرالسابق، ص180.

(3)- الشهرستاني، المصدر السابق، ص 226.

(4)- تامر عارف، تاريخ الإسماعيلية، رياض الريس للكتب والنشر.ط1، لندن، 1991،ج1. ص117.

(5)- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل،بيروت، ط2، 1992، ج5، ص 38.

(6)- إحسان إلهي ظهير، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إدارة ترجمان السنّة لاهور، باكستان، 1987، ص 267.

(7)- الشهرستاني، المصدر السابق، ص228.

(8)- سعد رستم، المرجع السابق، ص210.

2-يقدسون الإمام بإخفائه وستره وطاعته، ففي نظرهم الإمام هو المهدي الّذي يهدي الناس ويظهر يوم القيامة حتى يملأ الأرض عدلاً[1].

3-إنكار صفات الله عز وجل، ويقولون أنّ الله لا يوصف بشيء، مجادلين آيات القرآن الكريم كقوله "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها"[2].

إن الحركة الباطنية الإسماعيلية عملت منذ البداية على العمل السري المنظم وكان الإمام المستتر محمد بن اسماعيل قد نجح في هذا النهج مستغلا التفاسير الباطنية للقرآن الكريم كسند لهم وهذا ما أطلق عليه علم الباطن ولها كتبها الخاصة بها والّتي لا يطلع عليها إلّا الخاصة الّذين جازوا المراحل الّتي وضعت لمعرفة داخل المعتنقين والمعتقدين، ولا يمكن قراءتها إلّا بعد أخذ العهود والمواثيق على أنّ لا يعطوا أحدا هذا الكتاب ولا يخبروا بما فيه كما ذكر ذلك حسين بن علي بن الوليد في بداية كتابه " المبدأ والميعاد"[3].

المطلب الثالث: نشأة المذهب الشيعي وانتقاله لبلاد المغرب

بمقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وإعتلاء معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه سدة الخلافة، آلت زعامّة الشيعة إلى الحسين بن علي والذي قتل هو أيضا في معركة كربلاء سنة (61هـ)، ليتفرق بعدها البيت الشيعي إلى فرق وهي الكيسانية والزيدية والإمامية، كما انقسمت الفرقة الإمامية إلى فرقتين هما الإثنا عشرية والإسماعيلية[4].

وفي هذا الصدد يهمنا في دراستنا تلك الفرق الّتي انتقلت إلى بلاد المغرب الإسلامي وهما الفرقتين الشيعيتين: الزيدية ممثلة في بعض مناطق الدولة الإدريسية والإسماعيلية ممثلة في العبيديين.

---

[1]- أحسن الحسن صبحي، الدعوة الفاطمية -مكتبة المديولي، القاهرة،ط1، 2005، ص155.

[2]- سورة الأعراف، الآية، 180.

[3]- إحسان إلهي ظهير، المرجع السابق، ص ص 268/267.

[4]- سلمى اسماعيل، المرجع السابق، ص ص 128/127.

إن الدعوة الشيعية ببلاد المغرب إرتبطت بالداعيتين الأولين اللذان قدما إلى بلاد المغرب وهما عبد الله بن علي المعروف بالحلواني[1] وأبو سفيان الحسن بن القاسم[2] اللذان أرسلهما جعفر الصادق[3] وقال لهما "بالمغرب أرض بور، فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر"[4].

وهنا تختلف الروايات الّتي ذكرتها المصادر حول من أرسل الداعيتين، ففي الوقت الّذي اتفق فيه القاضي النعمان وابن خلدون والمقريزي على أنّ جعفر الصادق هو من أرسلهما[5]، إلّا أنّ ابن الأثير يذكر أنّ ابن حوشب[6] هو من أرسلهما[7] وقد عهد للداعيتين الحلواني وأبو سفيان مهمة استعطاف أهل المغرب بذكر فضائل آل البيت وما مروا به من محن، لذلك فإن انضمام مسلمي البربر إلى الحركة الشيعية في المغرب يعزى إلى أسباب عاطفية ووجدانية تتمثل في حب آل البيت والرغبة في الثأر لما أصابهم على أيدي الأمويين والعباسيين[8].

---

(1)- الحلواني: هو عبد الله بن علي بن أحمد منسوب إلى حلواني وهي مدينة من العراق ممايلي بلاد الجبل (عراق الحبل) أنظر: التهامي ابراهيم علي، أهل السنّة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الإنحرافات العقدية من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس هجري -أطروحة دكتورة- جامعة أم القرى سيد عبد العزيز السيلي، 1992، ج2، ص 418.

(2)- كان له ذكر عند ابن خلدون وقال أنّ أباه اسمه بكار؛ أنظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص41.

(3)- هو جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي ابن أبي طاب، وهو الإمام السادس لفرقة الإثنا عشرية توفي سنة 148هـ، أنظر: ابن خلكان. المصدر السابق، ج1، ص 327.

(4)- ابن خلدون، العبر، ج4، ص ص 40،41؛ -موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1989، ص222.

(5)- القاضي نعمان، ابو حنيفة محمد ابن حيون التميمي المغربي نافتتاح الدعوة،تح : فرحات الدشراوي،الشركة التونسية، ط2،تونس، 1986 ص23؛ - ابن خلدون، العبر، ج4، ص38؛ - المقريزي تقي الدين بن أحمد ابن علي، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: جمال الدين الشيال، القاهرة، مصر، 1996، ج1، ص41.

(6)- هو أبو القاسم الحسين بن فرج بن حوشب بن زادان النجار من أهل الكوفة يعرف بمنصور اليمن من ذرية مسلم بن عقيل بن أبي طالب توفي سنة 302هـ؛ أنظر: المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص40.

(7)- ابن الأثير. المصدر السابق، ج6، ص ص 127/126.

(8)- لقبال، المغرب الإسلامي، ص150.

وقد حرص الداعيتان على إخفاء حقيقة مذهبهما، ومما ساعدهما على نشر دعوتهما درجة العلم والورع الّذي كانا عليه فإتخذا من التعليم غطاء لنشر مذهبهما[1]، كما كانت للذهنية المغربيّة البسيطة والّتي لا تدخل في بواطن الأمور وتكتفي بسطحياتها الأثر البالغ في انتشار المذهب وهذا ما تفطن له الداعيتان اللذان نزلا أرض كتامة. وفيها انفصلا عن بعضهما متخذا كلّ منهما وجهة، فالحلواني كانت وجهته سوفجمار[2] أمّا أبو سفيان فإستقر في منطقة تالا[3]، وهكذا بدأت بذور التشييع في المغرب حتى مات الداعيتان في وقت متقارب[4].

أ- الدعوة الإسماعيلية ببلاد المغرب:

بوفاة الداعيان ووصول الخبر إلى ابن حوشب ندب أبا عبد الله الشيعي[5] للقيام بمهمة الدعوة ببلاد المغرب قائلا " أنّ أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك[6] وهكذا ارتبطت الدعوة الإسماعيلية ببلاد المغرب بأبي عبد الله الشيعي[7].

---

(1)- ابن خلدون، العبر، ج4، ص38؛ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص127.

(2)- وهو مكان قرب مدينة قسنطينة، أنظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص55.

(3)- كان لها ذكر عند الإدريسي بقوله: هي حصن خراب وبها المنزل ومنه إلى المغادرة إلى ساحل البحر إلى مسجد بهلول إلى المزارع إلى مدينة جيجل: أنظر الإدريسي، محمدبن محمد بن ادريس بن يحي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، منشورات مطبع بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1063م، ص63.

(4)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص450.

(5)- هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي، داعية الشيعة بإفريقية وممهد حكم العبيديين بها، أصله من اليمن وله عدة ألقاب منها الصنعاني، المعلم، الكوفي، المحتسب، الداعي، الشرقي، الشيعي، تتلمذ على يد ابن حوشب الّذي بعثه بدوره للدعوة للمذهب ببلاد المغرب، قتله عبيد الله المهدي سنة 298هـ؛ أنظر: -عبد الوهاب بن منصور،أعلام المغرب العربي، المطبعة المالكية، الرباط، 1979، ج2، ص ص 63/60.

(6)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص 450.

(7)- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص30، المقريزي. المصدر السابق، ص 55.

والجدير بالذكر أنه قد تمَ اختيار أبو عبد الله الشيعي، لما تميز به هذا الرجل من الفهم والدهاء وحسن الجدل فإستطاع بفصاحته وسحر بيانه استمالة الكتاميين[1]، حيث أنه اتجه إلى مكة في موسم الحج وهناك إلتقى برجال من قبيلة كتامة، فاختلط بهم واستحوذ على نفوسهم بحلاوة لفظه[2] ولما انتهى موسم الحج، سار معهم حتى وصلوا إلى مصر فأدعى أنه له رغبة في الإقامة في مصر ليعلم أهلها، فناشدوه مرافقتهم إلى موطنهم ما دام هدفه من الرحلة طلب العلم[3] ليدخل أرض كتامة سنة 280هـ/894م[4] وسار إلى جبل يقال له إيكجان[5] ولما تأكد من قوة شوكة كتامة بين القبائل البربرية أظهر من الدهاء ما يمهد لدعوته وأصبح يفاضل كتامة بتسمية فج الأخيار[6] لجبل من جبال كتامة حيث قال " والله ما سمي هذا الفج إلّا بكم ولقد جاء في الحديث أنّ للمهدي هجرة تنوب عن الأوطان ينصره فيها الأخيار، قوم مشتق اسمهم من الكتمان فإنهم كتامة[7]، واستطاع أبو عبد الله الشيعي أنّ يكوّن جيشا قويا من الكتاميين وواصل دعوته بالتوسع، حيث استولى على مضارب تازورت فإجتمعت إليه عجيسة وزواوة وجميع قبائل كتامة، وبدأ في الإستيلاء على دويلات[8] المغرب الإسلامي واحدة تلوى الأخرى، فإستلوى على الدولة الأغلبية وأسقط عاصمتها "رقادة"سنة296هـ[9]. وانتشرت جيوش ابي عبد الله الشيعي في البلاد[10]، وفي رمضان من سنة 296هـ/909م، توجه أبو عبد الله الشيعي إلى

---

(1)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص124.

(2)- ابن عذاري، نفسه، ج1، ص 128.

(3)- القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص40.

(4)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 451؛- الإدريسي، المغرب وارض السودان، ص 88/85.

(5)- إيكجان: هي منطقة قرب سطيف إلى ناحية قسنطينة؛انظر: المبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص132

(6)- ابن الأثير، المصدر السابق، ص451؛ - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 72.

(7)- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 48.

(8)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص127؛- الخربوطلي علي حسين، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة (د.ط) 1972، ص 38.

(9)- هي دار ملك بني الأغلب التي بناها إبراهيم الأغلبي، وتبعد عن القيروان مسيرة أربعة أميال ؛أنظر: البكري، المصدر السابق، ص27؛ - احمد العزاوي،المرجع السابق،ج1.ص 156

(10)- ابن خلدون، العبر، ج4، ص ص 44/43، المقزيري، المصدر السابق، ج1، ص59.

سلجماسة ودخلها بأمان نتيجة الذعر الّذي انتشر خوفا من بطش جيوشه، وطلب جميع القبائل الأمان منه[1]،وفيها حرر إمامه عبيد الله من سجنه، بعد ان مرّ بتيهرت عاصمة الدولة الرستميّة، ومنذ ذلك الحين تسلم عبيد الله المهدي زمام الأمور، وانتقل ومن معه إلى رقادة ودعي له بالخلافة (297هـ/909م) ودخل في ملكه المغرب الأدنى والأوسط إلّا تلمسان، وأخذ في تنظيم أمور دولته وتعيين الولاة على الأقاليم، وإرسال الحملات العسكرية شرقا وغربا لزيادة النفوذ لدولته[2].

[1]- عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر نهاية القرن الرابع هجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة، القاهرة، مصر، (د.ط) 1991، ص 48.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج1، ص 47؛ - الصلابي علي محمد، الدولة الفاطمية، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ط1، 2006، ص 45؛- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص 152 /153.

المبحث الثاني: دور القبيلة في المذهب الشيعي ببلاد المغرب الإسلامي

كان لإنتقال النحلة الشيعية لبلاد المغرب خلال القرن الثالث الهجري نفس الذرائع في الغالب التي عجلت بظهور فكر الخوارج في القرن الذي سبقه وهو ضغط الدولة العباسية على منتحلي المذهب الشيعي ومطاردتهم مما جعل من بلاد المغرب ارض خصبة لاعادة بعث دعوتها بعيد عن اعين الخلافة ويبدو ان دعاة المذهب الشيعي قد ادركوا ان هذا لن يتم الا بالاستقواء بالعصبية القبلية طي تكون تكون سندا وسيفا لنشر النحلة الشيعية فاستطاعت من كسب قبائل وعارضتها قبائل اخرى .فماهي القبائل المساندة والقبائل المعارضة لهذه النحلة

المطلب الأول: القبائل المساندة للوجود الشيعي ببلاد المغرب

1-قبيلة كتامة:

لقد كانت قبيلة كتامة على رأس القبائل البربرية الّتي استهدفها الداعية الشيعي لتكون مهدا للدعوة الشيعية ومنطلقا منها لكل مضارب القبائل الأخرى، ويبدو أنّ اختيار هذه القبيلة كان دقيقا جدا، وهذا لما تحمله هذه القبيلة من صفات تؤهلها للعب دور بارز في نشر المذهب الشيعي ببلاد المغرب .وأول هذه الصفات الموقع الجغرافي لمضارب هذه القبيلة من جبال منيعة وحصانة قلعة إيكجان وكلها عوامل ستجعل الداعية ابوالله الشيعي في مأمن من رقابة السلطة المركزية الأغلبية السنية [1].

بالإضافة إلى أنّ كتامة كانت مهيئة من قبل لإحتضان الدعوة الشيعية وهذا ما ذكره ابن حوشب حين أمر الداعية عبد الله بالتوجه إلى قبيلة كتامة بقوله " أنّ أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة وممهدة لك"[2] ومن الأسباب أيضا الّتي دفعت الداعي لإختيار كتامة بالخصوص هو تلك الشجاعة وشدة

---

[1]- فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط1.بيروت، لبنان، 1984، ص 86؛- محمد الصالح مرمول، المرجع السابق، ص162.

[2]- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص55 ؛ -أحمد محمد عبد المقصود، الدعاية السّياسيّة والإعلام المذهبي في بلاد المغرب والأندلسس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ج1.ص ص 372.

البأس وقوتهم لبسط سيطرتهم على المغرب، كما اتسموا في الوقت نفسه بالسذاجة والبساطة في التفكير [1].

ولخّص القاضي النعمان سبب اختيار كتامة دون غيرها بقوله "أن أسباب إستجابة كتامة وغيرها إلى الدعوة الإسماعيلية كان بدافع الرغبة والرهبة، بدافع الدين والدنيا"[2] ويبدو أنّ ابوعبد الله الداعي كان يدرك جيدا أنه بحاجة للتأمين على نفسه من خطر الأغالبة وحلفائها القبائل البربرية، كما كان بحاجة إلى دعم مطلق من طرف بطون قبيلة كتامة ولن يكون هذا إلّا من خلال دعم مشيخة القبيلة له، وهو ما قام به ابو عبد الله الداعي، ويبدو أنّ هذه السياسة أتت ثمارها وأدت إلى إلتفاف بطون كتامة حوله، وبإستقرار أبو عبد الله الداعي بإيكجان وفي يوم الخميس 15 ربيع الأول 280م/893م[3] تزاحم عليه مشائخ بطون قبيلة كتامة من كلّ فج.

وعن قبيلة مسالته جاءه أبو موسى المسالّتي وهارون بن يونس المسالّتي الملقب بشيخ المشائخ، ومن قبيلة غشمان جاءه الحسن بن هارون[4] وحريث وموسى الجيملي من قبيلة جيملة، وتمام بن معارك أبا زاكي وأبا يوسف ماكنون بن ضارة من قبيلة إرجانة. وأبا القاسم من قبيلة ورفجومة[5]، وانتشرت الدعوة الشيعية خاصة في بني سكتان[6] لتعم كافة بطون كتامة[7] وبهذا كانت قبيلة كتامة جسرا لنقل النحلة الشيعية للقبائل البربرية الأخرى فعظم أمر عبد الله الداعي[8] وآزرته قبيلة غشمان الّتي تحصّن بمضاربها[9] ودانت له قبائل إجانة وملوسة

---

(1)– ابن خلدون، العبر، ج6، ص 195؛ – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 128.

(2)– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص ص 121–123.

(3)- Kamal bouchama ,islam points de repere,edition elmarifa,alger ,2007 ,p123/126.

(4)– موسى أحمد بني خالد، المرجع السابق، ص ص 106/105.

(5)– القرشي، إدريس عماد الدين (ت827هـ)، كتاب عيون الأخبار، القسم الخامس وجزء من القسم السادس –تحت عنوان: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح، محمد البعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1. 1985م، ص89.

(6)– القرشي، نفسه، ص91.

(7)– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص52.

(8)– المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والأثار والمعروف بالخطط المقريزية، تح: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مديولاي، 1998م، ج2.ص29.

(9)– ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 172/171.

ولهيصة ولطاية وجيملة[1] ونجح في تكوين جيش بدعم من قبيلة كتامة بلغ تعداده 700 فارس وحوالي 2000 من المشاة[2] وبإنتقاله إلى موطن بني غشمان بمضارب تازروت بنى لنفسه بها قصرا، وبعث مع رجال كتامة بعض الغنائم لعبيد الله المهدي بسجلماسة الّذي كان تحت قبضة أميرها قبل أنّ يخلصه من أسره[3]، ويبدو أنّ قبيلة بنو سكتان بيان ابن صقلان كان أكثر المتحمسين للنحلة الإسماعيلية لدوره الفاعل في نصرتها، وبعد أنّ ذاع صيت أبي عبد الله الداعي وتغلغل نفوذه داخل قبيلة كتامة ظهر له العديد من المناوئين من رؤساء القبائل والّتي وإن اختلفت أسبابهم إلّا أنّ الدافع الأكبر هو الخوف من انتزاع حضوتهم ومكانتهم نذكر منهم علي ابن عسلوجة صاحب سطيف وحي بن تميم صاحب بلزمة وموسى بن العياس صاحب ميلة[4] ولم يقتصر الأمر على القبائل المجاورة لكتامة فقط بل اتسع الحلف إلى بطون كتامة نفسها الّتي ادبرت عن ابي عبد الله الشيعي حيث شارك في هذا الحلف المعارض شيخ قبيلة متوسة زياد المتوسي وشيخ قبيلة مسالته فتح بن يحي المسالّتي وشيخ قبيلة لهيصة مهدي بن كناوة فضلا عن شيخ قبيلة لطاية تميم بن فحل[5] وفرج بن جبران رئيس قبيلة أرجانة[6].

أ-خروج قبيلة كتامة عن سلطة العبيديين

أسهمت كتامة في قيام الدولة الفاطمية ونشر النحلة الشيعية ولم ينكر المهدي إطلاقا دورها العظيم في إرساء ركائز دولته فعمد إلى تنصيب أعيانها على العديد من مدن إفريقية على غرار علي بن لقمان على منطقة قابس[7] ولم يهمل دورهم العسكري في البداية فأعطى

---

(1)-لقبال، دور كتامة، ص 257.

(2)- القرشي، المصدر السابق، ص104.

(3)- المقريزي، المواعظ والإعتبار، ج1، ص350.

(4)- القرشي، المصدر السابق، ص 95/92؛- موسى أحمد. المرجع السابق، ص106.

(5)- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص80؛ - موسى أحمد، نفسه، ص 106، 107.

(6)- لقبال، دور كتامة، ص257.

(7)- البكري، المصدر السابق،ج1، ص18.

لكل فرع منهم ناحية عسكرية وأقطعهم الإقطاعات[1]، كما خص المهدي مشائخ كتامة بجملة الغنائم الّتي عرضت عليه من جواري زيادة الله الأغلبي بعد أنّ أخذ نصيبه منها، حيث وزع الكثير مما لديه على زعماء القبيلة[2] وخصهم بتولي المناصب الإدارية الهامة نذكر منهم عبدون بن حباسة في ديوان العطاء وأفلح بن هارون الملوسي في منصب قاضي مدينة رقادة[3]، وجعل هيبة كتامة من هيبة الدولة الجديدة[4].

ونشير بالذكر ان سياسة العبيديين اتجاه قبيلة كتامة تغيرت مع مرور الوقت فقد عمد المهدي إلى إبعاد الكتاميين عن الوظائف العسكرية وفق منطلق سياسي جديد تمثل في تغيير الدور الّذي ألفته كتامة وهو الدور العسكري إلى الدور الإداري وكان ذلك دعوة لهم لترك حياة الشدة الّتي ألفوها في عهد أبي عبد الله الداعي[5].

ويبدو أنّ هذه السياسة أدت إلى تخوف ابو عبد الله الداعي من تخلي كتامة على الميزة القتالية الخاصة بهم وقد أبلغ عبيد الله المهدي بذلك[6]، لكن بقي الحال هكذا خاصة وأن عبيد الله المهدي أقام بإيكجان وأمده المشائخ والأعيان من كتامة بالأموال وبالغوا في ذلك وبايعوه بالإمامة حين دخل رقادة[7].

والحقيقة أنّ الكتاميون كان إعتقادهم في المهدي يتعدى رؤيته كإمام مذهب هم على نحلته بل إعتقدوا فيه العصمة وأنه ينفع ويضر وجعلوا مقامه من إيمانهم إذ قالوا " وحق عالم الغيب والشهادة مولانا المهدي"[8] واتخذوا من رقادة قبلة لهم[1] وبالمقابل فإن المهدي كان يتوجس من

---

(1)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص133؛ - المقريزي، الخطط، ج2، ص31.

(2)- المقريزي، نفسه،ج2، ص31.

(3)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص159.

(4)- القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص 306؛ - لقبال، دور كتامة، ص 435؛ - موسى احمد، المرجع السابق، ص209.

(5)- بوبة مجاني، المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب،(دط) 2004، ص57.

(6)- محمد سهيل طقوش.المرجع السابق.ص89.

(7)- سيدة إسماعيل كاشف، الدعوة الفاطمية في مصر قبل قيام الخلافة الفاطمية فيها، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، من 04إلى 07، أوت، 1977م، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، ص101.

(8)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص186.

بعض مشائخ كتامة وأهمل نفرا من كبارها وهو هارون بن يونس المعروف بشيخ الشيوخ الّذي كان يتصور أنّ عبيد الله المهدي لابد أنّ يأتي بالمعجزات لكي يكون المهدي حقا، فلما رأى تصرفه وجشعه للمال خاب ظنه وصارحه بذلك، فهال ذلك عبيد الله المهدي وامر بقتله، وكان هذا خطأ جسيما قام به بقتل رجل من أهمّ دعائم الدولة العبيدية. وكان يمكن استرضاؤه[2].

وتوسع المهدي بعد ذلك في سياسته الاقصائية لمشائخ كتامة الّذين أزعجهم أمره عندما استولى على الأموال الّتي كانوا يحتفضون بها في إيكجان، ثمّ ما لبث أنّ حط من شأنهم بحكمه الفردي وهم الّذين عودهم أبو عبد الله الداعي على الإشتراك معه في ممارسة السلطة، كما استاؤوا من سياسته القاضية بتجريد كتامة من شبابها بتجنيدهم وتفريقهم في البلاد[3]، ويبدوا أنّ هذه الممارسات قد إستاء منها ابوعبد الله الداعي وأخوه أبو العباس هذا الأخير الّذي استغل هذه الاوضاع وبدأ في تعبئة النفوس ضد المهدي مخاطبا قادة كتامة بقوله "والله لا تركن، بناء بنيناه بأيدينا، وأتعبنا فيه أبداننا، وذهبت فيه أعمارنا، سكن غيرنا ونحن وراء أبوابه، حتى يحل في أعاليه ويلحقنا بأسافله"[4] وقد نبه أبو العباس أخاه ابو عبد الله الداعي بخطورة سياسة عبيد الله المهدي ووجه له خطابا يقول فيه "إني قد قومت هؤلاء الكتاميين، وأجريتهم على ما أردت من التقويم، وأخذتهم على ترتيب، وتعليم فاستقام لي أمرهم فجلب نفعهم ودفع ضرهم، فلو تركت إلي أمرهم، وكنت في قصرك وادعاً، لكان ذلك أهيب لك، وأشد لأمرك وأعظم لسلطانك" [5].

وأمام هذه الأحداث بدأت تتبلور روح الإنتقام والتحالف في نفس ابي عبد الله الداعي وأخيه أبي العباس ومشائخ كتامة، وفي هذا السياق يروي لنا ابن عذاري تفاصيل تشكل حزب معارض

---

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص186.

[2]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص 83/82؛ - مؤنس حسين، تاريخ المغرب وحضارته، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992،ج1. ص 483.

[3]-طقوش، المرجع السابق، ص83.

[4]- لقبال، دور كتامة، ص437.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 309/307.

حركه عبد الله الداعي وأقطابه أعيان كتامة بهدف الإطاحة بعبيد الله المهدي، حيث بدأ عبد الله بإثارة الشكوك حول صحة إمامة عبيد الله المهدي وكان يقول " أنّ الدعاء لأهل البيت واجب وأن الإمام المهدي حق وأن الزمن مجهول عندي، وكنت ارتبت في والد عبيد الله، فكيف لا يرتاب فيه"[1] وقال أيضا " أنّ أفعاله قبيحة وإنه قد يكون أخطأ فيه وليس هو المهدي الحقيقي الّذي جاءت به البشائر بسبب ما ظهر من أعمال تعبده على أنّ يكون إمام الزمان ومهدي العهد"[2].

ويبدو أنّ التعبئة السّياسيّة هذه كانت تتجه إلى القضاء على سياسة عبيد الله المهدي والذي لن يكون إلّا بقتل المهدي نفسه وهو ما نلمسه من قول أبي العباس لمشائخ كتامة "أنه لم يبق إلّا أنّ تأخذوا بنواصيكم وبحكم حد السيف فيكم"[3]، لكن هذا الحلف لم تدم سريته طويلا حيث قام عروبة بن يوسف بكشف أولي اجتماعات هذا الحلف بمنزل أبي زاكي تمام بن معارك والذي كان يهدف إلى قتل المهدي[4]، فقابلها عبيد الله المهدي بتقريب مشائخ غير معروفة لأبي عبد الله الداعي في محاولة لعزله مثل جعفر بن علي[5] ومن أجل تكوين حاشية موالية له[6].

وقد أدرك المهدي أنّ خطورة قبيلة كتامة على عرشه من خطورة ابي عبد الله الداعي وأخوه فعهد بالامر إلى عروبة بن يوسف وجبر بن تماشيت الجيملي بترصدهما في موضع قريب من القصر[7] وقتلهما وهو ماحدث فعلا سنة (298هـ/911م)[1]، يؤكدهذا قول المهدي نفسه "أما

---

(1)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص161.

(2)- ابن عذاري، نفسه، ج1، ص161.

(3)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص67.

(4)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص162.

(5)- لقبال، دور كتامة، ص327.

(6)- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الضها جيون إلى قيام المرابطون، منشأة المعارف، القاهرة،(د ط) 2004م،ج3. ص 61،62.

(7)- سعد زغلول، المرجع السابق، ج3، ص 66، 67.

بعد فقد علمتم ما حل بأبي عبد الله وأبي العباس، فاستزلهما الشيطان، فطهرتهما بالسيف والسلام"[2] وبعد أنّ تخلص المهدي من أقوى معارضيه، تفرغ للقضاء على فلول كتامة المتحالفين مع ابي عبد الله الداعي، وكانت البداية بتصفية أبي زاكي تمام على يد عامل المهدي على طرابلس أبا يوسف ماكنون بن ضبارة[3] وضيق الخناق على قبيلتي أجانه ومسالته المحسوبتين على ابي عبد الله الداعي[4] فشعر حينها الكتاميون بالإذلال وأحسوا بالألم من سياسة المهدي فكانت ردة فعلهم على شكل ثورات وكانت أولها إنتفاضة القيروان على جند المهدي سنة (299هـ)[5].وبعدها بسنة اندعلت ثورة رقادة الّتي جاءت إنتقاما لمقتل قادة كتامة[6]. ثمّ ثورة إقليم الزاب الّتي أدت إلى إعلان الكتاميون انفصالهم السياسي والمذهبي عن الدولة الفاطمية. بل وزعموا بوجود المهدي بينهم وينزل عليه الوحي، وكتبوا فيه شريعة تنسب إليه[7] والأمر يتعلق بغلام كتامي اسمه كادو بن معارك وسيطروا على أهمّ مدن إقليم الزاب الّذي أصبح مركزا لمقاومة كتامة للعبيدين ببلاد المغرب[8].

وأمام هذه الثورات الكتامية عمد المهدي إلى عديد السبل لإجهاضها في المهد ومن بين أساليبه محاربة كتامة بمن والاه من هذه القبيلة نفسها[9] واللجوء لدعاة عربا ليستعين بهم على دعاة كتامة[10] كما إلتجأ المهدي إلى الصقالبة وقربهم منه كونهم دون عصبية تحميهم[1].

---

(1)- عمر السعيدي، انتقال الفاطميون إلى مصر، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية الدورة الثانية، المهدية، من 4إلى 7 أوت 1977 م، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، ص142.

(2)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص68.

(3)- سعد زغلول، المرجع السابق، ج3، ص 67/66.

(4)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص68.

(5)- سعد زغلول، المرجع السابق، ج3، ص68.

(6)- طقوش، المرجع السابق، ص90.

(7)- ابن عذاري، المصدر السابق،ج1،ص166.

(8)- القرشي،عماد الدين ادريس بن الحسن، عيون الأخبار وفنون الأثار السبع (4-6)، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ص 124/123، طقوش، المرجع السابق، ص90.

(9)- القرشي، المصدر السابق، ص190.

(10)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 169/167.

والجدير بالذكر أنّ المهدي قام بحركة تصفية واسعة ضد زعماء كتامة كان لها الأثر البالغ في القضاء على الجيل الأول للداعي ابي عبد الله، وضعف شأن كتامة وبقي الحال هكذا حتى عهد الإمام الفاطمي المنصور(334هـ/945م)[2].

ب- عودة كتامة إلى سلطة العبيديين:

ان مسألة فقدان المهدي للثقة بكتامة قد بلغ ذروته خاصة بعد محاولة ابو عبد الله الداعي وكتامة خلعه[3] وتكرر ثورات كتامة ضد المهدي[4].

وكان بالمقابل ردت فعل للمهدي على كتامة بإجراءات مثل عزل عامّة كتامة عن المهدية وإسكانهم لمدينة جديدة قام ببنائها وهي مدينة زويلة بعدما استشعر خطرهم[5] وهو ما نستخلصه من قوله حين سئل عن مشقة أهل كتامة في التنقل بين زويلة والمهدية فقال " ان أرادوني بكيد بزويلة فأموالهم عندي بالمهدية، فإني آمن منهم ليلا ونهارا"[6] ولم يكتف المهدي بهذا بل نكل بكل معارض إستاء من مقتل ابي عبد الله الداعي من وجوه كتامة. وأخمد كلّ ثورات كتامة في مختلف المناطق[7] وأدت هذه التصفية إلى تراجع مكانة كتامة القيادية في الجيش العبيدي لصالح فئات أخرى مثل عرب إفريقية والصقالبة وقبيلة مكناسة[8]. وهو يفسر ربما ضعف الأداء العسكري لقبيلة كتامة في بدايات إخماد ثورة أبي يزيد مخلد في وقت لاحق[9] .

---

(1)- محمد الصالح مرمول، المرجع السابق، 122.

(2)-عبد الرحمان الجيلالي.المرجع السابق.ج1.ص 314؛- طقوش، المرجع السابق، ص90.

(3)- البكري، االمصدر السابق،ج1، ص130.

(4)- سنوسي، زناتة، ص175.

(5)- موسى بن خالد، المرجع السابق، ص223.

(6)- القزويني، زكريا بن محمد بن محمد، أثار البلاد وأخبار العباد دار صادر،ط1، بيروت، 1969، ص 276.

(7)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص66.

(8)- لقبال، دور كتامة، ص 446؛ محمد عبد الله سالم العمايرة، الجيش الفاطمي (667-567هـ) (909-1171م)، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر، عمان، الأردن، 2009، ص 62.

(9)- لعمايرة، المرجع السابق، ص62.

وبعد وفاة المهدي خلفه ابنه القائم بأمر الله (322هـ/933م) وبقي حال كتامة على حاله كون أنّ القائم اتبع سياسة أبيه رغم أنه أشاد بدورهم في خطابه لهم كي يشجعهم على محاربة أبي يزيد بقوله"...يا أبناء المهاجرين والأنصار الأولين، السابقين المقربين"[1] لكن القائم توفي قبل إخماد الثورة[2]. ليخلفه بعده ابنه المنصور(334هـ/945م) والذي يعتبر عهده بداية تحول في علاقة قبيلة كتامة بالدولة العبيدية وأصبح عامل التقارب والتحالف من جديد هو الغالب ومن أهمّ القرائن على ذلك عدم خروج كتامة على عهدها في وقت إشتداد ضربات يزيد ابن أبي مخلد على الدولة العبيدية وكان بإمكانها التحالف معه والإستئثار بالسلطة.

وبالمقابل نجد خطاب المنصور لكتامة هو خطاب المعاتب لأنصاره، فرغم كلّ المحن الّتي مرت على الدولة العبيدية في علاقتها مع كتامة إلّا أنّ العبيديين كانوا دائما على يقين أنّ وجودهم في بلاد المغرب مبني على ركيزة عصبية قبيلة كتامة وهو ما تجلى بوضوح حينما ضاقت الأرض بالعبيديين أيام ثورة أبي يزيد مخلد واستنجاد المنصور سنة 334هـ/945م بهم بخطاب قال فيه "... وقد تتابعت إليكم معشر كتامة كتبنا تحضكم على ما فيه رضى سيدكم ومولانا...فتثاقلتم إلى الأرض...وقد أعرضتم عن الجهاد الّذي أمركم به الله صفحا وزهدتم في الثواب"[3] ثمّ شكرهم في خطبة الإعلان عن وفاة أبيه وإخماد ثورة أبي يزيد بقوله "... يا كتامة...اللهم إني أصبحت راضيا عن كتامة... لصبرهم على البأس تعبدا لنا وإعترافا بفضلنا"[4].

---

[1]- الجوذري، المصدر السابق. ص 55/54.

[2]- لقبال، دور كتامة، ص 447.

[3]- إدريس، تاريخ، ص 383؛ العمايرة، المرجع السابق، ص63.

[4]- الجوذري، المصدر السابق، ص 60/55؛ ابن حماد. أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت 627هـ/1236م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص55.

وعند تولي المعز لدين الله(341هـ/952م) سدة الحكم، عمل على إعادة مكانة كتامة إلى سابق عهدها، وإعلاء شأنها وأشاد بفضلها على الدعوة[1] وهذا ما نستنتجه بقوله "...فهؤلاء كتامة... والله ما وفت أمة من الأمم لنبي من الأنبياء ولا إمام من الأئمة، ولا لملك من ملوك الدنيا، ولا وفى لها وفاءهم لنا ووفاء نالهم..."[2].

وتشهد عديد المصادر على أنّ المعز كان دائما يبالغ في وصف الكتاميين منها قوله " أنتم البنون والاخوة والأقربون، ولايعد لكم عندي أحد، ولا يبلغ من قلبي أحد، وما ذلك إلّا لما لي في قلوبكم[3] وكان هذا الرد الّذي جمع قبيلة كتامة والمعز لا يخلو من طابع الحيطة الّذي اتخذه جراء ردات الفعل لهذه القبيلة الثائرة وهذا ما قد يفسر لجوء المعز في الكثير من الأحيان إلى التقرب من الصقالبة في محاولة على ما يبدو لوضع توازن قبلي يمكن الإعتماد عليه فوضع- جوهر الصقلي كقائد عسكري وأوعز لهم أنّ طاعته هي جزء من الجهاد وذلك نضير خوفه منهم ومن ردة فعلهم[4] وهناك قرينة ثانية تثبت تخوف المعز من الكتاميين وهي عندما قرر الذهاب صوب مصر وأراد اختبار الكتاميين من ذلك فكان ردهم حازم ورفضوا الضريبة الّتي أرادها المعز كمعونة للدولة العبيدية واعتبروها جزية[5] ورغم ذلك فإن الكثير من كتامة تنقل مع المعز إلى مصر[6].

2-قبيلة صنهاجة:

لم يكن لقبيلة صنهاجة دور يذكر في إرساء معالم الدولة العبيدية أو خلال عهد عبيد الله الداعي على الأقل، وأول استعانة فاطمية بقبيلة صنهاجة كانت في عهد القائم بالله في أواخر

---

(1)- القاضي النعمان،ابوحنيفة محمدبن حيون التميمي المغربي. المجالس والمسايرات، تح: حبيب الفقي وآخرون، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (د ط) تونس، 1978م، ص 246/219.

(2)- القاضي النعمان، المجالس، ص246، العمايرة، المرجع السابق، ص64.

(3)- لقبال، دور كتامة، ص449.

(4)- ابن خلدون، العبر، ج4، ص59.

(5)- المقزيري، المواعظ والاعتبار، ج1، ص97.

(6)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1،ص 310.

سنة (333هـ/944م) حين حاصر أبو يزيد مخلد مدينة المهدية مهددا كيان الدولة الفاطمية، فبعث القائم إلى زيري بن مناد يطلب منه المساعدة بقبيلته فلبى النداء[1] .ولم تقتصر مساعدة زيري للعبيديين على الشأن العسكري بل دعمهم بالمؤنه وقت وجودهم محاصرين داخل المدينة[2].

والظاهر أن كل هذه المساعدات جعلت من قبيلة صنهاجة من أهمّ القبائل المتحالفة مع العبيديين، ونشوء هذا الحلف الّذي يبدو أنه جاء بعد الإنهاك الكبير لقوى كتامة نتيجة تحملها عبء الثورات المتكررة[3]، وكل هذا له ما يبرزه بداية بذلك العداء الّذي ظهر بين زيري بن مناد وزناتة الّتي تحالفت مع خصومه من أبناء قبيلته فضلا على العداء التقليدي بين البتر ممثلا في زناتة والبرانس الممثل في صنهاجة[4] إضافة إلى ذلك البعد الروحي في تشيع صنهاجة لآل البيت حيث ذكر ابن عذاري وجود مراكز علوية " كحائط حمزة" بمضاربها والذي أقر إنتسابه إلى حمزة بن الحسن بن سليمان العلوي[5] فكانت صنهاجة ترى في العبيديين خير حليف يساعدها في حروبها ضد زناتة.

وبالمقابل فإن العبيديين رأوا في قبيلة صنهاجة الحصن المنيع لتأمين الجهة الغربية لدولتهم من خطر هجمات زناتة عليهم[6] خاصة وأن مضارب صنهاجة محاذية لها وقد برهنت صنهاجة على ذلك أثناء ثورة صاحب الحمار[7] فضلا على أنّ الدولة العبيدية كانت تحتاج إلى

---

(1)- المقزيري، اتعاظ، ج1، ص112؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 426.

(2)- ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 104؛ العمايرة، المرجع السابق، ص65.

(3)- بويه مجاني، المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب (د.ط) مطبعة النجاح الجديدة المغرب 2004 ص 77/78.

(4)- محمد صالح مومول؛المرجع السابق، ص172.

(5)- ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص215؛- الميلي، المرجع السابق، ج3، ص 724.

(6)- محمد صالح مومول، المرجع السابق، ص172.

(7)- محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تر: محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس، تونس،ط3. 1993، ص46.

عصبية جديدة توازن بها العصبية الكتامية لتأمين دولتها[1] فأفرز هذا التقارب اختيار الزناتيون الإنضمام إلى أمويي الأندلس[2] واختيار صنهاجة الانضمام إلى الدولة العبيدية[3].

ومن العوامل السّياسيّة الّتي فرضت على العبيديين الإعتماد على صنهاجة هو إشراكهم في الحكم إلى جانب قبيلة كتامة بسبب التجانس الطبيعي بينهما. على اعتبار أنّ كليهما ينحدران من فرع البرنس فضلا على أنهما يملكان نفس النمط المعيشي ومن جهة أخرى فإن العبيديين كان تفكيرهم منصبا حول توجيه قوة كتامة لفتح مصر[4] ولن يكون ذلك إلّا بإشعار كتامة أنهم ليسوا وحدهم في بناء دولة بني عبيد[5].

ودرءا للمخاوف الّتي تفاقمت بعد مقتل ابي عبد الله الداعي المقرب لكتامة[6]. بدا تقارب العبيديين نحو قبيلة صنهاجة يزداد يوما بعد يوم وهذا ما يفسر استعانة المنصور بزيري في حربه ضد صاحب الحمار حين كاتبه وأرسل إليه الهدايا وذلك بعد أنّ كانت المجاعة قد ضربت المهدية بسهم بسبب الحصار فما كان على زيري سوى انقاذ الوضع وإخماد هذه الثورة[7] ثمّ اخماد ثورة فضل بن مخلد[8] ليستعين المنصور بزيري مجددا لإخماد ثورات زناتة على الجزء الغربي للدولة العبيدية بمضارب جبال الاوراس[9] بل وحتى إخضاع سكان جبال الأوراس سنة 342هـ/953م[10]، لتتجدد الحروب بعدها بين زناتة وصنهاجة بعد بناء مدينة أشير(324هـ/936م) وأصبحت قبيلة جراوة المساندة للأمويين هدفا لصنهاجة[11] .وقد نجح

---

(1)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص33.

(2)- التيجاني، رحلة، ص325.

(3)-عبد الرحمان الجيلالي،المرجع السابق،ج1.ص 297

(4)- بوبة مجاني، المرجع السابق، ص22.

(5)- ابن الأثير، المصدر السابق،ج7، ص33.

(6)- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص322.

(7)- ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص104؛ - ابن حماد، أخبار، ص27؛ - التجاني، المصدر السابق، ص 234.

(8)- هادي روجيه ادريس،المرجع السابق،ج1. ص56.

(9)- الهادي روجيه، نفسه،ج1، ص57.

(10)- الجوذري، المصدر السابق، ص 84/75.

(11)- سعد زغلول،المرجع السابق. ج3،ص299.

زيري في ذلك بعد استجارة زعيمها موسى بن أبي العافية به[1]. وكان لهذا النجاح صدى كبير خاصة وأن العبيديون أصبحوا يهددون الامويون في مناطق نفوذهم بالمغرب الأقصى، وفتح المجال لانتصارات أخرى بقيادة زيري كثورة كمات الزناتي الّذي أعدم مع من كان معه[2] وثورة سعيد بن يوسف في جبل الأوراس الّذي بعث برأسه إلى المنصور[3] وإخضاع سكان بني كملان ومليلة[4] فضلا عن هوارة[5].

ومن أجل تحفيز صنهاجة على مواصلة مهاجمتها لزناتة قام المعز بتجريد زيري بن مناد من كلّ المناطق الّتي كان يحكمها عدا أشير، ثمّ أوعز إليه بأن يضع تحت يده كلّ ما يفتحه من البلاد الّتي كانت تحت سيطرة زناتة[6] وشاركت صنهاجة مع جوهر الصقلي في حملته الكبيرة لإستعادة المغرب الأقصى سنة 347هـ/958م، حيث إنضم إليه زيري بن مناد، وقد أثبتت صنهاجة فعاليتها القتالية في هذه الحملة خاصة في الإستلاء على مدينة فاس بعد حصارهم الشديد لها سنة 348هـ/959م[7].

وواصلت صنهاجة الذود عن الدولة الفاطمية في نواحي المغرب الأوسط والأقصى[8] وكانت حياة زيري بن مناد ثمنا لها سنة 360هـ/970م[9] فخلفه ابنه بلكين الّذي أمره المعز بتجهيز حملة ضد زناتة ثأرا لأبيه انتهت بإستلاء بلكين على سائر بلاد المغرب الأوسط[10]،فإنبهر المعز لهذا وكافأ بلكين بأن أذن له ببناء المدية[11] ومليانة[1] والجزائر[2].

---

(1)- الهادي روجيه، المرجع السابق، ج1، ص43.

(2)- سعد زغلول، المرجع السابق، ج3، ص299.

(3)- الهادي روجيه، المرجع السابق، ج1، ص 47.

(4)- الحميري. المصدر السابق، ص 545.

(5)- ابن حماد، المصدر السابق، ص33.

(6)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص174؛ - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 319.

(7)- الهادي روجيه، المرجع السابق، ج1، ص 60/59؛ - العمايرة، المرجع السابق، ص 66.

(8)- سنوسي، زناتة، ص 290/280.

(9)- الهادي روجيه، المرجع السابق، ج1، ص67.

(10)- الدشراوي، المرجع السابق، ص 356/353.

(11)- حسن الوزان، المصدر السابق. ج2، ص206.

ورغم كلّ هذه الإنجازات بقي المعز وفيًا لمخطط الشيعة الأول وهو الإستحواذ على المشرق الإسلامي وتكون البداية من مصر وهو ما تجسد في الواقع من خلال توالي الحملات العسكرية العبيدية على مصر، فكانت الحملة الأولى (301هـ/912م) ثمّ الحملة الثانية سنة (306هـ/917م) ورغم فشلهما بقي العبيديون يحاولون وينتظرون الفرصة. وهو ما حدث حين قرر المعز تسيير حملة عسكرية على مصر[3] بسبب تهيؤ ظروف عديدة منها وفاة كافور الأخشيدي[4] ولما عزم المعز المغادرة الى مصر شغل ذهنه فيمن يوليه أمر المغرب ومن تتوفر فيه الصفات المطلوبة وقد ساقها ابن خلدون في هذه العبارة "ممن له الغناء والإضطلاع. وبه الوثوق من صدق التشيع ورسوخ القدم في دراية الدولة"[5] فوقع إختياره على أبي محمد جعفر بن علي أمير المسيلة[6]، ولكن جوابه لم يعجب المعز[7]، إذ أنه أراد أنّ يستقل بأمر المغرب، ولا يترك لبني عبيد غير السكة والدعاء لهم على المنابر، فغضب منه وأمره بالإنصراف[8]، ثمّ مال المعز لقبيلة كتامة كما ذكرنا سابقا، فأتقوا من دفع المغرم، ففهم المعز أنّ كتامة ستخرج عن طاعة بني عبيد بمجرد ذهابهم إلى مصر فصرف النظر عنهم وأظهر مباركته لهم مخبرا أياهم أنه اختبرهم فقط[9].

وتجدر الاشارة هنا ان المعز فهم أنّ لا خيار أمامه سوى قبيلة صنهاجة فإستدعى بلكين بن زيري الصنهاجي[10] وقال له "تأهب لخلافة المغرب" فأكبر ذلك بلكين وقال له " يامولانا أنت

---

(1)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص206.

(2)- الحمري.المصدر السابق، ج2، ص132؛- الميلي، المرجع السابق، ج3، ص 724.

(3)- القرشي، المصدر السابق، ص 178/176.

(4)- هو كافور بن عبد الله الأخشيدي حبشيا أسود وكان عبدا لمحمود بن وهب ثمّ اشتراه محمد الأخشيد سنة 312هـ؛ أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص105.

(5)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص205.

(6)- عبد الرحمان الجيلالي.المرجع السابق، ج1، ص 320.

(7)- المقريزي، الخطط، ج1، ص 352؛- عبد الرحمان الجيلالي.المرجع السابق، ج1، ص 320.

(8)- المقريزي، نفسه، ج1، ص 352؛ - عبد الرحمان الجيلالي، نفسه، ج1، ص 320

(9)- المقريزي، الخطط، ج1، ص 352.

(10)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 321.

وأباؤك الأئمة من ولد الرسول صلى الله عليه وسلم ما صفى لكم المغرب فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري. "قتلتني يا مولاي بلا سيف ولا رمح"[1] فلم يزل به المعز حتى أجاب وقال: يا مولانا بشريطة أنّ تولي القضاء والخراج لمن تراه. وتختاره والخبر لمن تثق به"[2] فحسن هذا عند المعز وشكره، وأطلق المعز على بلكين عدة أسماء شرفية كيوسف وكناه أبا الفتوح ولقبه سيف الدولة وأوصاه قائلا " يا يوسف أنّ نسيت ما أوصيناك به فلا تنس ثلاثة أشياء، لا ترفع الجباية عن أهل البادية ولا ترفع السيف عن البربر ولا تولي أحدا من إخوتك فإنهم يرون أنهم أحق بالأمر منك واستوصي بالحضر خيرا[3].

وهكذا استتب الأمر لبلكين ابن زيري كخليفة للمعز على إفريقية[4] لينتهي عهد العرب بالملك ببلاد المغرب الإسلامي[5] وقال ابن خلدون عن ملك صنهاجة "...وكان أضخم ملك عرف للبربر بإفريقية وأشرفه وأبذخه"[6] وبقي وفاء الزيريين للعبيديين قائما إلى غاية تولى العزيز الخلافة بعد وفاة المعز (365هـ/976م) وما صاحبه من بداية توتر في العلاقات بعد رفض بلكين طلب العزيز تزويده بالدعم العسكري[7] وبقيت العلاقة تعرف تذبذبا إلى غاية أنّ أقدم المعز الصنهاجي على مبايعة الخليفة العباسي أبي جعفر القائم بأمر الله وقطع الدعوة للخليفة الفاطمي المستنصر[8].

---

(1)- المقريزي، الخطط، ج1، ص353ح- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 321.

(2)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص321.

(3)- ابن خلكان،احمد ابن محمد ابن ابي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تح: إحسان عباس، دار القافة بيروت، (د س)،ط1، ج1، ص144؛- عبد الرحمان الجيلالي.المرجع السابق، ج1، ص321.

(4)- الهادي روجيه، المرجع السابق، ج1، ص 71/69.

(5)- عبد الرحمان الجيلالي.المرجع السابق.ج1، ص323.

(6)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص318.

(7)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص240.

(8)- عبد الواحد المراكشي. المصدر السابق، ص 432؛ - التيجاني، المصدر السابق، ص79.

3/ قبيلة مكناسة:

لعبت هذه القبيلة أدوارا بالغة الأهمية على مدار تاريخ المغرب الإسلامي وكانت عصبية مكناسة غالبة على المضارب الّتي كانت تسيطر عليها، وإشتدت قوة هذه القبيلة أكثر بدءاً من منتصف القرن الثاني الهجري وأصبحت تهيمن على أرياف المغرب الأقصى وصحرائه[1]، وكانت هذه القبيلة العتية أواخر القرن الثالث هجري تحت زعامّة موسى بن أبي العافية[2]، وقد شاركه هذا الملك ابن عمه مصالة ابن حبوس، واستفحلت في عهده عصبية مكناسة واستطاعت اخضاع قبائل المغرب الأقصى بنواحي تازا وتسول وكرسيف[3] .

ومرت الأيام على هذه القبيلة ومعها زادت شوكة عصبيتها الغالبة، فأخذت تزاحم نفوذ الأدارسة على مضاربها منتهزة ما أصاب هذه الدولة من الوهن في تلك الفترة[4]، ويبدوا أنّ مكناسة لم تنتظر طويلا بعد قيام الدولة العبيدية حتى دخلوا تحت لوائها[5] ومن ثمار هذا الإنضمام على القبيلة تمكن قبيلة مكناسة من الإنتصار على الدولة الإدريسية وتوسع نفوذها إلى أقاليم لم تكن تتبعها من قبل[6] فضلاً عن تعيين عبيد الله المهدي للزعيم المكناسي مصالة ابن حبوس والياً على مدينة تيهرت والمغرب الأوسط[7] بل وزاد نفوذها حتى مضارب وأمصار المغرب الأقصى[8].

والظاهر أنّ رهان العبيديين على هذه القبيلة كان له ما يبرره، كون أنّ هذه القبيلة ذات عصبية ضاربة بين القبائل البربرية. ومسألة كسب ودها هو تحصين للدولة العبيدية من الضربات المتوالية لقبيلة زناتة المعارضة للوجود العبيدي[9].

---

(1)- بوزياني، القبائل ، ص130.

(2)- ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 83؛- ابن القاضي، أحمد المكناسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1973م، ج1.ص 340؛- بوزياني، القبائل، ص130.

(3)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص136؛ - بوزياني، القبائل، ص130؛ - موسى أحمد، المرجع السابق، ص161.

(4)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص136؛ - بوزياني، القبائل، ص131.

(5)- بوزياني، القبائل، ص131؛- موسى أحمد، المرجع السابق، ص162

(6) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 280/273؛ - ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 53/50.

(7)- ابن خلدون، نفسه، ج6، ص136.

(8)- ابن خلدون، نفسه، ج6، ص136.

(9)- سنوسي، زناتة، ص185.

ومهما يكن فإن قبيلة مكناسة في بداية أمرها كانت تتبع للعبيديين لكن ما أنّ إشتد عودها حتى نقضت عهدها وفتحت عهد جديد إتجاه الأمويين بالأندلس، وأفضل قرينة على هذا التحول هو إرسال العبيديين لحملة ضخمة كرد فعل على هذا الخروج عن الطاعة وتأديبا لها، مما أدى إلى تذبذب في موقف قبيلة مكناسة إتجاه ولائها للعبيديين لينتهي الولاء في الفترة المتأخرة على الثبات في التبعية للأمويين بفضل تحالفهم مع قبيلة مغراوة المتغلبة على المغرب الأوسط[1].

وفي ظل التضارب بين أراء المؤرّخين حول مسألة ظروف اتصال مكناسة بالأمويين وتاريخ ذلك فإننا لا يمكن الجزم في ذلك إلّا من خلال استقراء النسق التاريخيّ للأحداث المتعلقة بتلك الفترة، وما أشارت إليه المصادر في هذا السياق أنّ قبيلة مكناسة لم تقتنع يوما بالنحلة الشيعية[2] وما انطواءها تحت لواء الدولة العبيدية إلّا محاولة منها للحفاظ على مكتسباتها ونفوذها بالمغرب الأقصى[3].

وبالمقابل فقد اكدت بعض المصادر الاخرى ان قبيلة مكناسة تميل إلى المذهب السني وهو ما تعكسه مبادرة رئيس قبيلة مكناسة للخليفة الأموي للإنضمام له، بل واستمالت حتى القبائل البربرية الأخرى، وفي هذا السياق يقول ابن عذاري " كاتب موسى ابن أبي العافية أمير المؤمنين الناصر من العدوة الغربية، ورغب في موالاته والدخول في طاعته، وأن يستميل له أهواء أهل العدوة المجاورين له"[4].

والملاحظ لهذا النص يفهم أنّ قبيلة مكناسة لم تكن تريد الإنضمام إلى المعسكر الأموي لأجل الغلبة فقط بل أنّ الأمر تعدى ذلك إلى توشح المذهب السني الّتي كانت عليه الدولة الأموية وقرينتنا على ذلك هو إصرار موسى ابن أبي العافية للعمل لصالح الأمويين من خلال إقناع القبائل البربرية لمولات الأمويين، وبخصوص تاريخ إنضمام مكناسة لحلف الأمويين فإن عديد المؤشرات تحدد تاريخ 317هـ/329م، وهو التاريخ نفسه الّذي تحولت فيه الأندلس من عهد الإمارة إلى عهد الخلافة الإسلامية[5]، لتلعن قبيلة مكناسة تحولها من الحلف العبيدي

---

[1]- بوزياني، القبائل، ص131.

[2]- لقبال، دور كتامة، ص 375.

[3]- موسى أحمد. المرجع السابق، ص165.

[4]- ابن عذاري.المصدر السابق، ج1، ص199.

[5]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص198.

الشيعي إلى الحلف الأموي السني، وليصبح شيخ قبيلة مكناسة أبي العافية ثاني رجال الخليفة الأموي الناصر بعد أمير زناتة محمد بن خزر[1].

4/دور قبيلة مصمودة في نشر المذهب الشيعي:

لقد عاشت قبيلة مصمودة جولات كثيرة في تاريخ قبائل المغرب الإسلامي ككل وضمن قبائل المغرب الأقصى بالأخص وذلك منذ الفتح الإسلامي و من أشهر بطونها قبل قيام دولة الموحدين(524هـ/668هـ) برغواطة وغمارة وأهل جبل درن[2]وتداولت بطونها على الرياسة، وكانت البداية من قبيلة برغواطة الّتي أسست الإمارة البرغواطية (ق2هـ/5هـ)في مدينة سبتة اذا سلمنا بقول ابن خلدون على أنها إحدى بطون المصامدة[3] ثمّ انتقلت الرياسة إلى مصامدة جبل درن الّتي وصفتها المصادر بذات البأس والشدة[4] وكان لها بطون كثيرة منها: هزغة. وتينمل وهنتاتة. وكنفيسة. وكدموية. ووزيكة. وهزميرة .وركراكة. وحاحة. ودكالة. وبنو ماكر. وازكيت وامادين .وايلانة وغيرها[5] .

ورغم قوة شوكة بطون قبيلة مصمودة وتعدد عصبياتها والّتي منعتها من تسيد زعيم عليها إلّا أنها كانت تمثل اتحاد قبليا صلبا وهو ما جاء على لسان ابن خلدون بقوله "كان لهؤولاء المصامدة صدر الإسلام بهذه الجبال عدد وقوة وطاعة للدين ومخالفة لإخوانهم برغواطة في نحلة كفرهم ... وكان منهم قبل الإسلام ملوك وأمراء ولهم مع لمتونة ملوك المغرب حروب وفتن سائر أيامهم حتى كان اجتماعهم على المهدي[6] ولم تكن قبيلة مصمودة لتستغل ما وهبها

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق، ص170.

[2] ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 275.

[3] ابن خلدون، نفسه، ج 6، ص 427، 428، 460 ؛ - بوزياني، القبائل ، ص ص 182-189.

[4] ابن خلدون، نفسه، ج 6، ص 300.

[5] ابن خلدون، نفسه، ج 6، ص 299 ؛ ابن منصور، قبائل المغرب، ج1. ص 321-328 ؛ بوزياني، القبائل، ص 189.

[6] السلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص 130.

الله من كثرة العدد وشدة البأس وخصب الموطن ومناعة الموقع لولا أنّ قبض الله لها من أبنائها[1] محمد بن تومرت[2]

أ- ابن تومرت ومسألة العقيدة التومرتية.

1-محمد ابن تومرت:

اختلف الكثير من المؤرّخين في تحديد نسب ابن تومرت. وأورد الكثير منهم أنّ نسبه عربيً صرفًا ومن أهل بيت الرسول (ص) عن طريق ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب[3] في حين أكد بعض المؤرّخين أنّ ابن تومرت ينتسب للبربر من قبيلة مصمودة[4]

---

[1] الميلي، المرجع السابق، ج 3، ص 740.

[2] هو محمد بن عبد الله بن تامصال بن حمزة بن عيسى الهرغي المصمودي؛ أنظر: عباس الجراري، الموحدون ثورة سياسية ومذهبية، مجلة المناهل، العدد الأول، السنّة الأولى، نوفمبر 1974، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، المغرب، ص 89. ولد ابن تومرت أواخر القرن الخامس هجري حوالي سنة 485هـ؛انظر بن خلكان.المصدر السابق.ج5.ص53. بينما حددها ابن القنفذ بسنة 471 هـ، أنظر: ابن القنفذ،ابو العباس احمد بن الحسين، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفرو-عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1388هـ/1968، ص 99، وتم تحديده باواخر القرن الخامس الهجري حوالي سنة 471هـ وقيل 484هـ وقيل 491هـ؛أنظر: الميلي، المرجع السابق، ج3، ص 829-832،، أمّا تاريخ وفاته فحد بتاريخ 524 هـ. أنظر:أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 42؛ الميلي، المرجع السابق، ج 3، ص 832؛ عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1403 هـ-1973م، ص 23، وكان لتضارب تواريخ ميلاد ووفاة ابن تومرت أيضًا تضارب في عدد السنوات التي عاشها فنجد ابن القطان يحددها بخمسين سنة. أنظر: ابن القطان،ابي محمد حسن بن علي بن محمد المراكشي. نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ص 74، وهناك من يحددها بواحد وخمسين سنة. أنظر: مجهول، مفاخر، ص 112؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 298، وهناك من حددها بخمسة وخمسين سنة. أنظر: النويري، المصدر السابق، ج 22، ص 195.

[3] ابن القطان، المصدر السابق، ص 88-87؛- المراكشي، المصدر السابق، ص 183؛ابن خلكان، المصدر السابق، ص 45، ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 172؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 71؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 107.

[4] ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 461 ؛ عقيلة غناي، سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة بنغاري، ط1.ليبيا،1990. ص 36.

وتحديدا من أحد بطونها هرغة[1] في حين وقع اجتهاد بعض المؤرّخين الآخرين على أنّ نسبه هو نسب مختلط بين العرب والبربر[2]، وتبدو أنّ مسألة انتساب ابن تومرت للعرب لا تغدو كونها ادعاء لتبرير مهدويته[3] وعلى العموم فإن ابن تومرت ترعرع في أسرة تلقبت بالأشراف[4] وهي أسرة ذات دين ونسب[5] ووصفهم ابن خلدون بأهل نسب ورباط[6] وكان ابن تومرت ذو هيبة وعظمة شديد الصمت[7]. وافر الشجاعة ولا يخاف فيها لومة لائم[8] لقب بعديد الألقاب مثل أمغار ومعناه بالعربية العالم الفقيه[9] ولم يعرف لابن تومرت زوجة ولا أولاد[10].

ويمكن القول أنّ ابن تومرت نال نصيبه الأول من العلم وحفظ القرآن بمساجد بلاده[11] ثمّ عقد العزم إلى المشرق[12] بعد أنّ نهل من علماء الأندلس[1].

---

(1) هي قبيلة ابن تومرت وهي احدى بطون مصمودة ومضاربها جنوبي السوش إلى الشرق من مدينة رودانة، أنظر: البيدق،ابي بكر بن علي الصنهاجي، اخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين.دار المنصور للطباعة.الرباط.1971، ص 33؛ عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 30.

(2) محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الافريقي (دولة الموحدين)، دار البيدق للنشر.ط1، 1998م، ص 9.

(3) معمر الهادي محمد القرقوطي، جهاد الموحدين في بلاد الأندلس (629-541 هـ/ 1146-1233م)، دار هومة للنشر والتوزيع،.ط2.الجزائر، 2012م، ص 31.

(4) المراكشي، المصدر السابق، ص 245.

(5) داوود عمر سلامة عبيدات، الموحدون في الأندلس، المغرب والأندلس (667-541 هـ/ 1144-1268م)، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2006م، ص 11.

(6) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 465.

(7) المراكشي، المصدر السابق، ص 250.

(8) ابن صاحب الصلاة،ابو محمد عبد الملك ابن ابراهيم الباجي، المن بالإمامة،تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي تازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د ط)1408هـ/ 1987م، ص 11-33 ؛- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 72-76.

(9) عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية.ط1، 1997م، ص 69.

(10) النجار،المرجع السابق، ص 23.

(11) عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 770.

(12) المراكشي، دولة الموحدين، ص 70 ؛- بوزياني، مباحث، ص 196 ؛ أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 42.

والملاحظ أنّ ابن تومرت لم يلازم شيخًا واحدًا في تعلمه بل درس على يد الكثير من العلماء منهم المبارك بن عبد الجبار[2] وأبي بكر الشاشي[3]. كما تعرف على مذاهب دينية ومدارس متنوعة كالأشاعرة والمعتزلة والشيعة وأخذ من علم الكلام[4] مما أهله أنّ يكون مجادلاً قويًا لخصومه، وبعد هذه الرحلة العلمية تبين لابن تومرت أنّ الخلافة بالمشرق في خطر، فهم راجعًا لبلاد المغرب بنية انشاء خلافة جديدة للمسلمين[5] وعند رجعوه كان ابن تومرت على درجة كبيرة من العلم وفي هذا قال ابن خلدون "وانطلق هذا الإمام راجعًا إلى المغرب بحرًا منفجرًا من العلم وشهابًا واريًا من الدين[6] بعدها سار إلى قبيلته هرغة ونزل برباط بضيعة تقع بالسوس وتعرف هذه المضارب بـ "إيجلي أنّ والرغن وكان ذلك سنة (514 هـ-1120م)[7].

2/مسألة العقيدة التومرتية:

تعتبر الدعوة التومرتية الموحدية منطلقًا لتجديد ثقافي هام تتبني مرتكزاته على التفتح على نظريات المعتزلة والأشاعرة في المجال الاعتقادي وعلى الحكمة من الفلسفة[8] لذلك فإن مسألة مذهبية ابن تومرت كثرت فيها الدراسات وتعقدت الآراء، وما يهمنا نحن في هذه الدراسة هو البناء على ما جاء على لسان ابن تومرت نفسه أو على ما بدر منه من أفعال، ومع ذلك فإن الكثير من المصادر أشارت إلى أنّ دعوة ابن تومرت قد تأثرت بآراء الكثير من الفرق والمذاهب لكن لا يمكن تصنيفها على أنها نحلة أشعرية رغم أنه يأخذ عليها الكثير خاصة تفسير الآيات المتشابهات[9] .

---

[1] محمد الصلابي، صفحات، ص 12.

[2] الصلابي، صفحات، ص 12.

[3] النجار، المرجع السابق، ص 17.

[4] احمد العزاوي.المرجع السابق، ج 2، ص 42.

[5] الميلي، المرجع السابق، ج 6، ص 465-464.

[6] ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 465-466.

[7] المراكشي، المعجب، ص 178.

[8] عبد الحميد حاجيات، ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين، مجلة كلية الآداب،الجزائر. العدد الأول، نوفمبر، 2000م، ص 104.

[9] أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 47؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 466.

وفي كل الأحوال لا يمكن تصنيف مذهبه على أنه اعتزالي رغم توافقه مع هذه النحلة في مسألة أراء المعتزلة حول صفات الله المتمثلة على الخصوص في نظرية التوحيد وإنكار كلّ ما يشعر فكرة التجسيم[1].

كما أننا لا يمكن أن نصنف مذهبه كمذهب سني رغم توافقه مع الكثير من مسائله كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]. بل هو مزيج مضطرب من أغلب الفرق والمذاهب الإسلامية[3]. والملاحظ أنّ ابن تومرت استخدم الحيلة والمكر والذكاء من أجل الوصول إلى إشباع طموحه دون مراعاة تطبيقها مع الشرع ولا حتى المنطق حيث قال الإمام ابن القيم "وأما مهدي المغاربة محمد ابن تومرت فإنه رجل كذاب ظالم متغلب بالباطل وكان شرًا على الملة من الحجاج بكثير..."[4] .ووصفه آخرون بالشعوذة والاحتيال[5] في حين رأى المراكشي أنّ ابن تومرت كان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل إلّا اثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها[6] .

وأمام هذا التعقيد فإن الدراسات الحديثة سعت جاهدة في هذه العقيدة التومرتية الحادثة ببلاد المغرب من خلال سعيها لتقريب ذلك التناقض الرهيب في هذه العقيدة مع الأخذ بعين الاعتبار المحيط الّذي عاش فيه ابن تومرت وتلك الأهداف السّياسيّة الممزوجة بالنزعة الدينية والّتي كانت واضحة معالمها في توجهات ابن تومرت من خلال اصراره على اسقاط دولة المرابطين وإنشاء خلافة جديدة مراهنًا على عامل إثارة العصبيات القبلية النائمة أو الناغمة على السياسة المرابطية فضلا عن السجالات الفكرية الّتي كان على دراية كبيرة بها فكانت حركة ابن

---

(1) عبد الله علي علام، الدعوة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف.القاهرة، 1981م، ص ص 143-161.

(2) الصلابي، صحفات، ص ص 63-64.

(3) رأى المؤرّخ عباس الجراري أنّ ابن تومرت باعتماده على مبدا العصمة والإمامة قد اختلف مع الغزالي والأشاعرة وسائر أهل السنّة الّذين يرفضون ميعهم هذا المبدا، وقربه في الكثير من كتاباته من الظاهرية؛ أنظر: عباس الجراري، المرجع السابق، ص ص 103/ 108/ 109، في حين يرأى المؤرّخ عبد الرحمن الجيلالي أنّ دستور الدعوة الموحدية هو الكتاب والسنّة وأنه لا مذهب لها؛ أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص 31.

(4) ابن القيم الجوزية،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، المنار المثيق في الصحيح والضعيف، تح: بن عبد الله الشمالي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ص ص 153-154.

(5) ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 172.

(6) المراكشي، المعجب، ص 188.

تومرت قد بدأت كحزب سياسي أو تنظيم ثوري يدفعه الطمع في السيطرة والحكم إلى النقمة على الأوضاع والتخطيط لمحاربتها وتقويضها[1].

ومن خلال دراستنا هذه رأينا أنّ عقيدة ابن تومرت هي أقرب للنحلة الشيعية من كلّ المذاهب الأخرى ومن قرائن هذا لجوء ابن تومرت لاعتماد مبدأ الشيعة المتصل بالمهدوية[2] والعصمة[3] فضلاً عن الإمامة[4] .والملاحظ ان عقيدة ابن تومرت اتفقت مع الشيعة في العديد من النقاط الاخرى[5] منها اعتبار الإمامة من مسائل العقيدة لا من مسائل الفروع وهي ركن الدين، كما اتفق مع الشيعة في مسألة أنّ الدين لا تستقيم قواعده ولا أحكامه إلّا بوجود الإمامة فضلاً على الاتفاق بوجوب إقامة الإمامة مع وجود عامل طاعة الإمام والإمتثال له والاقتداء به.

---

(1) عباس الجراري، المرجع السابق، ص 89.

(2) كان الشيعة أسبق الفرق إلى التعلق بهذه العقيدة، المهداوية، والعمل بها؛ أنظر: عز الدين ميدون، ندرومة مدينة عبد المؤمن،، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.ط.1.2011،ج2. ص 5 ؛ واستغل ابن تومرت الظروف التي كانت تعيشها بلاد المغرب تلك الفترة من انتشار للفساد وحمل المرابطين ذلك، فبدأ يبشر الناس بخروج المهدي المنتظر ليخلصهم وأوجب اعتقاد هذا والتدين به ما قامت الدنيا؛ أنظر: ابن تومرت.محمد ابن عبد الله بن وجليد: أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق: عمار طالبي، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص 303، وهكذا ادعي ابن تومرت أنه المهدي الّذي وعد الرسول (ص) بخروجه في آخر الزمان سنة 515 هـ أنظر: ابن القطان، المصدرالسابق، ص 85.

(3) فالإمام في نظر ابن تومرت معصوم عن الخطأ لأنه لو كان يجوز له الخطأ لانعدم القضاء على الأخطاء وهو معصوم عن البدع والأثام والظلم، أنظر: أكنوش، المرجع السابق، ص 78 . ويؤكد ابن تومرت أنّ جمع شمل الأمة لا يستقيم إلّا باستناد الأمور للإمام المعصوم أنظر: ابن تومرت، المصدر السابق، ص 252 . وقد اعلن ابن تومرت عن عصمته ومهداويته من خلال خطبة مقتضبة ذكرها مؤرّخ الموحدين ابن القطان في كتابه نظم الجمان أنظر: أكنوش، المرجع السابق، ص 79 .وأعلن فيها أنّ كلّ صفات المهدي المعصوم هي في شخصه وهو ما يبدو أنّ المخاطبون فهموه فسارعوا إلى مبايعته على أنه الإمام المعصوم وشرع في تقليد الرسول (ص) وكان يختم رسائله بكلمة والسلام على من اتبع الهدى وادعى انشاء أمة سماها أمة الموحدين، كما ادعى الخوارق والكرامات كإثبات المعجزة من معجزات من سبق من الرسل، انظر: أكنوش، المرجع السابق، ص 80.

(4) احتلت مسألة لإمامة أهمّية عقدية كبيرة عند الشيعة، وقد أعطاها ابن تومرت نفس الاهتمام ورأى أنها فرض على الجميع وهي عماد الدين والطاعة لها في كلّ ما يصدر من قول أو فعل فرض على الجميع وكل من يرفض الإيمان بها هو من الكفار والملحدين، انظر: محمد ابن تومرت، المصدر السابق، ص 253؛ أكنوش، المرجع السابق، ص 78.

(5) حمودي ولد حمادي، مقال مسألة الإمامة عند مهدي الموحدين، ابن تومرت، مجلة الدراسات، ديسمبر، 2006م، ص ص 188-189.

والملاحظ أن الكثير من المصادر والمؤرّخين مالوا إلى الطرح القائل بقرب العقيدة التومرتية للنحلة الشيعية مع اتخاذ التقية لذلك وفي هذا السياق يقول صاحب المعجب "كان يبطن شيئًا من التشيع غير أنه لم يظهر منه إلى العامّة شيء"[1] ولنا نص آخر زودنا به ألفرد بال يقول فيه "ومذهب المهدي، وقد بلغ هذا المدى، يعد مذهبًا شيعيًا حقًا، وهكذا فهمه أتباع ابن تومرت إلى حد أنه ولّد أسطورة شعبية مفادها أنّ ابن تومرت هو الوريث المستحق للمعارف المستورة الّتي أورثها النبي نفسه لعلي ابن أبي طالب –أول الأئمة عند الشيعة، والمنسوب إليه الجفر.

والجدير بالذكر هنا ان علم الجفر انتقل من علي إلى جعفر الصادق ثمّ الإمام الغزالي وعنه أخذه ابن تومرت مهدي الموحدين"[2]، وأضاف المؤرّخ عباس الجراري قوله "واعتمد على مبادئ الشيعة المتصلة بالمهدوية والعصمة واستغل المهدي هذه المسألة حين أدار مذهبه في الجانب السياسي على هذه المبادئ"[3].

وفي نفس السياق هنا فقرة أوردها ابن خلدون يقر فيها بتتبع ابن تومرت تعاليم الشيعة الأساسية وذلك بقوله "كان من رأيه القول بعصمة الإمام على رأي الإمامية من الشيعة"[4] وهو ما أكده ابن تومرت نفسه بقوله "أنه الإمام المهدي المنتظر الّذي يملأ الأرض عدلاً وقسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا وأظهر دعوته إلى بيعته"[5] وقال أيضًا في كتابه اعز مايطلب "...ولا يكون الإمام إلّا معصومًا"[6] وهذا ما يؤكد أنّ مجيء ابن تومرت لبلاد المغرب بدعوة بصبغة شيعية[7]، وهكذا فإن ابن تومرت فصّل علمه وعمله بمقدار غايته السّياسيّة[8]، ويبدو أنّ ابن

---

(1) المراكشي، المعجب، ص 162.

(2) ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.ط2.ص 268.

(3) عباس الجراري، المرجع السابق، ص 90.

(4) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 302.

(5) ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 176.

(6) ابن تومرت، المصدر السابق، ص 229.

(7) عبد الرحمن الجيلالي.المرجع السابق، ج 2، ص 52.

(8) الميلي.المرجع السابق، ص 831.

تومرت كان يدرك جيدًا أنّ مشروعه المبني على اسقاط الحكم القائم وتأسيس خلافة اسلامية جديدة، لن تستقيم إلّا بوجود عصبية قبلية تسند دعوته الدينية والسّياسيّة وأثبتت الأحداث أنّ رهان ابن تومرت كان على أبناء قبيلته مصمودة.

ب- دور قبيلة مصمودة في نشر المذهب التومرتي:

1- انضمام قبيلة مصمودة للدعوة التومرتية:

تشير المصادر التاريخيّة الى أنّ مؤسس الدولة الموحدية محمد ابن تومرت منحدر من قبيلة هرغة .وهي إحدى بطون قبيلة مصمودة[1] .وقد عرفت هذه القبيلة بشدة البأس وقوة الشكيمة مع عصبية مستحكمة[2]. ووصفهم ابن حوقل بالقبيلة الّتي يغلب عليها الجفاء والغلظة في العشرة وقلة رقة الطبع[3] ويبدو أنّ قبيلة مصمودة كانت جاهزة لبعث عصبيتها كملوك جدد لبلاد المغرب بعد أنّ غذت الدولة المرابطية عصبيتها بعد بناؤهم مدينة مراكش التي حاصرتهم في جبالهم سياسيًا وبشريًا مما أفقدهم مياه وأخشاب المنطقة الّتي أصبحت مراكش تستفاد منها[4] وفي المقابل فإن قبيلة مصمودة استفادة بخبرة عسكرية عالية وذلك لما كسبته من خبرة في القتال في العهد المرابطي، وهذا ما عكس قوة قبيلة مصمودة وفعاليتها في نشر المذهب التومرتي، وكانت نواة جيشه[5] مما يفسر استعمال ابن تومرت لكل الأساليب لاستمالتهم مثل استغلال نقطة كراهية المصامدة للمرابطين بعد التهميش الّذي طالهم بل بلغ الأمر حد إذلالهم[6] ورفع السيف في وجه بطون المصامدة المتراخية عن نصرته مثل هزرجة وهكسورة سنة 517 هـ/1123م[7]. وهو ما أشار إليه مؤرّخ الدولة الموحدية ابن القطان بسرد رواية

---

(1) البيدق، المصدر السابق، ص 92 ؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 275.

(2) عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 37.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 90.

(4) أكنوش، المرجع السابق، ص 74.

(5) ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 177.

(6) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 265.

(7) ابن خلدون، نفسه، ج 6، ص 265.

استضافتهم للمهدي بمدينتهم، وكيف كان ابن تومرت في حلقاته يعضّ الناس[1] مما أفقد الثقة بينه وبين قبيلة هزميرة الّتي كانت تحضر حلقاته وأفرادها مسلحون، فحاك المهدي لهم مؤامرة بغدرهم بعد أنّ وعظهم بوجوب ترك السلاح في حضرته وقتل 15 ألف رجل منهم في ليلة واحدة[2] ومارس سياسة التمييز أربعين يومًا أفضت إلى قتل خمسة قبائل بأكملها[3].

وهكذا ناصرت بطون مصمودة دعوة ابن تومرت وبدأت بالانضمام لها بشكل تدريجي بداية من قبيلة كدميوة وكنفيسة وتنملل وهنتاتة[4] فضلاً عن استعمال عصبية قبيلته هرغة وهكذا نجحت قبيلة مصمودة بتوفير 40 ألف راجل وفارس قبل وفاة ابن تومرت[5].

2- دور قبيلة مصمودة في نشر المذهب التومرتي:

كانت قبيلة مصمودة هي حجر الأساس للمشروع الكبير لابن تومرت وهي عصبيته الغالبة، لذا فلا يمكن الاستغراب من دفاع هذه القبيلة الشرس على الدعوة الموحدية[6] وأفضل قرينة على ذلك أنّ ابن تومرت كانت أول أعماله عند رجوعه من رحلته إلى المشرق هو استغلال عصبيتها بنزوله تحديدًا بين بطون قبيلة مصمودة.

والجدير بالاشارة هنا ان ابن تومرت لم يعلن مهدويته إلّا بعد أنّ استوثق اعيان قبيلة مصمودة وذالك بعد إقناعهم بأفكاره[7] وكان هذا بفضل فطنتة وأسلوب خطابه الّذي استمال به كلّ بطون المصامدة واستخدمها من خلال منهجه القائم على التمييز بين القبائل، فلا تسامح مع غير الموالين له حتى يدخلون بيت الطاعة، وبهذا استطاع تنظيمها وتوظيفها لدعوته ضد

---

(1) ابن القطان، المصدر السابق، ص 139.

(2) محمد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع، جذور للنشر.ط1، 2006م، ص 18.

(3) البيدق، المصدر السابق، ص 61؛ المغراوي، نفسه، ص 20.

(4) البيدق، نفسه، ص 68.

(5) ابن خلدون.العبر، ج 6، ص 269.

(6) النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 155 ؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 276.

(7) مؤلف مجهول، الحلل، ص 108.

التحركات المرابطية[1] ووضع لهم فقها سياسيا جديدا على فكرة أفضلية قبلية مصمودة عن باقي القبائل والّتي أصبحت تبرر الكثير من سلكوهم اقتداءًا بقول المهدي في هذا السياق "... أنّ أهل الجماعة وصبيانهم عبيدهم كلّ من في الدينا"[2]. وغرس فيهم مبدا التشيع لعصمة الإمام، ويبدو أنه قد نجح في ذلك بل قتلوا كلّ من أدبر عن هذه العقيدة حتى لو كان هذا الشخص من مقربيه مثل ما حدث للفقيه الافريقي رغم أنه عضو من أهل العشرة[3] وهم الأوائل الّذين هاجروا معه وسماهم بـ (الجماعة): وشكل مجموعة الخمسين وهي الطبقة الثانية وتتكون من أعيان بطون قبيلة مصمودة ولا ينتمون لقبيلة واحدة[4] وسماهم المؤمنين[5] فضلاً عن طبقات أخرى مثل أهل الدار والطلبة والحُفاظ[6].

وهكذا رتب ابن تومرت مكانة بطون قبائل مصمودة في جهاز السلطة الموحدية ووضع قبيلته هرغة في المرتبة الأولى[7] على اعتبار قول ابن خلدون أنّ "الرياسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم"[8]. وهكذا فإنه لم يبق نفر من قبائل مصمودة إلّا وهاجر إليه[9] وبعد أنّ اصدر ابن تومرت كتابه الشهير "التوحيد" بلسان بربري زاد انخراطهم في طاعته[10].

---

(1) محمد زيبر، المغرب في العصر الوسيط، الدولة المدينة، الاقتصاد، تح: محمد المغراوي، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1420 هـ-1999م، ص 128.

(2) البيدق، المصدر السابق، ص 81.

(3) ابن القطان، المصدر السابق، ص ص 141/125؛- احمد العزاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 48.

(4) ابن القطان، نفسه، ص ص 128/124 ؛- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 298.

(5) المراكشي، المعجب، ص 133.

(6) ابن القطان، المصدر السابق، ص 82 ؛- احمد العزاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 49.

(7) الميلي، المرجع السابق، ج 3، ص 838 ؛-احمد العزاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 50.

(8) ابن خلدون، المقدمة، ص 141.

(9) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 197 ؛- ابن القطان، المصدر السابق، ص 131 ؛- ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 177.

(10) المراكشي، المعجب، ص 254؛- ابن القطان، نفسه، ص 129.

والملاحظ هنا أنّ ابن تومرت قد أثر بدعوته الدينية على المصامدة وأصبح بذلك يحضى بمكانة مرموقة وأصبحت طاعته وتعظيمه واجب إلى درجة التقديس[1] واتبعوه بنية صادقة بعد إدعائه المهدوية، وقد بالغ المصامدة في طاعته إلى حد لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو ابنه لفعل ذلك على حد قول صاحب كتاب المعجب[2]. فضلا عن عذوبة وفصاحة لغته العربية والبربرية حتى اصبح المصامدة يتبركون به[3]وكل هذا سهل على ابن تومرت إضافة عامل إضافي لإقناع بني عصبته بمشروعه دون معارضة وهو استعماله المكائد والدجل بحجة أنه المعصوم وكان كلما أدبر الناس عليه إلّا وبدد ذلك بمكره[4].

وهكذا بدأ ابن تومرت حروبه من أجل تحقيق أهدافه بإخضاع القبائل الجبلية وسماها عملية التمييز[5] ويبدو أنّ ابن تومرت كان على دراية كبيرة بقوة مصمودة وأراد الاستغلال الأمثل لقوتهم عكس ما فعل المرابطون قبله[6] فأصبح واضحًا أنّ استمرار الدعوة التومرتية مقرون بصلابة هذه القبيلة، وما أنّ دب الضعف فيها إلّا وظهرت بوادر سقوط أعظم دول بلاد المغرب خلال العصر الوسيط والقصد هنا الدولة الموحدية، وهنا يتجلى أنّ قوة هذه الدولة من قوة مصمودة وبسيفها انتشر المذهب التومرتي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ ارتباط حلف قبلية مصمودة بالعصبية الدينية الّتي تبناها الموحدون، كان كبيرًا على اعتبار أنّ هذه العقيدة المذهبية كانت تشكل عامل تضامن حول

---

(1) البيدق، المصدر السابق، ص ص 31-32؛ - ابن القطان، نفسه، ص 74.

(2) المراكشي، المعجب، ص 259.

(3) الميلي، المرجع السابق، ص 831.

(4) ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 181-182 ح - عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص 29.

(5) هي عملية نفذها فلول أتباع ابن تومرت بعنف شديد ضد كلّ القبائل والأشخاص المشككين في عصمته، أنظر: احمد العزاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 50، ومن ذلك ما حدث من إبادة لقبلية هزميرة رغم أنها إحدى بطون مصمودة أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق. ج 8، ص ص 296-297.

(6) ظل اهتمام المرابطين بالمصامدة جانبي واكتفوا بعدم التصادم معها وقرينة ذلك وصية يوسف ابن تاشفين لولي عهده، أنظر، ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 225.

مشروع ابن تومرت السياسي، والحقيقة أنّ أسباب الوهن الّذي وصلت إليه العصبية المصمودية عديدة منها: ظهور عصبية أخرى منافسة وهي عصبية قبلية كومية والّتي كانت لها الرياسة واستأثروا بالملك، مما أدى إلى تراجع نفوذ قبلية مصمودة، فأدى هذا إلى بروز خلل في الحياة الاجتماعية لها خاصة بعد شعورهم أنهم أصبحوا مجرد أداة في يد الخلفاء الكوميين من اجل بسط سيطرتهم على البلاد[1] فضلاً عن حياة البذخ الّتي أصبح يعيشوها مشائخ قبيلة مصمودة[2] وهذا ما أذهب شدة البأس الّذي عرفت به قبيلة مصمودة[3] مما أدى إلى تفكك كبير للحلف القبلي الّذي تقوده مصمودة مما أدى إلى استغلال بعض بطونها مثل: دكالة، وهيلانة، وحاحة وأصبحت تسير أمرها باستقلالية وتمركزوا غرب مدينة مراكش[4].

أمّا القبائل السبع الأخرى وهي هرغة صاحبة عصبة الدعوة التومرتية، وتنملل وهنتاتة وجنفيسة وهزرجة وجدميو وريكة .والّتي كانت صاحبة الملك في الدولة الموحدية، وتتمتع بأعلى المناصب والنفوذ، أضحوا في عداد الرعايا العاديين للدولة[5] وهكذا ادبرت الحياة على قبيلة مصمودة صاحبة العصبة الغالبة للدولة الموحدية[6] وأصبحت القبائل ضدها بعدما كانت تستخدمها لمصلحتها الخاصة[7].

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 178.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 440.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص 175.

(4) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 354.

(5) ابن خلدون، نفسه، ج 6، ص 266.

(6) ابن منصور، قبائل المغرب، ج 1، ص ص 328/321 ؛- بوزياني، القبائل، ص 189.

(7) روجي لي تورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر، تر: امين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1982م، ص 123.

3-دور قبيلة كومية في نشر المذهب الشيعي:

أ- عبد المؤمن بن علي وتوليته خلافة الموحدين:

1- عبد المؤمن بن علي (487هـ/558هـ):

هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن مروان من نسل أحد بيوتات كومية وأشرافها[1] ولد في قرية صغيرة تسمى تاجرا[2] واختلف المؤرّخون حول تاريخ مولده[3] عكس ما اتفقوا على تاريخ وفاته المحدد بسنة 558 هـ[4] والاتفاق على أنّ وفاته كان بعمر ثلاثة وستون سنة[5] أو أربعة وستون سنة[6] وبالتالي يكون تاريخ ميلاده بسنة 494 هـ أو 495هـ[7] أمّا مسألة نسبه فبقيت أيضًا تثير الجدل بين النسب العربي فيربطونه بالرسول (ص) في مضر بن نزار وهو ما ذهب إليه الخطباء على المنابر[8] وفريق آخر يؤكد أنّ نسبه إلى البربر دون أهمّال اتصاله بمضر بن نزار[9]، واكتفى رأي ثالث بنسبته إلى البربر فقط[10].

ونشأ عبد المؤمن في أسرة فقيرة[11] وكان والده علي بن مروان رجلاً حكيمًا[12] أمّا مهنته فتعددت الأراء في تحديدها فيرى ابن أبي دينار على أنّ والده كان فخارًا حيث قال: "كان ابوه

---

(1) المراكشي، المعجب، ص 265 ؛- صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 5.

(2) تقع على بعد اميال من مرسى هنين، تحديد المضارب قبيلة بن عابد شمال شرق مدينة ندرومة ؛أنظر: البيدق، المصدر السابق، ص 16؛ صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 5.

(3) فعند ابن أبي الزرع فحدده بسنة 474 هـ أو 495 هـ، انظر: ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 266، أمّا عند المراكشي فحدده بنسبة 487هـ، أنظر: المراكشي، المعجب، ص 169، أمّا عند ابن خلكان فذكر تاريخين الأول بنسبة 500 هـ والثاني 490هـ، انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ص 404.

(4) صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 5.

(5) ابن خلكان، المصدر السابق، ص 403.

(6) ابن صاحب لصلاة، المصدر السابق، ص 115.

(7) ابن صاحب لصلاة، نفسه، ص 115 ؛ صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 6.

(8) المراكشي، المعجب، ص 265؛ صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 6.

(9) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 107 ؛ مجهول، مفاخر البربر، ص 199؛ ابن ابي الزرع، المصدر السابق، ص 183

(10) صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 6.

(11) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 35.

(12) ابن خلكان، المصدر السابق، ص 237.

فخارًا يعمل على النوافخ"[1].وهو في نفس الطرح الّذي ذهب إليه ابن العماد الحنبلي بقوله "وكان أبوه صانعًا في الفخار"[2] .اما المؤرّخ ليفي بروفنسال فركز على ثقافة والد عبد المؤمن حيث قال في هذا السياق "كان أبوه ذا دراية بالأدب"[3] أمّا امه فكانت كومية النسب من بني مجبر[4].

والجدير بالذكر ان عبد المؤمن نشأ نشأة علمية بإمتياز ودرس عند صفوة العلماء من أمثال ابن صاحب الصلاة[5] وكان حماسه وتفوقه عاملاً حاسمًا أهله إلى الرحلة لطلب العلم أسوة بأقرانه من علماء المغرب في تلك الفترة وهو ما كان فعلاً، لكن القدر جمعه بلقاء مع ابن تومرت، لتبدأ حكاية جديدة غيرت كلّ طموحاته وتطلعاته لينتهي به المقام بأن يصبح خليفة أعظم دولة ببلاد المغرب الإسلامي[6].

لقد حظي عبد المؤمن بالعديد من الأقوال من طرف المحدثين والمؤرّخين. فقد وصفه ابن أبي الزرع "بكريم الأخلاق"[7] أمّا عبد الواحد المراكشي فقال في حقه أنه "كان "مؤثرًا لأهل العلم ومحبًا لهم ومحسنًا عليهم ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ولا يرضى إلّا بمعالي الأمور"[8] ووصف بالعدل ومتانة الديانة وفي نفس الوقت سفاكًا لدماء من خالفه[9] ووصف بالشجاعة والحزم[10] أمّا المؤرّخ روجي لي تورنو فقد لفت انتباهه صفاة القائد فيه فقال "لقد كان رئيسًا

---

[1] ابن أبي دينار.المصدر السابق، ص 114.

[2] ابن العماد.عبد الحي بن احمدبن محمد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ج4.ص 183.

[3] ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 274؛ صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 8/6.

[4] البيدق، المصدر السابق، ص 17.

[5] صالح بن قربة.المرجع السابق، ص 8.

[6] ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 126.

[7] ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص ص 203-204.

[8] المراكشي، المعجب، ص 145.

[9] ابن العماد، المصدر السابق، ج 4، ص 266.

[10] الزركلي،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي. الأعلام،دار العلم للملايين.ط15. 2002.ص 170.

حربيًا عظيمًا، وإداريًا جيدًا"[1] أمّا عبد الرحمن الجيلالي فقد بالغ في وصفه بقوله "أن مؤرّخو أوروبا قالوا لا يمكن مقارنته بأحد من الملوك غير شارلومان"[2].

2- تولية عبد المؤمن الخلافة ومواجهته للمعارضة المصمودية:

كان عبد المؤمن بالنسبة للمهدي قدرا محتوما[3] وكانت البداية بعد أنّ استلم عبد المؤمن منصب قيادة الجيش بعد وفاة قائد الجيش في معركة البحيرة(524هـ/1130م) الّتي هزت أركان الدعوة الموحدية[4] بوصية من ابن تومرت حيث قال "إن عاش عبد المؤمن بقي الأمر وظهر"[5] وقال "ما مات أحد لأمر قائم وهو الّذي يفتح البلاد"[6] وقال للقبيلة صاحبة العصبة المصامدة "أنتم المؤمنون وهذا أميركم"[7] وكان لهذه التزكية العامل الحاسم في خلافة عبد المؤمن على المصامدة رغم كونه غريبًا عنهم[8] وربما كان بسبب مبايعة أعيان المصامدة لعبد المؤمن كخليفة عليهم كي يجعلوا حدًا لتطلع زعماء القبائل المصمودية للخلافة، خاصة أنّ عبد المؤمن من قبيلة كومية سيقضي على هذا الخلاف الّذي كان يهدد كيان الدولة بسبب الزعامّة[9] وتمت مبايعته سنة 524هـ-1130م[10].

وهكذ غلبت العصبية الدينية على العصبية القبلية ولما استقام الأمر لعبد المؤمن دعا المصامدة بالأخذ بعلم التوحيد مزودًا إياهم بتأليف ابن تومرت خاصة كتاب "أعز ما يطلب"

---

(1) روجي لي تورنو، المرجع السابق، ص 58.

(2) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 36.

(3) االسلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 83-84؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج 3، ص 238 وكذلك الجزء الخامس منه، ص 48.

(4) صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 31 ؛ البيدق، المصدر السابق، ص 39.

(5) ابن القطان.المصدر السابق، ص 165 ؛ المراكشي، المعجب، ص 260.

(6) ابن الأثير المصدر السابق، ج 9، ص 201.

(7) المراكشي، المعجب، ص 260.

(8) المراكشي، نفسه، ص 260.

(9) الصلابي، صفحات، ص 96.

(10) يذكر ابن خلدون أنّ هناك بيعتان أولى بعد وطاء المهدي وثانية بعد اتفاق المصامدة أنظر: ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 305-306؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 110.

مشددًا على التقيد به[1] وثبت اعتقادهم على نهج المهدي وأن كلّ من خرج عن نهجه المبني على هداية مهديهم وعصمته فهو عبدًا لهم[2] وحاول عبد المؤمن تجميع القبائل المصمودية الجبلية من جديد تحت سلطته في بداية عهده[3] وقاتل القبائل المصمودية غير الجبلية مثل ركراكة وحاحة وهزميرة وبعض قبائل هكسورة وفازاز[4].

والملاحظ هنا أن عبد المؤمن كان يعلم أنه دون عصبية قبلية تحميه وان اهتمامه بتقوية الدولة لن يكون إلّا بعصبية مصمودة[5] لكن يبدو أنّ الأمر لم يستقم معه وبدأت قبيلة مصمودة تثير متاعبه والبداية كانت بعجزه حتى الأخذ بالقصاص من قاتل أخيه[6].

لكن بالمقابل كانت المعارضة السّياسيّة لخلافة عبد المؤمن تتحرك كلما واتتها الظروف، والبداية كانت عندما ثار عليه أبو قصبة بنى زلدوى سنة 547 هـ-153م لكن تمكن عبد المؤمن من هزمه[7] ثمّ سار على نهجه يصلاسن بن المعز قريب المهدي ولقي نفس مصير سابقه وقتل سنة 547/ 1153م[8] ولم يكتف المصامدة بهذا بل انتهجت قبيلة هرغة وتتملل سبيل المعارضة ورفضت نهجه القائم على سياسة ولاية العهد واعتبرت ذلك تهميشا واضحا لشيوخ مصمودة[9] وزاد شدة معارضة مصمودة لملك عبد المؤمن عند دخول أخوي المهدي

---

[1] عباس الجراري، المرجع السابق، ص 106.

[2] ابن عبد الملك.محمد بن محمدبن عبد الملك الانصاري، الّذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: محمد بن شريفة، واحسان عباس، دار الثقافة،بيروت 2012.ط1 ج 1، ص 566؛-المغراوي. المرجع السابق.ص 22

[3] احمد العزاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 51.

[4] البيدق، المصدر السابق، ص 69 ؛ احمد العزاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 59.

[5] صالح بن قربة.المرجع السابق، ص 59.

[6] عند مجيء ابراهيم أخو عبد المؤمن ودخوله في التوحيد حدث خلاف بينه وبين رجل مصمودي ابن أحد العشرة من أصحاب المهدي، انتهى بمقتل أخ عبد المؤمن، فأمر عبد المؤمن بقتل القاتل فذكره أعيان مصمودة بأن أهل الجماعة وصبيانهم عبيدهم كلّ من في الدنيا أنظر: البيدق، المصدر السابق، ص 55.

[7] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 43؛ البيدق، المصدر السابق، ص 136.

[8] االسلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 122؛ البيدق، نفسه، ص 138.

[9] البيدق، نفسه، ص 148.

(عبد العزيز وعيسى) خط معارضته وبقيا يحيكان المؤمرات إلى غاية تفطن عبد المؤمن ليكون مصيرهما النفي إلى فاس[1].

ويبدو أنّ عبد المؤمن لم ينتظر كثيرًا وبدأ يحاول التخلص من قبائل مصمودة بخلق مهام جديدة لهم في الجيش الموحدي في الأندلس[2] ثمّ أنشأ تشكيلات عسكرية متكون من بطون قبيلة مصمودة مهامها حماية المدن في الأندلس مثل قرطبة وغرناطة[3] بل وصل الأمر إلى درجة ترحيل بطون مصمودة للأندلس مثلما كان الحال بالنسبة لقبيلة تنملل حين رحَّلها إلى مدينة لورقة الأندلسية تحت غطاء حماية المدينة[4] واهتدى عبد المؤمن إلى فكرة بعيدة المدى الهدف منها عزل المصامدة كليًا من الملك وذلك بأخذ ثلاثة آلاف طفل ورباهم في رباط على نفقته الخاصة فلما بلغوا ذروة العلوم قدّمهم على مشائخ مصمودة وكان من بين هؤلاء العلماء ثلاثة عشر ابن له جعلهم حضوته بعدما تضاهر بالامتناع حتى الح مشائخ المصامدة عليه سنة 549هـ[5] وسارع إلى تغيير نظام الحكم من شوري إلى وراثي بأن عيّن أبنائه قادة للجيش ثمّ ولاة على الولايات الموحدية[6] وتلقب بأمير المؤمنين[7] واستمعل عبد المؤمن الحيلة لكسب العامّة[8].

---

[1] المراكشي، المعجب، ص 234 ؛ البيدق، نفسه، ص 141.

[2] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 128؛ المراكشي، نفسه، ص 293

[3] ابن صاحب الصلاة، نفسه، ص 137.

[4] البيدق، المصدر السابق، ص 197.

[5] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 835 ؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 408.

[6] ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 317.

[7] السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 98.

[8] كانت الحادثة بعد البيعة الأولى، قام بترويقي شبل أسد ودرب عصفور على نطق كلمة "النصر للخليفة عبد المؤمن أمير المؤمنين..." وعند اجتماعه بالناس وقام العصفور بنطق الجملة وركن الأسد أمام عبد المؤمن فذهل الجميع وبايعوه أنظر: االسلاوي، نفسه، ج 2، ص 92؛ ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 184.

4 - دور قبيلة كومية في نشر المذهب الشيعي

1- قبيلة كومية:

هي قبلية بترية كانت تعرف قديمًا باسم صطفورة[1]، وكومية كما اجتمعت عليه أغلب المصادر هي قبيلة عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية[2] وتميزت هذه القبيلة بكثرة العدد وشدة البأس خاصة في عهد عبد المؤمن فهي عصبته، ولما كانت الدولة الموحدية تعتمد عليها بشكل كامل فقد أهلكت أبناءها واكلتهم الأقطار الواسعة، فانقرضوا ومن بقي منهم صنفهم ابن خلدون ضمن القبائل الغارمة الّتي اذلتهم زناتة[3].

ورغم أنّ هذه القبيلة كانت قبل ظهور الموحدين قبيلة كثيرة العدد ولكنها لم ترق إلى مرتبة الرئاسة من قبل، وكان ابناؤها يعملون في الفلاحة والتجارة[4] وعرفت قبلية كومية بسياسة التحالفات منها تحالفاتها مع قبيلة ولهاصة وقبيلة ومانو وقبيلة مغراوة وقبيلة بنو توجين[5] أمّا ابن الزرع فقد رتبها في المرتبة الثانية في جهاز سلطة الدولة الموحدية بعد قبيلة ابن تومرت "هرغة"[6] وذلك بعد إدماجها من طرف عبد المؤمن في الطبقات المقربة من البلاط ويجعلها القبيلة رقم اثنين ضمن الطبقة الأولى وتحجج بأنها قبيلة دخلت في الدعوة الموحدية قبل مراكش وهذه مزّية تحسب لها[7].

---

(1) بوزياني، القبائل، ص 92.

(2)- احمد العزاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 57 ؛ بوزياني، نفسه، ص 92.

(3) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص ص 261/257؛ بوزياني، نفسه، ص 92.

(4) بوزياني، نفسه، ص 93.

(5) عبد الرحمن الجيلالي.المرجع السابق، ج2، ص ص 859 / 860/ 861.

(6) الميلي، المرجع السابق، ج3، ص 838.

(7) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص ص 560-561.

والجدير بالذكر ان عبد المؤمن ومن وراءه قبيلته كومية قد تحالف مع العرب وراضاهم[1] في محاولة منه لخلق توازن بين قبيلة كومية المستندة على قوة القبائل العربية وقبيلة مصمودة[2] ولأجل ذلك استدعى عبد المؤمن قبيلته كومية من مضاربها سنة 557 هـ في رغبة منه بعزل المصامدة أو التخفيف من سطوتها على عصب الدولة، وأظهر أنه يجهل سبب قدوم قبيلة كومية تسكينا لخواطر مصمودة وتهدات نفوسها، وبلغ عدد أفراد كومية أربعين الف فارس[3].

4-دور قبيلة كومية في نشر المذهب الشيعي:

إن اندماج قبيلة كومية في الدولة الموحدية أفرز تقسيم جديد حدّ من نفوذ قبيلة مصمودة، وأدخل قبائل أخرى في هرم الدولة الموحدية وأصبح ولاءها للدولة وليس لقبيلة مصمودة[4] وحافظت كومية على نهج ابن تومرت في مذهبه ودعدت إلى تغيير المنكر وحرق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة كتاب المهدي[5] وهذا ما يفسر أنّ قبيلة كومية آمنت بقداسة دعوة ابن تومرت[6].

وتعتبر مسألة تراجع عبد المؤمن عن وعده لأبي حفص المصمودي بتعيينه ولي للعهد[7] وتعيين ابنه كولي للعهد[8] بداية لعهد جديد للدولة الموحدية تحت سلطان أبناء عبد المؤمن وأصبحت كومية هي العصبية الغالبة وسار عهد يعقوب المنصور ابن عبد المؤمن على نهج والده بتقريب الطلبة على مشائخ المصامدة وقال "يا معشر الموحدون أنتم قبائل فمن نابه أمر

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق، ص 49؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 390؛ ابن خلدون، نفسه، ج 6، ص 315-316 ؛ البيدق، المصدر السابق، ص 80.

(2)- احمد العزاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 65.

(3) الميلي، المرجع السابق، ج3، ص 835.

(4) الصلابي. تاريخ دولتي الموحدين والمرابطين، ص 342-343.

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 2، ص 295؛ ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 135.

(6) عبد الله كنون، النبوغ المغربيّ في الأدب العربي،منشورات دار الكتب العلمية. ط 3.بيروت.1975، ج 1، ص 104.

(7) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 50-51.

(8) أمبرو سيو هويثي ميراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تر: عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن.الدار البيضاء.المغرب. ط 1، 2004م، ص 159.

منكم فزع إلى قبيلته، وهؤلاء الطلبة لا قبيل لهم إلّا أنا، فمهما نابهم فأنا ملجؤهم وإليَّ فزعهم وإلى ينتسبون"[1] ولما استقام الملك لقبيلة كومية أصبحت الخلافة وراثية مع التمسك بمذهب الدولة والعقيدة التومرتية وفي هذا السياق قال أحد الشعراء بعد وفاة المهدي وهو بجوار قبره حين وَفدَ على الخليفة أبي يعقوب المنصور(558هـ/580هـ)[2].

فمـــن وصـــفه أقنـــى وأجلـــى وأنـــه علاماتـــه خمـــس تبـــين لمهتـــدي
زمـــان واســـم ومكـــان ونســـبة وفعـــل لـــه فـــي عصـــمة وتأييـــد
فقـد عـاش تسـعًا مثـل قـول نبينـا فـــدلكم المهـــدي بـــالله يهتـــدي

ويظهر من خلال هذه الأبيات مدى تعلق الرعية بالمهدي وعصمته في عهد كانت لقبيلة كومية العصبية الغالبة وهذا دليل قوي على خدمة قبيلة كومية لهذا المذهب التومرتي على الأقل خلال عهد الخلفاء الأولون لقبيلة كومية، رغم أنه هناك أراء تشكك في إيمان فلول قبيلة كومية من قضية المهداوية والعصمة، فنجد صاحب كتاب المعجب يؤكد على أنّ الخليفة ابي يعقوب المنصور(558هـ/580هـ) عمل على الانسياق ظاهريًا مع مذهب ابن تومرت لإرضاء أشياخ الموحدين وحفاظًا على المرجعية المذهبية الّذي قامت على أساسها الدولة بينما لم يكن مقتنع أصلاً بعصمة المهدي[3] أمّا الوزير السراج فيذكر أنه أيام الخليفتين يوسف والمنصور أنّ يوسف جمع الناس على مذهب مالك في الفروع وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري في الأصول، وأضاف أنّ المنصور كان يتظاهر بمذهب الظاهرية وأعرض عن مذهب مالك[4].

---

[1] الميلي، المرجع السابق، ج3، ص 870.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 53.

[3] المراكشي، المعجب، ص ص 280/278.

[4] الوزير السراج، محمد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح: محمد الحبيب الهيلة، ج 2، ص ص 112-125، احمد العزاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 86.

ويمكن القول أنّ في عهد ابي يعقوب المنصور الكومي بدأ الإيمان بالعقيدة التومرتية الحادثة يتزعزع، بل وألف كتاب يلغي به كتاب المهدي[1] وكان على ما يبدو يريد محو مذهب مالك[2] بل أضاف المؤرّخ الجراري أنّ المراد بذلك محو مذهب المهدي نفسه[3] وتحول هذا من التقية إلى الجهر وذم المهدي في عهد المأمون(627هـ/630هـ) بل وأمر بإزالة اسم المهدي من السكة ومن الخطبة وإزالة اسم جميع من اتبع التوحيد وأعلن هذا في خطابه بقوله "أيها الناس لا تدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالغوي المذموم، فإنه لا معصوم إلّا الأنبياء ولا مهدي إلّا عيسى وإنا قد نبذنا أمره النحيس[4].

ورغم أنّ أحوال قبيلة كومية بقيت في البداية على دين ملوكها وفق العقيدة التومرتية إلى عهد الخليفة إدريس المأمون بن المنصور الّذي سعى إلى رفض دعائم ملكه بنزع نحلة اسلافه التومرتيين في العقائد والتشريع، بل وناضل على رفض تعاليم المهدي ولعنها، وأخذ العامّة بالرجوع إلى مذهب الإمام مالك استعطافًا على ما يبدو للرعية الناقمة عليه[5].

والجدير بالذكر أنّ الخليفة المأمون (627هـ/630هـ)لم يستطع أنّ يقضي على المذهب التومرتي كليا، كون أنّ المذهب التومرتي بني على العصبية المصمودية الّتي كانت تمثل أغلب أشياخ القبائل[6] وبلغ الأمر أكثر تعقيدا حين اصبح هناك خليفتان الأول متمسك بالشعارات

---

[1] الجراري، المرجع السابق، ص 106.

[2] ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 138.

[3] الجراري، المرجع السابق، ص 107.

[4] ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 179.

[5] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 55 ؛ ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة.ط1.2000.ج1، ص 308.

[6] احمد العزاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 94.

المهدوية مدعوم من قبيلة مصمودة وخليفة ثاني بمراكش يحارب في مذهب ابن تومرت المدعوم من قبيلة كومية[1].

وهكذا بدأ عهد انهيار عصبية مصمودة وكومية لتظهر فيما بعد عصبية غالبة ستأخذ القيادة أهمّها قبيلة بني مرين الّتي كانت تحرشاتها بدولة الموحدين ظاهرة[2] وبني عبد الواد بالمغرب الأوسط والحفصيين بإفريقية[3]

المطلب الثاني: القبائل الثائرة عن الوجود الشيعي ببلاد المغرب

1- قبيلة زناتة:

إنّ المتتبع لمسار تاريخ قبيلة زناتة قبل مجيء العبيديين لبلاد المغرب الإسلامي وتحديداً أواخر القرن 3هـ/9م، يلاحظ غياب أي إسهام لهذه القبيلة في قيام دولة العبيديين الشيعية، بل على العكس من ذلك كانت علاقاتهم تتسم بالندية والعدائية منذ بداية الدعوة الشيعية[4] وبالكلام عن الدوافع الّتي دفعت زناتة إلى إتجاه الموقف العدائي إتجاه العبيديين على مدار تواجد العبيديين ببلاد المغرب وإلى غاية خروجهم إلى مصر.

نجد أنّ الباحثين يغلبون عديد الأسباب والفرضيات منها ما إعتبره المؤرّخون بأنه راجع إلى العداء التقليدي بين جذمي البتر ممثلا في قبيلة زناتة والبرانس ممثل في قبيلة كتامة[5] خاصة بعد إنحياز أبي عبد الله الداعي إلى قبيلة كتامة[6] بينما هناك من ينسب هذا العداء إلى الجانب الإجتماعي والفوارق الموجودة في مستوى الحياة، فالبتر يمثلون البدو الرحل بما تحمله معيشتهم

---

(1) احمد العزاوي، نفسه، ج 2، ص 94.

(2) روجي لي تورنو، المرجع السابق، ص 103 ؛ ابراهيم القادري بوتشيش، مقالات في التاريخ الإسلامي خلال عصر المرابطين والموحدين، ط 1، 2007م، ص 118.

(3) القادري بوتشيش، مقالات، ص 118.

(4)- مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في المغرب الإسلامي (د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، ص180.

(5)- لقبال، دور كتامة، ص83.

(6)- طقوش، المرجع السابق، ص88.

من حياة تنقل وقسوة، بينما البرنس فهم أهل المدن والإستقرار وهذا ما أدى بزناتة أنّ تقف ضد العبيديين على الأقل نكاية في أعداءهم الكتاميين[1]، وقد استند أصحاب هذا الرأي إلى ما ذهب إليه ابن خلدون بقوله "كان العبيديون ظهراً للبرنس على زناتة فانحرفت قبائلهم عن الشيعة سائر أيامهم"[2].

وبالرجوع الى قبيلة زناتة فنجدها تعتمد في معيشتها على البداوة المبنية على الترحال والحرية وهو ما وجدته على حسب رأيهم في النحلة الخارجية، فكانت غالبية بطونها على هذا المذهب، ولأن هذا المذهب عرف عنه عداءه الشديد للشيعة، فصور الخلاف الزناتي الفاطمي على أنه يبقى في ذلك الإطار أي الصراع المذهبي بين الخوارج والشيعة[3].

وفي المقابل هناك من يرى أنّ الصراع في الأساس هو صراع نفوذ بين قبيلة زناتة والدولة العبيدية المستندة على قبائل تكن العداء لقبيلة زناتة، فزناتة والتي رات أنّ توسع العبيديين في المغرب الإسلامي ككل وفي المغرب الأوسط على الأخص هو توسع في الأساس على حساب مضاربها وأراضيها، خاصة وأن زناتة كانت مسيطرة على بلاد المغرب الأوسط، وبمجيء العبيديين وانتهاجهم لسياسة التوسع إنما هو توسع على أملاكها وسلب لسيادتها[4]، وأفضل قرينة يمكن أنّ نستشهد بها في هذا الخصوص هو قضية تأخر معارضة زناتة للعبيديين بشكل فعلي حيث كان هذا على ما يبدو بسبب ظهور دعوتهم بالمغرب الأدنى، الّذي كان ليس من اهداف قبيلة زناتة التوسعية على الأقل في تلك الفترة وأن العبيديين لم يحاولوا التعرض لمضاربها بالمغرب الأوسط لذلك لم تقم قبيلة زناتة بحمل لواء المعارضة ما دام أنها لم

---

[1]- موسى أحمد، المرجع السابق، ص210.

[2]- ابن خلدون.العبر، ج1، ص210.

[3]- سنوسي، زناتة، ص ص 157، 158 ؛ -موسى أحمد، المرجع السابق، ص211.

[4]- سنوسي، نفسه، ص158.

تستشعر الخطر منهم[1]ولم يبدأ الاحتكاك بين الطرفين إلّا بعد قيام الخلافة العبيدية وإعلان سياستها التوسعية[2].

والملاحظ هنا أن قبيلة زناتة لم تنتظر كثيراً لتعلن إنطوائها تحت راية الأمويين، حماية لنفسها، وإدراكا منها أنّ هذا ما سيحقق التوازن في القوة بينها وبين الكتاميين حلفاء العبيديين[3].

ومن النصوص وعلى قلتها الّتي أكدت إلتحاق قبيلة زناتة مبكرا بالحلف الأموي ما ذكره صاحب كتاب مفاخر البربر بقوله " وتخاطهم عبد الرحمان إلى من خافهم من زعماء قبائل البربر، يستألفهم ويحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم ممداً لمن عجز برجاله، مقويا لمن ضعف بماله، متفقداً لهم في سائر الحالات بألطافه، متعهداً بوجوه رسله وخواصه إلى أنّ تميز أكثر بوادي زناتة في حزبه وإرتسموا بطاعته"[4].

والجدير بالذكر أنه بدأت شرارة هذا العداء حين أرسل أبو عبد الله الداعي وفدا إلى سجلماسة في مهمة بخصوص سجن عبيد الله المهدي، وكان هؤلاء الرجال محملين بالأموال لكنهم لقوا مصرعهم في طبنة الواقعة على مشارف منازل قبيلة زناتة على يد جماعة من رجاله، وكان قد اكتشف هذا ابو عبد الله الداعي عن طريق رجل بقي قيد الحياة واستطاع الوصول إلى طنجة وأخبر عاملها الفاطمي يحي بن سليمان بما حصل والذي أخبر بدوره عبد الله الداعي بما حصل، ليقرر بعدها الداعي الإغارة عليهم لكن بمشاورته لمعاونيه أشاروا عليه بأنه منهمكاً بتخليص عبيد الله المهدي من الأسر وأن مضارب زناتة بعيدة عنهم وأنها ستباغتهم وتهجم على ديارهم[5] وكانت هذه الحادثة هي بداية لحروب طويلة خاضتها بطون زناتة ضد العبيديين.

---

[1]- سنوسي، المرجع السابق، ص164.

[2]- محمد بن عميرة، دور زناتة، ص175.

[3]- موسى أحمد، المرجع السابق، ص214.

[4]- مجهول، مفاخر البربر، ص129.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص198.2.

2- قبيلة مغراوة:

تعتبر قبيلة مغراوة أحد أهمّ بطون قبيلة زناتة العتيدة ولم يختلف موقفها العدائي اتجاه الدولة العبيدية عن القبيلة الأم زناتة وفسر بعض المؤرّخون هذا العداء على أساس الولاء المذهبي لهذه القبيلة إتجاه الخلافة الأموية، وفي هذا الصدد تذكر لنا الروايات التاريخيّة أنّ أمير قبيلة مغراوة الزناتية صولات ابن وزمار، هاجر مع البدايات الأولى للفتح الإسلامي إلى المدينة المنورة وأشهر إسلامه بها في حضرة الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه سنة (23-35هـ/643-655م)[1] فقدمه الخليفة على قومه ومضاربها ومن ساعتها أصبح أمير مغراوة وقومه موالياً للخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه.ولبني أمية من بعده[2].

وبالمقابل فإن العبيديين على النحلة الشيعية ومعروف عن الشيعة عداوتهم لهذا الصحابي الجليل[3]. وهذا رغم أنّ ابن الخطيب يورد لنا رواية تخالف ما ذكره ابن خلدون ويقول أنّ أمير مغراوة ليس اسمه صولات بن وزمار بل اسمه هو حرب بن حفص بن صولات بن وزمار من مغراو، وأنه أخذ أسير من طرف الفاتحين ولم يذهب مهاجراً مثلما ذكر ابن خلدون[4] أمّا الباحث غوتييه فيزودنا بنص يعتبره قرينة على ولاء قبيلة مغراوة للأمويين بقوله " جميع القبائل المغراوية كانت تعتبر نفسها من أصحاب الأمويين وهم يدينون بالولاء لهذه الفئة القرشية بالذات"[5]، وإجمالاً يمكن القول أنّ عديد المعطيات مهدت إلى مسألة العداء بين قبيلة مغراوة والدولة العبيدية، منها ما هو متعلق بصراع العصبيات بين مغراوة ذات الأصل الزناتي البتري وقبيلة صنهاجة ذات الأصل البرنسي والّتي أصبحت سيفا من سيوف العبيديين[6] فضلا على

---

(1)- ابن خلدون.العبر، ج7، ص28.

(2)- ابن خلدون، العبر، ج7، ص28.

(3)- إحسان إلهي ظهير، الشيعة والتشيع، دار الإمام المجدر للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2005، ص63.

(4)- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص123 ؛ -موسى أحمد، المرجع السابق، ص 127.

(5)- ا.ف.غوتييه ماضي شمال إفريقيا، ترجمة: هاشم حسيني، ط1، الناشر: الفرجاني، طرابلس،.ط1.1970، ص 279.

(6)- بشير رمضان التليسي، الإتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت.ط1، 2003، ص 174.

أنّ العديد من بطون قبيلة مغراوة كانوا على مذهب الخوارج الإباضية والّتي لم تدخر الدولة العبيدية جهداً للقضاء عليهم[1]، والراجح هنا أنّ السبب الثاني هو الغالب، كون أنّ صراع قبيلة مغراوة والعبيديين سبق تأسيس دولتهم، والقضية ترجع إلى يوم بعث ابوعبد الله الداعي أربعة عشر رجلا من فلول كتامة متنكرين في زي المسافرين[2] لمهمة تخليص عبيد الله المهدي الّذي كان مسجوناً بسجلماسة[3] لكن هذا الوفد قتل في طريق رجعته في مضارب منطقة الزاب الّتي كانت تحت السلطة الزناتية بقيادة محمد بن خزر المغراوي[4].

والملاحظ هنا أنّ ابا عبد الله الشيعي لم ينتقم مباشرة من قبيلة مغراوة، وهو ما يفسر الرأي القائل بأن عبد الله الداعي كان له بعد نظر بحيث أنه أجل تأديب قبيلة مغراوة كي لا يستنزف قوته وفي الوقت نفسه كي يتمكن من الإنتشار في الجزء الشرقي للمغرب الإسلامي الذي يبدو أنّ مستشاريه قد نصحوه بهذا فعمل به[5] خاصة أنه أصبح واضحا معارضة زناتة ككل ومغراوة بالأخص للسياسة التوسعية للدولة العبيدية[6].

وبعد أنّ استولى أبو عبد الله على عاصمة الأغالبة، خرج بعدها قاصداً سجلماسة لغرض اطلاق سراح عبيد الله المهدي من سجنه، لكن يبدو أنّ قبيلة مغراوة كانت تنتظر في رد الفعل من طرف ابي عبد الله الشيعي فخشت بأسه[7] وبادرت طواعية بتقديم الطاعة وطلبت الأمان، فأعطاهم ابوعبد الله الداعي ذلك[8] لكن بمجرد أنّ تم إخضاع تيهرت للعبيديين وتوجه أبو عبد الله الداعي إلى سجلماسة كرر زعيم مغراوة محاولة ضرب العبيديين حيث عمد إلى قطع طريق العودة على أبي عبد الله الشيعي متواطئا مع جماعة من تيهرت، لكن محاولتهم

---

(1)- مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية، ص181.

(2)- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 127.

(3)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص155.

(4)- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص222.

(5)- القاضي النعمان، نفسه، ص224.

(6)- محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص172.

(7)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص65.

(8)- القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص 276.

باءت بالفشل بعد إفتضاح أمرهم وإحباط مؤامرتهم[1]، وبعد هذه الحادثة أصبحت تيهرت مركزا للصراع المذهبي[2]. إذ أنه وفي عهد عبيد الله المهدي سنة 279هـ/908م، أراد محمد بن خزر المغراوي أنّ يستولي على تيهرت ويحررها من بني عبيد، وكان عاملهم عليها هو داوس ابن صولات[3]، لكن المهدي وقف له بالمرصاد، حيث بعث لهم هارون ابن يونس ففتك بمغراوة وأجلاها عن تيهرت[4]، إلّا أنّ ابن خزر المغراوي لم ييأس وأعاد الكرة مرة أخرى سنة 299هـ، للإستلاء على تيهرت، مما أجبر عاملها العبيدي على الهرب من تيهرت[5]فدخلها ابن خزر وقتل الرجال والنساء مما إستفز عبيد الله المهدي فبعث إليهم جيشا كبيراً، إستطاع أنّ يشتت به شمل قبيلة مغراوة ويتمكن من إخراجها من المدينة[6] وعاث في المدينة فسادا وأمعن في قتل الأهالي المتضامنين مع ابن خزر ودمر المدينة وحصونها[7] وولى المهدي عليهم مصالة بن حبوس المكناسي[8]، ويبدو أنّ نية عبيد الله المهدي هو ضرب قبيلة مغراوة الزناتية بمكناسة[9].

والملفت للإنتباه هو أنّ عبيد الله المهدي كان على دراية تامة بوزن كلّ قبيلة من قبائل البربر لذلك سعوا في كلّ مرة بالزج بزعماء القبائل البربرية في حروب فيما بينهم حتى يتمكنوا من قلب ميزان القوة لصالحهم وإنهاك القبائل البربرية وفي نفس الوقت حتى يتمكنوا من كسب الوقت لترتيب أولوياتهم حتى وإن اضطرهم الأمر في الكثير من الأحيان إلى تقديم تنازلات لقبيلة على حساب أخرى.

---

(1)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص155.

(2)- بوعقادة البشير، مقاومة زناتة المغرب الأوسط للمد الشيعي، المقاومة الجزائرية عبر العصور، ملتقى وطني، أيام 12/11 / ديسمبر 2012م، مطبعة الضحى، قسم التاريخ والأثار، جامعة سطيف، ص169.

(3)- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 623.

(4)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 84.

(5)- ابن عذاري، المصدر السابق،ج1، ص ص 166/165.

(6)- ابن عذاري، نفسه، ج1، ص 166.

(7)- ابن عذاري، نفسه، ج1، ص166.

(8)- ابن عذاري، نفسه، ج1، ص166.

(9)- محمد بن عميرة، دور زناتة، ص175.

وبالرجوع إلى ذلك الصراع القائم بين قبيلة مغراوة والدولة العبيدية نجد أيضا أنه غذاه ذلك الصراع المذهبي بين العبيديين الشيعة والأمويين السنّة خاصة أنّ هذه الأخيرة شجعت قبيلة مغراوة للوقوف في وجه العبيديين[1].

وهكذا بقيت مقاومة قبيلة مغراوة للعبيديين على مدار نصف قرن من الزمن[2] تعتمد على أسلوب الكر والفر تبعا لميزان القوة بينها وبين العبيديين، وأمام هكذا وضع، عمد عبيد الله المهدي إلى وضع تيهرت موضع المحمية العسكرية، تنطلق منها القوات العبيدية نحو المغرب الأقصى لمطاردة فلول قبيلة مغراوة بالإضافة إلى اعتماد قاعدة عسكرية أخرى بإقليم الزاب[3].

وبقي الصراع مستمراً حتى تولى المعز لدين الله الخلافة سنة (341هـ/952م)[4] الّذي أبدى قلقه لتلك القلاقل الّتي كانت على الجهة الغربية لدولته، فجهز حملة ضخمة ووضع على رأسها قائده الصقلبي جوهر وذلك بهدف تأمين تيهرت وفاس وسجلماسة[5] وقد نجح جوهر في القضاء على فرع بني يفرن واسترجع تيهرت منهم بينما أوكلت إلى زيري بن مناد الصنهاجي وشيخ قبيلة مغراوة أمر محمد بن خزر وذلك سنة 347هـ/959م[6]، ليتزعم بعدها محمد بن الخير المغراوي ابن محمد بن خزر لواء مقاومة العبيديين والذي كان يحضى بدعم الأمويين بالأندلس[7] هذا ما دفع بالخليفة العبيدي أنّ يستنجد بقبيلة صنهاجة من جديد لتتبع أثره[8]، لتفتح صفحة جديدة في مسار نضال قبيلة مغراوة ضد العبيديين وخاضت صراع مرير بينها

---

(1)- مرمول، السياسة الداخلية، ص181.

(2)- محمد بن معمر، زيري بن عطية المغراوي، ومشروع الدولة الزناتية في المغربيّن الأوسط والأقصى (368هـ/391هـ)، مجلة عصور محكمة إصدار مخبر البحث التاريخيّ، العدد4، سنة 2004.ص140

(3)-موسى لقبال، طبنة في مجال العلاقات بين زناتة والفاطميين حتى نهاية عصر المنصور -حوليات- جامعة الجزائر، ديوان المطبوعات، (د.ع) (د س)، ج2، ص33.

(4)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 314.

(5)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 524.

(6)- الجوذري، المصدر السابق، ص ص 109/108.

(7)- ابن خلدون، العبر، ج4، ص ص 50/49.

(8)- السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص83.

وبين صنهاجة الموالية للدولة العبيدية[1] وسعى منذ الوهلة الأولى زيري بن مناد الصنهاجي لحصار قبيلة مغراوة بكل السبل، وكانت البداية ببناء أشير سنة 324هـ/936م[2] لتأمين الحدود الغربية، وحماية الزرع وفي الوقت نفسه لقطع أرزاق قبيلة مغراوة[3]، ليخلفه بعده بلكين على نفس نهج والده، حيث تتبع هو أيضاً أثر الخير بن محمد المغراوي وقتله[4].

إنّ مسألة العداء الّذي كان بين قبيلتي مغراوة وصنهاجة له عديد الأسباب رغم أنهما قبيلتان بربريتان إلّا أنهما كانا يمثلان وجهان مختلفان، الأول يمثل قبيلة مغراوة الّتي تدين بولائها لعثمان ابن عفان رضي الله عنه، وقبيلة صنهاجة الّتي تدين بولائها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بمعنى صراع أموي علوي[5]، وكانت هناك أسباب أخرى مثل النعرة العرقية وهي مسألة انتماء صنهاجة للبرانس ومغراوة للبتر فضلاً عن أسباب أخرى متعلقة بالجانب الإجتماعي، على اعتبار أنّ صنهاجة عرفت بحياة الإستقرار والتمدن، وقبيلة مغراوة عرفت بحياة الترحال والبداوة بمعنى هناك فرق حتى في نمط المعيشة بين القبيلتين.

3- قبيلة هوارة:

منذ أنّ ولجت أقدام الفاطميين أرض بلاد المغرب الإسلامي والثوارات القبلية البربرية متوالية رفضاً لوجودهم ولنحلتهم، وكان لقبيلة هوارة السهم الأفر في ذلك، فما أنّ إحتل عبيد الله المهدي طرابلس إلّا وسارع بتعيين ماكنون بن ضبارة الحلياني الكتامي، واليا عليها، مما أدى إلى إنفجار الوضع بمضارب طرابلس وبدأت القلاقل الّتي تطورت إلى ثوارت متتالية قادتها قبيلة هوارة بداية من سنة 330هـ/941م[6] وساندتها مجموعة من القبائل الّتي إنتهجت نفس ردت الفعل مع قبيلة هوارة مثل زناتة ولماية وغيرها من القبائل البربرية.

---

(1)- الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص ص 20/19.

(2)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 292.

(3)- النويري، المصدر السابق، ج24، ص ص 304 /305.

(4)- محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 237.

(5)- لقبال، طبنة، ص 83.

(6)- محمود إسماعيل، الخوارج، ص176.

ويبدو جلياً أنّ قبيلة هوارة حاولت أنّ تستفيد من العهد الجديد الّذي عرف اضطرابات في كلّ شمال إفريقيا في العهد العبيدي[1]، وكانت ثورة هوارة بطرابلس أول هذه الثوارات والّتي تزعمها أبي هارون الهواري والذي حاصر عامل العبيديين بطرابلس مما إضطر إلى الإعتصام بداخلها والإحتماء بسور المدينة، فأنجده المهدي بأن أرسل إليه جيش بقيادة تمام بن معارك الملقب ب –أبا زكي- وهو ابن أخ مكنون، فدارت معركة طاحنة على أبواب المدينة، عرفت سفك دماء كثيرة[2]، لكن في النهاية لم ينعم تمام بن معارك بالملك طويلاً، بعد أنّ بلغ مسامع المهدي أنه يتآمر عليه فأوعز إلى ماكنون بن ضبارة فقتله سنة 298هـ[3]، فأستتب الوضع للعبيديين بطرابلس، لكن ماكنون تملكه الغرور وراح يتطاول على البربر، وعاثت كتامة في الأرض فساد، لتثور هوارة من جديد سنة 300هـ، وأخرجوه منها وتمت تصفية كلّ أتباع العبيديين بطرابلس سواءً من قبيلة كتامة أو غيرها[4].

وأمام هذا الوضع الجديد قرر عبيد الله المهدي أنّ يبعث أسطولا بحرياً للهجوم على طرابلس، لكن محاولته باءت بالفشل، فأرسل في محاولة ثانية ابنه أبو القاسم على رأس جيش كبير، ورغم أنّ قبيلة هوارة استبسلت في قتاله والذود عن طرابلس حتى فني ما بها من أقوات ولم تستطع قبيلة هوارة من الصمود مما دفع أعيان القبيلة للتفاوض مع أبي القاسم طالبين منه الأمان ومعلنين الاستسلام، فحدث أنّ أمنهم أبا القاسم الفاطمي على أنفسهم لكنه وضع شرطاً تمثل في وجوب تسليم كلّ قادة الثورة الّتي قادتها قبيلة هوارة ضدهم، ويتعلق الأمر بمحمد ابن إسحاق ومحمد بن نصر، ولم يكتف أبا القاسم بهذا، بل فرض غرامة مالية على أهل طرابلس مقدارها ثلاثمائة دينار[5].

---

[1]- علي محمد الصلابي، صفحات، ص 57.

[2]- أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص184.

[3]- أحمد الزاوي، نفسه، ص184/ الصلابي، صفحات، ص57.

[4]- أحمد الزاوي، نفسه، ص184 /الصلابي، نفسه، ص57.

[5]- الصلابين،نفسه، ص58/ أحمد الزاوي، نفسه، ص ص 185/184.

ومن إفرازات هذه الثورة الّتي جاءت في وقت مبكر أنّ قبيلة هوارة لم تقبل إطلاقاً بالنحلة الشيعية، ومسألة خضوعها في طرابلس تحت الحكم الشيعي جاءت فقط بقوة السلاح، وقرينتنا في ذلك أنّ قبيلة هوارة ورغم ما مرت به من محن إلّا أنها واصلت نضالها في كفاح النحلة الشيعية، ورغم أنها لم تتزعم الثوارت بشكل مباشر ضد العبيديين إلّا أنها كانت قوام عديد الثوارت، فكانت بطونها المنتشرة في مضارب الاوراس، هي السباقة إلى الالتفاف حول خوارج الأوراس ومبايعة مخلد بن كيداد سنة 331هـ/942م، على قتال الشيعة على أنّ يكون الأمر شوري إذا ظفروا بالمهدية[1]، ولم تكتف بهذا فقط فحين بلوغ مخلد بن كيداد الخارجي مضارب القيروان انضمت له بطون من قبيلة هوارة على غرار بطنها بنو كملان.

والجدير بالذكر هنا ان الاخباريون قد سجلوا موقف قبيلة هوارة حين فشل صاحب الحمار في حصاره للمهدية وتفرق حلفه القبلي الّذي كان يقوده وكيف بقيت قبيلة هوارة صامدة ومساندة له وكانت درعا واقي له ضد جيوش الخليفة الفاطمي القائم، وأهم دليل على قوة قبيلة هوارة في تركيبة الحلف القبلي الّذي كان يقوده أبي يزيد مخلد، هو أنها لما تخلفت عنه وادبرت عليه في آخر أيامه كان مصيره الانهزام والأسر ثمّ بعدها مات متأثراً بجراحه سنة 366هـ[2].

ولأن قبيلة هوارة عرفت بنضالها وثورتها ضد النحلة الشيعية ببلاد المغرب، فإنها واصلت ذلك حتى بعد وفاة أبي يزيد مخلد و أفول ثورته، حيث ثارت قبيلة هوارة مجدداً متحالفة مع أبن أبي يزيد مخلد الّذي انتهج منهج والده في الثورة ضد العبيديين وبقيت قبيلة هوارة مساندة له إلى أنّ قضى عليه الخليفة العبيدي المعز وشتت جموع هوارة بأرض السودان[3] ولم يكتفي المعز بهذا بل بادر إلى ضرب معاقل هوارة في جبل الأوراس عقاباً لها على ما يبدو لمساندتها لثورة الخارجي أبي يزيد مخلد، واجتاح المعز العبيدي عن طريق قائده بلكين بن زيري الصنهاجي

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص28.

[2]- ابن الأثير.المصدر السابق،ج6، ص310.

[3]- الميلي، المرجع السابق،ج2، ص521.

قبيلة بني كملان المعتصمين بجبل غزالة جنوب باغاية سنة 953/341م[1]، وبهذا تمكن المعز الفاطمي من إخضاع أغلب القبائل البربرية الثائرة[2]، وكانت مسألة استسلام رؤساء هوارة مسألة حتمية، وكان في الوقت نفسه انتصار عظيم للمعز الفاطمي بعدما أرهقته مقاومة الهواريين، وهو ما عكسه تصرفه حين استقبل رؤساء هوارة وزناتة بعد استسلامهم بالهدايا بالمنصورية[3].

4/ قبيلة بني يفرن:

تعتبر قبيلة بني يفرن وهي إحدى بطون قبيلة زناتة من أشد المعارضين للتواجد الشيعي ببلاد المغرب الإسلامي، وقد ظهرت معارضة هذه القبيلة بشكل واضح أيام تسلم أبو القاسم محمد المدعو القائم بأمر الله (322هـ/334هـ)الحكم خلفا لعبيد الله المهدي بداية من سنة (322هـ/933م)[4]، وكانت آنذاك هذه القبيلة على المذهب الخارجي النكاري الّتي تزعمها رجل بربري ثائر يكنى بأني يزيد مخلد ابن كيداد الملقب بصاحب الحمار[5]، وساعده شيخ نكاري من الإباضيين يسمى أبو عمار الأعمى وتمت مبايعته على شرط قتال الشيعة، وبث أبو يزيد دعوته في الأوراس لإثارة قبائلها وهكذا تسلحت حركته بمثل دينية وسياسية وأنعشتها عصبية الكتلة الزناتية المعارضة تقليديا لكتلة كتامة، وأعلن في سنة (312هـ/928م)[6] الخروج عن الدولة العبيدية إلّا أنه بقي متربصا في جبال الأوراس منتظراً الفرصة المناسبة لبدء تحركه الفعلي، وبعد أنّ راجت دعوته لدى قبائل البربر بمضارب نفوسة والزاب والمغرب الأقصى

---

(1)- طقوش، المرجع السابق، ص151.

(2)- الجوذري.المصدر السابق، ص84.

(3)- الدشراوي، المرجع السابق. ص ص 333/332 ؛- طقوش.المرجع السابق، ص151.

(4)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص314.

(5)-هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن مخلد بن تبقراسن بن يفرن بن جانا بن يحي بن جالوت، وتنسب إلى جانا بن يحي زناتة كلها ؛انظر:- ابن خلدون، العبر، ج7، ص18؛- ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي البلنسي الحلة السيراء.تح حسين مؤنس دار المعارف.ط2.القاهرة.1985، ج1، ص290.

(6)- ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص 28/27.

بشكل خاص فضلاً عن تأييد الفقهاء المالكية لحركته ضد الشيعة[1] ودعم أمويي الأندلس له بالأموال والعدة الحربية اللازمة[2] استطاع أبي يزيد وقبيلته بني يفرن من كسب ولاء الإباضية الوهابية[3]، وهكذا قوي حزب قبيلة بني يفرن[4].ولما بلغ مسامع الخليفة العبيدي مدى القوة الّتي أصبح يتمتع بها شيخ بني يفرن قام بحصاره بجبل الأوراس[5] لكنه فشل.

وإجمالا يمكن أنّ نقدر مسار ثورة بني يفرن مع من حالفها من القبائل البربرية الأخرى ضد العبيديين بثلاث مراحل.

أ- مرحلة القوة:

كانت بدايتها بمقاومة بطولية خاضها فلول قبيلة بني يفرن وانتهت بفك الحصار الّذي فرضه القائم الفاطمي عليهم بجبال الاوراس[6] بعدها انطلقت قبيلة بني يفرن مع من حالفها تتجه إلى معقل العبيديين، وكانت في طريقها تطرد كلّ أتباع الشيعة، وتفتح المدينة تلو الأخرى الّتي كانت تسيطر عليها فتمكنت من احتلال كلّ من تبسة[7] ومجانة[8] وسبيبة[9] ورقادة[10]، وأطلق صاحب الحمار على نفسه شيخ المؤمنين[11] وعمره يومئذ ستون سنة[12] وواصل أبي

---

(1)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص293.

(2)- مرمول، المرجع السابق ص93/ محمود اسماعيل، الخوارج، ص 238.

(3)- ابن خلدون، العبر، ج7، ص28.

Brahim zerouk notes sur abadar –rahme,ibn rustemm agallettarikh centre nationales des etudes historiques alger 1977. P22/24

(4)- أحمد مختار العبادي، دراسات في التاريخ العباسي والفاطمي، (د ط)، المؤسسة الثقافية الجدامعية، مصر، 2001م، ص242.

(5)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق. ص 537.

(6)- الدرجيني، المصدر السابق، ص 179.

(7)-إدريس، المصدر السابق، ج5، ص 272/271.

(8)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 303.

(9)- إدريس، المصدر السابق، ج5، ص 273 ؛ - موسى أحمد بن خالد، المرجع السابق، ص269.

(10)- ابن خلدون، العبر، ج4، ص41؛- موسى أحمد، نفسه، ص 269.

(11)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص217.

(12)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص293.

يزيد زحفه ومعه الكثير من خوارج زناتة ومشيخة المالكية أيضاً[1] إلى أنّ وصل إلى مضارب الأريس[2] وصولا إلى حصار باجة نفسها[3] الّتي لم تصمد طويلا وسقطت ليتولى أمرها رجلاً اسمه رحمون وذلك بأمر من شيخ قبيلة بني يفرن أبي يزيد[4] ولم تتوقف قبيلة بني يفرن عند هذا الحد.بل واصلت ثورتها، فدخلت سوسة وبعدها القيروان بعد أنّ قتل عامل العبيديين عليها خليل ابن إسحاق[5]، ولما أدرك القائم بامرالله العبيدي(322هـ/334هـ) جدية الثورة وخطر اقترابها من عاصمة ملكه[6]، أمر بحفر خندق حول مدينة المهدية، واستنجد بزيري وقومه صنهاجة، كما استنفر كتامة وحثهم على القتال معه[7].

ب- مرحلة التراجع:

رغم الدعم الّذي لقيه العبيديون من حلفائهم من قبيلة كتامة وصنهاجة إلّا أنّ زعيم بني يفرن أصر على الزحف بإتجاه المهدية[8] لكنه تكبد الهزيمة في نهاية المطاف قرب المهدية سنة 333هـ[9]، بسبب اشتغال جنوده بالغنائم في حين أنّ جنود العبيديين صمدوا إلى غاية أنّ قدم اليم المدد من طرف زيري الصنهاجي[10] وأمام هذا الوضع لم تجد قبيلة بنو يفرن من سوى الاستنجاد بقبائل أخرى وهو ما حدث حين استجابت القبائل البربرية مثل نفوسة وهوارة وبطون زناتة[11] وفي الجهة المقابلة استفاد الجيش العبيدي من دعم قبيلتي زواوة وكتامة[1]

---

(1)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص293.

(2)- عبد الحميد حاجيات، التطور المذهبي بناحية الاوراس فيث العصر الوسيط، مجلة الاصاله، العدد 60-61، الجزائر، 1978م، ص51.

(3)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص76.

(4)- ابن أبي دينار. المصدر السابق، ص 58.

(5)- محمود اسماعيل، الخوارج، ص244.

(6)- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص91.

(7)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص78؛- الجوذري، المصدر السابق، ص 54.

(8)-ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص59..

(9)- إدريس،المصدر السابق، ص 306/305.

(10)- موسى بنى خالد، المرجع السابق، ص 270.

(11)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 80.

واستمرت الحرب سجالا بين الطرفين[2] وطال أمدها، وبدأت بعض القبائل المشكلة للحلف مع بني يفرن من التمرد والخروج عن الحلف[3].

ج- مرحلة الضعف:

وبدأت هذه المرحلة مع تلك الحادثة الشهيرة والمتعلقة بأسر المنصور العبيدي(334هـ/341هـ) لزوجة وأبناء شيخ قبيلة بني يفرن أبي يزيد، حيث أنّ هذا الاخير طلب من المنصور أنّ يفك سراحهم مقابل أنّ يرحل هو وجيشه عن القيروان[4] وهو ما إلتزم به المنصور لكن أبي يزيد نكث هذا الاتفاق لتتجدد المعارك من جديد فكانت نهايتها أنّ تكبد أبي يزيد لهزيمة شنعاء على يد المنصور العبيدي(340هـ)[5].

ومع توالي انتصارات المنصورالعبيدي بدأت القبائل البربرية تدين له بالطاعة[6]، دانت له قبائل عجيسة وزواوة وحشود بني زنداك ومزاتة ومكناسة ومكلاتة[7] ولم يبق لشيخ قبيلة بني يفرن سوى خيار الفرار صوب جبل البربر[8] لكن جنود المنصور العبيدي تتبعوه وحاصروه ثمّ قبضوا عليه وسلموه للمنصور الّذي ما أنّ رآه حتى سجد سجدة شكر[9] .

ومما لا شك فيه أنّ المنصور العبيدي كان على حقد كبير من صاحب ثورة بني يفرن وشيخها وهو ما يبرزه تصرفه حين مثل بين أيديه فقام بسلخه ووضعه في قفص من جديد ثمّ

---

(1)- محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 205.

(2)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص80.

(3)- محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 8-2 ؛ - موسى بن خالد، المرجع السابق، ص 271.

(4)- ابن خلدون.العبر، ج7، ص23 ؛- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 82.

(5)- السيد سالم، المرجع السابق، ص 544.

(6)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 295.

(7)- ابن خلدون، العبر، ج7، ص33.

(8)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 82.

(9)- ادريس، المصدر السابق، ص 305 ؛-ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص310.

تركه للقردة تعبث بجثته[1] وبهذا تطوى ثورة صاحب الحمار اليفرني بعدما كادت ثورته تستأصل العبيديين من بلاد المغرب الإسلامي[2].

ج/ عناصر أخرى:

1- الصقالبة:

اختلفت المصادر حول الظروف الّتي قدم فيها الصقالبة الى بلاد المغرب. كما أنهم لم يتمكنوا من ضبط تاريخ دقيق لذلك، فنجد بعض المصادر تربط مجيء الصقالبة لبلاد المغرب بالدولة الأغلبية الّتي اعتمدت عليهم كثيرا خاصة في آخر أيامها، إذ تذكر بعض المصادر أنّ زيادة الله الأغلبي إختار ألف خادم من الصقالبة عندما هرب من رقادة سنة (396هـ/908م)[3]، بينما ربطت مصادر أخرى مسألة تواجد الصقالبة بشمال إفريقيا لفترة سبقت التواجد العبيدي ببلاد المغرب، وبالتحديد إبان الغارات الّتي كان يقوم بها المسلمون على جزر البحر المتوسط وبعض مدن جنوب إيطاليا[4].

وبمجيء العبيديين لبلاد المغرب خضع هؤلاء الصقالبة لتدريب عسكري خاص[5] وهذا ما يؤكد الطرح القائل بالدعم المطلق الّذي أعطاه الصقالبة للعبيديين في مواجهة القبائل الرافضة لوجودها ببلاد المغرب، وأفضل قرينة على ذلك تلك المهام الّتي كانت توكل إليهم مثل تأطير الكتائب العسكرية الخاصة أو حراسة الإمام في زمن الحروب حتى أنهم تلقبوا بعديد الألقاب مثل "لقب خادم الإمام" [6].

---

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص220.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص25.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص207 ؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص167؛ محمد عبد الله سالم العمايرة، الجيش الفاطمي، (297هـ/567م) (909م/ 1171م، دار كنوز المعرفة، ط1.الاردن، 2009، ص69.

[4]- الدشراوي، المرجع السابق، ص 544/543 ؛-العمايرة، نفسه، ص 69.

[5]- الجوذري، نفسه، مقدمة الكتاب، ص 14/13.

[6]- الدشراوي، المرجع السابق، ص ص 541/442.

وبهذه الأدوار الحساسة الّتي تقلدوها، تمكن الصقالبة من الوصول إلى مراكز قيادية في الجيش العبيدي، وكان دور الصقالبة واضح في إخماد ثورة قبيلة بني يفرن وحلفائها الّتي قادها الثائر الخارجي أبي يزيد مخلد[1]، وبرزت عدة أسماء للصقالبة كقادة للجيش الفاطمي مثل جوهر الصقلي في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي والذي تمكن من فتح فاس وسجلماسة، وقاد الجيش في حملة الإستلاء على مصر والشام والبقاع المقدسة[2] حتى بلغ مكانة مرموقة زمن المعز لدين الله[3]، كما برزت أسماء أخرى مثل حسن بن رشيق وشفيع الصقلبي وقيصر الصقلبي، وقادوا جيش العبيديين حين اقتحموا حصون الحضنة الّتي احتمت بها قوات أبي يزيد المتمردة على العبيديين[4] .

وأمام الولاء الكبير الّذي أبداه الصقالبة إتجاه العبيديين، فإنهم بلغوا الحضوة في بلاط الخلفاء، وبلغ بهم المقام لدرجة أنّ أجاز المعز لدين الله الفاطمي توريث الصقالبة مثلما يورث الأحرار[5]، وهناك من عينهم كولاة للدولة العبيدية كما هو الحال في عهد المنصور العبيدي (334هـ/341هـ) الّذي عيّن قيصر الصقلبي كوالي على باغاية والمظفر على إقليم طرابلس[6].

وهكذا فإن الصقالبة كانوا يحتلون مرتبة لا تقل عن مرتبة مشائخ القبائل البربرية الموالية للعبيديين وهذا ما يفسر أنّ الخلفاء العبيديين عمدوا إلى سياسة تقضي إلى إحداث التوازن بين القبيلة وعصبيتها والصقالبة وولائهم.

2- **العرب:**

كما هو معلوم فإن الدولة العبيدية جاءت على أنقاذ الدولة الأغلبية وكانت هذه الأخيرة تعتمد على العنصر العربي بشكل كبير، كون أنّ الأغالبة هم عرب من بنو تميم العدنانيين

---

(1)- ادريس، المصدر السابق، ص275.

(2)- الدشراوي،المرجع السابق، ص541.

(3)-ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص 375.

(4)- الجوذري، المصدر السابق، ص 180؛ -الدشراوي، المرجع السابق، ص 542.

(5)- القاضي النعمان، المجالس، ص 394.

(6)- الدشراوي، المرجع السابق، ص 542.

خاصة عرب بنو مضر[1]، وهذا كان يخالف تماما السياسة العبيدية الّتي كانت تعتمد في الأساس على قوة البربر متمثلة في قبيلة كتامة وحلفائها الصقالبة مما أبعد صفة التحالف بين العرب والعبيديين على الأقل ببلاد المغرب الإسلامي ممافرز قلة تواجد العرب في الجيش العبيدي خاصة في بدايات التواجد العبيدي، ببلاد المغرب، وكان مقامهم مقام الجنود العاديين وكان يطلق عليهم اسم "أهل إفريقية" لتمييزهم عن البربر والعبيد[2].

والملاحظ أنه كانت هناك طائفة من بطون القبائل العربية تنتظر سقوط الدولة الأغلبية لإعلان ولائها للعبيديين خاصة في مستهل عهد عبيد الله المهدي، إذ لم يتردد عرب بنو خزر في ميلة ولا بنو مالك في بلزمة ولا عرب بنو ملامس في الأربس في خلع طاعة الأغالبة[3] وهكذا وقفت القبائل العربية إلى جنب قبيلة كتامة البربرية وتحالفت معها أثناء الحملتين في عهد القائم العبيدي (322هـ/334هـ) على مصر وفي عهد المنصور العبيدي(334هـ/341هـ) في حملة مطاردة أبي يزيد مخلد[4].

وتعتبر أسرة بني الكلبي العربية ذات الأصول اليمنية بقيادة شيخها الحسن بن علي بن أبي الحسن، من أهمّ الأسر العربية الّتي ناصرت العبيديين في حربها على قبيلة بني يفرن إبان ثورة أبي يزيد مخلد[5] فضلا عن أسرة علي بن حمدون العربية، الّتي ساهمت في التصدي لقبيلة زناتة البربرية بعد بنائها لقاعدة عسكرية بالمسيلة بأمر من القائم العبيدي(322هـ/334هـ)[6].

وصفوة القول، أنّ بقاء العبيديين ببلاد المغرب أفرز معه عدة مفارقات متعلقة بموقف القبائل البربرية من هذه الدولة الشيعية، فإنقسمت المواقف بين مؤيداً لها بذرائع مختلفة منها

---

(1)- الدشراوي، المرجع السابق، ص 547.

(2)- العمايرة، المرجع السابق، ص72.

(3)- الدشراوي، المرجع السابق، ص 547 ؛ العمايرة، نفسه، ص72.

(4)- الدشراوي، نفسه، ص 548.

(5)- العمايرة، المرجع السابق، ص73.

(6)- الدشراوي، المرجع السابق، ص 549؛ العمايرة، نفسه، ص72.

الدينية كمسألة الولاء لآل البيت، ومنها ما هو سياسي مصلحي ارتبط أساسا بالعدواة التقليدية بين فرعي البتر والبرانس.

وبالمقابل هناك من القبائل البربرية من حمل لواء الثورة ضد الوجود الشيعي ببلاد المغرب متخذا أيضا مجموعة من الاسباب فمنها ما هو ديني كمسألة اختلاف النحلتين المتمثلة في الخوارج والسنّة مع الشيعة ومنها ما هو سياسي ارتبط بالعداوات التقليدية القديمة بين البتر والبرانس وهناك من كان يحمل طموح السيطرة على بلاد المغرب وكان يدرك أنّ الوصول إليه مرتبط بإزالة الكيان العبيدي.

الفصل الرابع

القبيلة والمذهب السنّيّ في بلاد المغرب (2-6هـ)

المبحث الأول: أهل السنّة واالجماعة في بلاد المغرب

المطلب الأول: تعريف أهل السنّة

المطلب الثاني: تعريف المذهبين المالكيّ والحنبليّ

المطلب الثالث: أسباب انتشار المذهب المالكيّ في بلاد المغرب

المبحث الثاني: دور القبائل العربيّة والبربريّة في نشر المذهب السنّي ببلاد المغرب

المطلب الأول: دور القبائل العربيّة في نشر المذهب السنّي

المطلب الثاني: دور القبئل البربرية في نشر المذهب السني

أ. قبيلة صنهاجة الشمال

ب. قبيلة صتهاجة الجنوب

ت. قبيلة أوربة

المبحث الأول: أهل السنّة والجماعة

المطلب الأول: تعريف أهل السنّة والجماعة

أ-التعريف اللغوي:

جاءت كلمة السنّة في العديد من الآيات القرآنية كقوله تعالى "وما منع الناس أنّ يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلّا أنّ تأتيهم سنة الأولين، أو يأتيهم العذاب قبلاً"[1]، ومنه نستطيع أنّ نعطي تعريفاً لغوياً بأن السنّة هي المنهج أو الطريقة بغض النظر أنّ كانت حسنة أو سيئة[2]، لكن المتعارف عليه أنّ لفظ السنّة دائماً يستعمل في الطريقة الحسنة المعهودة[3] كما جاء في الحديث النبوي الشريف في موقع آخر ذلك المعنى اللغوي الدال على أنّ السنّة هي الطريقة والسيرة وقد تكون حسنة أو سيئة وهذا في قوله صلى الله عليه وسلم "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أنّ ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أنّ ينقض من أوزارهم شيء"[4]

ب-التعريف الإصطلاحي:

أهل السنّة والجماعة مصطلح واسع، يستخدم بشكل خاص للدلالة على المذهب السني، وظهر هذا المصطلح على من تمسك بالقرآن والسنّة وكان على منهج السلف الصالح وكل فعل وأثر لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم والتابعين ممن ثبت على النهج الصحيح ولم يبدل مثلما فعل أهل الأهواء والبدع[5].

---

[1]- سورة الكهف، الآية 55.

[2]- ابن منظور، المصدر السابق، ص 2124.

[3]- عبد الرحمان عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية،دار الفضيلة، القاهرة، (د، ت).ج2.ص 297.

[4]- مسلم، الجامع الصحيح، باب الحث عن الصدقة، حديث رقم 1017، عناية: أبو قتيبة، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض(د.ط)، 1426هـ/2005، ص 392.

[5]- حمد السنان وفوزي العجري، أهل السنّة الأشاعرة، شهادة علماء الأمة وأدلتهم، دار الضياء للنشر والتوزيع.الكويت (د، ط)2005، ص 80.

أما الأصوليين يعرفون السنّة فيما جاء منقولا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم ينص عليه القرآن وكان مبينا لما في الكتاب أولاً[1].

ويعرف المحدثين السنّة بأنها كلّ ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من عمل أو قول أو صفة خلقية أو تقرير مهما كان زمان وقوعها قبل البعثة أو بعدها[2]، ويمكن وصف أهل السنّة والجماعة وفق ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم "ستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة، والباقون هلكى، قيل ومن الناجية؟ قال: أهل السنّة والجماعة قيل: ما السنّة والجماعة؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي[3] أي أنهم هم السلف الصالح، العاملون بالكتاب والسنّة والذين أخبر عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، بأنهم السائرون على نهجه ونهج أصحابه متتبعين كتاب الله وسنة رسوله[4]، وقد اقتدوا بما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم في قصة الصحابي الجليل معاذ بن جبل لما أراد إرساله إلى اليمن قاضياً للمسلمين فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم، بم تقضي؟ قال: بكتاب الله، قال رسول الله: فإذا لم تجد؟، قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال أجتهد رأيي، فقال رسول الله: الحمد لله الّذي وفق رسول الله لما يرضى الله ورسوله[5] وقد ورد عند صاحب ترتيب المدارك أنّ رجلاً سأل مالك فقال: من أهل السنّة يا أبا عبد الله؟ فقال: الّذين ليس لهم ما يعرفون به جهمي ولا رافضي ولا قدري[6].

والجدير بالذكر أن أهل السنّة والجماعة قد اجمعوا على توحيد الخالق أسمائه وصفاته وسائر الأصول وذكر عدله وحكمته وعظمة سلطانه، وإختلفوا في بعض فروع الأحكام، وليس بينهم فيما اختلفوا فيه من تضليل ولا تفسيق[7].

---

(1)– الشاطبي. أبو إسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد، الموافقات تق" بكر بن عبد الله أبو زيد تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، السعودية.ط1، 1997،ج4. ص289.

(2)– مصطفى السباعي، السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط1، دار الوراق، (د، م، ن)، 2000، ص65.

(3)– محمد عيسى بن سورة بن موسى، الترميذي، سنن الترميذي، ج5، تحقيق أحمد محمد شاكر، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم الحديث 2640، شركة مطبعة المصطفى 1975، ص25.

(4)– البغدادي، المصدر السابق، ص 26.

(5)–الإمام محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، االقاهرة، 1996، ص 246.

(6)–القاضي العياض.المصدر السابق، ج2. ص38.

(7)– البغدادي، المصدر السابق، ص39.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ مصطلح المذهب السني قد توسع على المذاهب الفقهية السنية الأربعة، الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، والّتي انتشر منها مذهبان هما المذهب المالكي والحنفي فضلا عن المذهب الاوزاعي لكن بدرجة تكاد لاتذكر ببلاد المغرب الإسلامي.

المطلب الثاني: تعريف المذهبين المالكي والحنفي في بلاد المغرب

أ-المذهب الحنفي:

يعتبر المذهب الحنفي[1] أول المذاهب السنية ظهوراً، وينتسب إلى صاحبه الإمام أبي حنيفة النعمان (ت 150 هـ)[2]، وقد أطلق على المذهب عديد الأوصاف كمذهب أهل الرأي[3] ومذهب الإستنباط العقلي[4]، وكانت مرجعية المذهب الحنفي هو كتاب الله وسنة رسوله، ثمّ على القياس، ثمّ الأخذ بالعرف دون مخالفة الشرع، وقد أخذ الحنفية بالفقه التقديري، بمعنى بعد النظر للإستشراف بأخذ الأحكام قبل وقوعها، ولا يدرك ذلك إلّا بالحذق ووحدة النظر[5].

وبالرجوع الى أوائل فقهاء بلاد المغرب الّذين يعتقد أنهم ساهموا في انتشار المذهب الحنفي ببلاد المغرب نجد عبد الله فروخ (ت 185هـ /801م)، وعبد الله بن غانم (ت190هـ/805م)[6]، اللذان لعبا دورا كبير في إدخال المذهب الحنفي والعمل على نشره ببلاد المغرب الإسلامي، إذ أنّ المصادر تشير إلى أنّ ابن فروخ قدم إلى بلاد المغرب بحوالي عشرة آلاف مسألة غير مدونة رواها عن أبي حنيفة، كما كان ابن غانم معلماً للجيل الأول، من

---

[1]- هو أحد المذاهب الفقهية االمشهورة وأوسعها انتشاراً، ويعود هذا المذهب إلى مؤسسة أبي حنيفة النعمان، وهو عبارة عن أراء له ولأصحابه المجتهدين في المسائل الإجتهادية الفرعية: أنظر: أحمد بن محمد نصير الدين النقيب، المذهب الحنفي مراحله وطبقاته وضوابطه ومصطلحاته خصائصه ومؤلفاته، مكتبة الرشد، ط1، الرياض، ج1، 2001، ص ص 10/ 36/ 39.

[2]- هو الإمام أبي حنيفة النعمان ابن ثابت (80هـ/150هـ) من أسرة فارسية الأصل، قطنت الكوفة، وولد الإمام بها كما تلقى مختلف العلوم بها، ودرس الفلسفة ومختلف العلوم، ثمّ تخصص في الدين الإسلامي، أنظر: المجدوب عبد العزيز، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2008، ص 69.

[3]- مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ط3، القاهرة.ج1، 1991، ص166.

[4]- المجدوب عبد العزيز، المرجع السابق، ص 06.

[5]- أحمد بن محمد نصير الدين النقيب، المذهب الحنفي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع،ط1. الرياض.السعودية.ج1، 2001، ص ص 310/309.

[6]-الهنتاتي نجم الدين، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، طبعة تبر الزمان، تونس، 2004، ص 20.

تلامذة الحنفية ببلاد المغرب[1] ثمّ بدأ المذهب في الإنتشار في أوائل العصر الأغلبي خاصة وأن تأييد وتبني الدولة العباسية له كان واضحاً[2] فانتشر المذهب الحنفي في المناطق الّتي كانت تحت نفوذ الخلافة العباسية باعتباره مذهبها الرسمي وكل الرعية كانوا ملزمين على تنفيذ أحكام القضاء ومختلف التشريعات الفقهية وفق مذهب الخلافة العباسية الرسمي، خاصة وأنه قد تنازل العباسيين للأغالبة على تونس سنة (ت 184هـ /800م)، فأصبح المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للأغالبة[3].

وكان لصاحب كتاب " المختلطة" أسد بن الفرات[4] الدور الكبير في ترسيخ المذهب في إفريقية وفي هذا السياق يروي لنا ابوزهرة رواية نقلا عن المقدسي خاصة بكيفية انتشار المذهب الحنفي ببلاد المغرب، وذكر أنه سأل بعض أهل المغرب بقوله "كيف وقع مذهب أبي حنيفة رحمه الله إليكم، ولم يكن على سابلتكم؟ قالوا لما قدم وهب بن وهب من عند مالك رحمه الله وقد حاز من الفقه والعلوم. عمل أسد بن عبد الله أنّ يدرس عليه لجلالته، وكبر نفسه فرحل إلى المدينة ليدرس على مالك، فوجده عليلاً، فلما طال مقامه عنده، قال له إرجع إلى ابن وهب فقد أودعته علمي كفيتم به الرحلة، فصعب ذلك على أسد وسأل هل يعرف لمالك نظير؟ قالوا فتى بالكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، قالوا فرحل إليه، وأقبل عليه محمد إقبالاً لم يقبله أحد، ورأى فهماً وحرصاً، فلما علم أنه قد إستقل، وبلغ مراده فيه سيبه إلى المغرب فلما دخلها إلتلف إليه الفتيان، ورأوا فروعاً حيرتهم ودقائق أعجبتهم ومسائل ما ضنت على إذن ابن وهب وتخرج به خلق، وفشا مذهب أبي حنيفة رحمه الله بالمغرب"[5]، وقد أسند المالكي عن أبي جعفر القصري قوله "كان أسد إمام العراقيين كافة ...، ودينه ومذهبه هو السنّة"[6].

---

[1]– الهنتاتي، المرجع السابق، ص 21/20.

[2]– أبو زهرة، المرجع السابق، ص365.

[3]– محمد عليلي، الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول والثالث الهجريين السابع والتاسع الميلاديين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2016/2015، ص 229.

[4]– هو أسد بن فرات بن سنان مولى بني سليم، أصله من خرسان، دخل القيروان رفقه والده الّذي كان جندي في جيش ابن الأشعث، تتلمذ عند الإمام مالك بالمدينة ثمّ أخذ عن أصحاب أبي حنيفة، أنظر:احمد بن محمد. المرجع السابق.ج1، ص ص 255/254.

[5]– محمد أبو زهرة، أبو حنيفة، حياته وعصره وآراءه وفقهه، دار الفكر العربي، ط2، (د م) 1947، ص 523/522.

[6]– المالكي، نفس المصدر، ج1، ص 264.

لكن ومع حلول القرن الرابع هجري، عرف المذهب الحنفي تراجعا في بلاد إفريقية، وكان لهذا ما يبرره بداية بالعنف الكبير لأعوان العبيديين الشيعة وإضطهادهم للعلماء والفقهاء الحنفية، فمال الكثير منهم إلى التشييع.

والجدير بالذكر هنا أنّ المغاربة على ما يبدو لم يتقبلوا المذهب الحنفي مقارنة بالمذهب المالكي[1] خاصة وأن المذهب الحنفي يحمل العديد من الأفكار الفلسفية مما أدى إلى إقتصار مرتاديه على طبقة الحكام والقضاة، ولم يبق ببلاد المغرب من الأحناف الأوفياء إلّا ما ذكره البكري بتواجدهم في منطقة تهودة أواخر القرن الخامس هجري[2]، وكان كلّ من كان على المذهب الحنفي يسميه المغاربة ب " العراقيين" أو " الكوفيين" نسبة لمكان ظهور المذهب وشيوعه، كما يعتبر المذهب الحنفي من أقدم المذاهب المعروفة عند أهل السنّة والجماعة، أمّا مسألة سرعة انتشاره في مرحلة مبكرة في المغرب الإسلامي فيعود أساساً لإرتباطه بالسلطة، وأهم قرائن ذلك هو ارتباطه بالدولة العباسية متنقلاً منها إلى الأغالبة.

ب-المذهب المالكي:

رغم أنّ المذهب الحنفي والأوزاعي، قد سبقوا دخول المذهب المالكي إلى بلاد المغرب الإسلامي، إلّا أنّ المذهب المالكي[3]، لم يتأخر كثيراً لينتشر ببلاد المغرب الإسلامي رغم أنّ كلا المذهبين الحنفي والمالكي مراَ بمرحلة من التعايش إلى أواخر القرن الثاني هجري قبل أنّ يدخلا في مرحلة من التنافس[4]ولم يبق الحال هكذا، حيث عرف المذهب المالكي توهجه في بلاد المغرب منفرداً وكان هذا بمجهود الكثير من العلماء[5] ولهذا ما يبرره نتيجة تلك الألفة

---

(1)-صاحي بوعلام، الحياة العلمية بإفريقية في عصر الدولة الأغلبية(184هـ/296هـ) (800م/909م) أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2009/2008م، ص ص 67/66.

(2)-البكري، المصدر السابق، ص73.

(3)- محمد منصوري علي بلعيد، أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي وانكفاؤه في اليمن حتى القرن الرابع الهجري دراسة مقارنة العمال الكاملة لمؤتمر الإمام مالك الجامعة الأسمرية، 2013، ص917.

(4)- نسبة إلى مؤسسه مالك بن أنس بن عامر الأصبحي التميمي (93هـ/179م)، ولد بالمدينة المنورة، حفظ القرآن الكريم والحديث في سن مبكرة، أنظر: سعد رستم، نفس المرجع، ص154/ محمد أبو محمد إمام، سيادة المذهب المالكي في افريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية، المؤتمر الدولي الإسلامي في افريقيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، جامعة افريقيا العالمية|، الكتاب الخامس أوراق المؤتمر، 27/26 نوفمبر 2008، ص102.

(5)- محمد بن حسن الشرحبيلي، تطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي حتى نهاية العهد المرابطين منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب، 2000، ص04.

الّتي جمعت المغاربة بالمذهب المالكي الّذي اتسم بالصفاء من الفلسفة الّتي كانت عند الأحناف سائدة، كما إمتاز بالبساطة وهذا ما جعله يعتلي المكانة العليا بين كلّ المذاهب الفقهية الموجودة ببلاد المغرب آنذاك، فهو يعتمد على الكتاب والسنّة، وعمل أهل المدينة والقياس مع مراعاة الأصول والقواعد المرتبطة بمقاصد الشريعة، واعتبار ما ينفع الناس من منطلق سد الذرائع وجلب المنفعة ودفع المفسدة، وذلك بالتوسع في الإجتهاد فيما لا ترد بصدده أحكام القرآن الكريم والسنّة النبوية، والأخذ بالقياس لمواجهة المشكلات المستحدثة في الحياة اليومية[1]، ولعل لتلك المرونة في المسائل الفقهية وإلتزام مذهب الإمام مالك بكتاب الله وسنة رسوله، ورفض التأويل، جعله يناسب عقلية القبائل البربرية حديثة العهد بالإسلام[2]والذين تعودوا عليه منذ الفتح الإسلامي، على اعتبار أنّ الفاتحين الأوائل جاؤوا بذلك الإسلام البسيط الّذي جوهره كتاب الله وسنة رسوله، وهكذا انتشر المذهب المالكي في بلاد المغرب بصفة تدريجية عن طريق تدريس كتاب "الموطأ" كما أنه كان لموقف الإمام سحنون[3] دوراً أساسياً في نشر منهج الإمام مالك الفقهي.

إن المتتبع لخطوات انتشار المذهب المالكي يمنكه ملاحظة مروره بعدة محطات، والبداية كانت بإتصال بعثات الحجاج، وطلاب العلم بالإمام مالك في الحجاز بالمدينة المنورة والتشبع بمنهجه الفقهي لتصل أفكاره إلى بلاد المغرب بعد أنّ أدخلوا موطأ الإمام مالك لبلاد المغرب، وتذكر لنا المصادر أنّ علي بن زياد(ت 183هـ/799م) هو أول من أدخل موطأ الإمام مالك إلى بلاد المغرب وشرحه[4].

ويمكن القول ان لرحلة الإمام سحنون أواخر القرن الثاني هجري والّتي كللت بالمدونة الكبرى للفقه المالكي، الأثر البالغ في ترسيخ المذهب المالكي بعد أنّ كان قد انتشر قبل رحلته إلى المشرق[5]، وعرفت القيروان أكثر من غيرها من البلدان بالمذهب المالكي، إذ أصبح يسمى

---

(1)– سلمى محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص114.

(2)– بيل ألفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، الترجمة العربية، بنغازي، 1969، ص ص 127/126.

(3)– هو الإمام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخين واسمه، الأصليّ عبد السلام من أصل عربي تحديداً من بلاد الشام، ولد سنة 160هـ بإفريقية، وهناك مصادر تقول أنه ولد سنة 161هـ أنظر: المالكي، المصدر السابق، ج1، ص346.

(4)–القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 234.

(5)– الخشني.محمد بن الحارث بن اسد، طبقات علماء إفريقية تح، محمد عزت زينهم، مكتبة مدبولي.ط1. القاهرة، 1993، ص82.

كلّ من هو على هذه النحلة بالقرويين نسبة للقيروان وهذا ما نجده في نص لإبن الصغير يثبت من خلاله وجود المذهب المالكي بتيهرت بتسمية القرويين وذلك من خلال قوله "حتى لا ترى داراً إلّا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين، وهذا مسجد الكوفيين...."[1].

أمّا فيما يتعلق بالمغرب الأقصى فقد انتشر مذهب مالك في إمارة نكور في عهد أميرها المعتصم بن منصور(120هـ/121هـ)[2]، كما احتضنت تلمسان المذهب المالكي، وفي هذا السياق يزودنا البكري بنص يقول فيه "...ولم تزل تلمسان داراً للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله.."[3]، وبعد هذا الإنتشار للمذهب المالكي ببلاد المغرب، تعرض المذهب لمحنة ظهور الدولة العبيدية الشيعية ببلاد المغرب بداية من سنة (297هـ) بماجاء معها من محاولات فرض التحول المذهبي على السنّة إلى المذهب الشيعي وباستعمال كلّ الوسائل كالإغراء، والقوة، وإعطاء المناصب وغيرها، لكن قابل أهل السنّة والجماعة هذه المحنة بالمقاومة والصمود، وعاشوا فترات صعبة إلى غاية خروج العبيديين من بلاد المغرب، ليعرف المذهب انتعاش من جديد حيث تبنته الدويلات المستقلة الجديدة كالدولة الحمادية والمرابطية والزيرية، ليعرف المذهب المالكي فترة التمكن في بلاد المغرب في عهدها.

المطلب الثالث: أسباب انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي

تعتبر المدينة المنورة هي نقطة الإنطلاق والبداية للمذهب المالكي وقاعدة تأسيس له، بإعتبارها البنية والمكان الّذي نشأ فيه المذهب، ومنها انتشر في مناطق متعددة، وقد ساهمت عديد الأسباب في انتشار هذا المذهب ببلاد المغرب ومن ضمن هذه الأسباب:

1- تلك المرونة الّتي عرف بها المذهب، وفي هذا السياق يرى الشيخ محمد أبو زهرة أنّ السبب يوجد في اعتماد المذهب في قواعده على المصالح المرسلة والعرف والاستحسان الّتي أضيفت عليه لما فيها من تيسير للناس لممارسة مصالحهم الضرورية دون حرج وهذا ما جعله

---

[1]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص36.

[2]- سلمى اسماعيل، المرجع السابق، ص115.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص70.

مراعياً لمقاصد المكلفين وبناء الأحكام عليها[1] وفي هذا الشأن يقول الشيخ محمد أبو زهرة " أنّ المذهب المالكي بغزارة قواعده وتنوع أصوله يكون هو اقرب إلى الفطرة الإنسانية الّتي يشترك فيها الناس ولا يختلفون فيها إلّا قليلاً بحكم الإقليم والمنازع والعادات الموروثة"[2].

2-من الأسباب الّتي دفعت أهل المغرب وإفريقية إلى التمذهب بالمذهب المالكي هو شخصية إمام المذهب نفسه، والّتي عرفت بالتفوق العلمي والتمسك التام بالسنّة والتشبه بأثر الصحابة التابعين، فكان الإمام مالك عند العلماء ربانيا إماما مقدماً وهذا ما دفع الناس إلى الرحلة العلمية وضربوا أكباد الابل من أجل الأخذ عنه، وعملوا على تقدير علمه، والإنقياد لفكره، والإقتناع بأن المذهب المالكي أولى بالإقتداء والإتباع لأنه الاقرب إلى الشريعة .

3-الدور البارز لطلبة الإمام مالك في نشر المذهب بالإضافة إلى نشاطهم في التأليف إلى جانب الدعوة للمذهب، إذ يقول القاضي عياض في هذا السياق " كان في إفريقية وما وراءها من المغرب، فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أنّ دخل علي بن زياد وابن أشرس والبهلول بن راشد وغيرهم بمذهب مالك، فأخذ به الكثير من الناس ولم يزل يغشوا إلى أنّ جاء سحنون فغلب في أيامه، وفض حلق المخالفين، واستقر المذهب بعده في أصحابه، فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا"[3]، وقد أشارت كتب الطبقات إلى أكثر من ثلاثين من تلاميذ الإمام مالك من افريقية.[4].

4-يعتبر الطابع البدوي الغالب لسكان بلاد المغرب والذي يشبه نضيره في الجزيرة العربية من أهمّ الأسباب لإنتشار المذهب المالكي، فكان أهل الحجاز أميل لوسمهم بالبداوة، وهذا ما بدى واضحا على تطابق الذهنيات، وبالتالي وجود قابلية كبيرة لتقبل المذهب المالكي أكثر من غيرها كون أنّ المذهب المالكي مذهب عملي أكثر مما هو نظري ويتماشى مع الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلف أو تطرف.[5]

---

[1]- أحمد الشريف الأطرش السنوسي، مالك بن أنس ومدرسة المدينة، دار الغرب للنشر والتوزيع.ط1،الجزائر. 1999م، ص ص 332 /333.

[2]- محمد أبو زهرة، مالك ابن أنس، دار الفكر العربي.ط1، بيروت، لبنان، ص 376.

[3]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 26/25.

[4]- محمد منصور علي بلعيد، المرجع السابق، ص 917.

[5]- الجيدي، المرجع السابق، ص36؛- محمد أبو محمد إمام، المرجع السابق، ص102.

5-نشاط الإمام سحنون ووقوفه ضد الأمراء الاغالية مما جعل الناس يميلون إلى المذهب المالكي الّذي كان عليه الإمام سحنون، خاصة أنه يعتبر من علماء المذهب في الشمال الافريقي، إذ أنه انتشر بقوة وغلب في أيامه.[1]

6-طول عمر الإمام مالك مكنه من الإستمرار في أداء رسالته العلمية وذلك منذ ثلاثين سنة بعد وفاة الإمام أبي حنيفة سنة (150هـ) وثلاثة وعشرون سنة بعد وفاة الإمام الوزاعي سنة (157هـ)[2].

7-موقف الإمام مالك من آل البيت الّذي دفع الأدارسة في المغرب الأقصى إلى التعاطف مع مذهبه، حيث وقف الإمام مالك موقفاً مشرفاً مع أخ إدريس المعروف بمحمد النفس الزكية.[3]

8-يرى ابن خلدون أنّ من أهمّ أسباب انتشار المذهب المالكي هو تلك الميزة الّتي دأب عليها سكان بلاد المغرب وهي الرحلة، خاصة بإتجاه الحجاز، وهو ما نستشفه من قوله "وأما مذهب مالك رحمه الله تعالى، فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس" مما يدل أنّ رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم ... فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن تصل إليهم طريقته.[4]

وصفوة القول في كلّ مما سبق بأن مذهب أهل السنّة والجماعة كان المذهب الغالب للسواد الأعظم ببلاد المغرب نتيجة كلّ المقومات والخصائص الّتي حملها، والّتي انسجمت مع الذهنية المغربيّة وكل عناصر البنى الإجتماعية والثقافية، وذلك رغم كلّ المحن الّتي تعرض لها من صراعات مذهبية وتضييق خاصة من العبيديين والّتي على ما يبدو أنها عززت عامل الثقة أكثر في دعاة المذهب مما مكن المذهب من البقاء طويلاً عكس المذاهب الأخرى

---

[1]- تراوري يونس، مدارس المذهب المالكي وأبرز خصائص المذهب وسماته، نزيل، (د ط)، مكة المكرمة، 2013، ص04.

[2]- محمد عز الدين الغرياني، المذهب المالكي، النشأة والموطن وأثره في الإستقرار الإجتماعي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ص37.

[3]- عباس الجراري، مقال، ندوة الإمام مالك، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فاس، المغرب، 1980، ص180.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، ص 245؛- عمر الجيدي، المرجع السابق، ص37.

المبحث الثاني: دور القبائل العربية والبربرية في نشر المذهب السني في بلاد المغرب

المطلب الأول: دور القبائل العربية في نشر المذهب السني في بلاد المغرب

لقد استوطن بلاد المغرب الكثير من العرب الفاتحين، خاصة بعد استكمال عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب سنة (92هـ/711م)[1]، وكان غالبية هؤلاء الفاتحين من العرب اليمنية[2]، وساهمت هذه القبائل العربية بقسط وفير في نشر الإسلام وتعليم البربر لغة القرآن، فبني التوجه العقدي والمعاملاتي على مرجعية ما تلقاه الصحابة والتابعين عن الرسول صلى الله عليه وسلم، من قول أو عمل أو تقرير، وكل هذا كان على الطريقة السلفية دون أنّ يمسه أي فكر عزم عليه أهل المذاهب الإسلامية فيما بعد[3]، ومن أهمّ القرائن على هذا الرأي هو ذلك القرار الّذي اتخذه عمر بن عبد العزيز رحمه الله حين بعث بعثته العلمية إلى بلاد المغرب والّتي كانت تتألف من التابعين لنهج الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت مهمتها تثقيف البربر وتلقينهم قواعد الدين، كما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، دون تعقيد أو منزع خاص.

وبعد أن دخلت بلاد المغرب الاسلامي مرحلة جديدة بعد استكمال عملية الفتح وهي مرحلة الولاية، فإن القبائل العربية كانت تملك الحضوة في بلاط الولاة المتعاقبين، كون أنّ الولاة هم في الأساس عرب وقرينة ذلك ما تمتع به العرب في هذه الفترة من إمتيازات خصوا بها دون غيرهم[4] كإستفادتهم من الغنائم الّتي يحصل عليها الفاتحون من الأراضي المفتوحة[5].

وفي المقابل فإن الولاة العرب قد مارسوا سياسة جبائية جائرة وسلوكات تستخف بكرامة البربر وتدعم التعصب العرقي، وإن اختلفت الطرق في ذلك على حساب العنصر المحلي[6]، والحقيقة أنّ ولاة بنو أمية لم يكونوا على درجة عالية من الحكمة والورع الّذي كان عليه قادة الفتح الإسلامي على الأقل، حيث أنّ الكثير من الولاة اعتبر أنّ بلاد المغرب الإسلامي دار

---

(1)- ابن القوطية،ابو بكر محمدبن عمر بن مزاحم الاندلسي. تاريخ افتتاح الأندلس، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، مصر، ط2.1979.ص ص 30/29، ؛ -ابن خلدون، العبر، ج4، ص 239.

(2)- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 39.

(3)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص214.

(4)- لطيفة البكاي، حركة الخوارج، نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي، (37هـ/132هـ) دار الطليعة، بيروت، لبنان، ص216.

(5)- لطيفة البكاي، نفسه، ص217.

(6)- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص62.

حرب حتى بعد اعتناقهم للإسلام وتحججوا في ذلك بكون البربر كان إسلامهم ظاهريا وليس حقيقي[1]. والملاحظ هنا ان النظرة الأموية للقبائل البربرية من خلال ولاتها كانت نظرة مادية بحته عمدت على غزو القبائل وسبي نسائهم[2].

وبالنسبة لمسألة تفضيل بني أمية للعنصر العربي فإنها مست جميع المجالات.وتجلت من خلال إمتلاك العرب الأراضي الخصبة دون غيرهم من البربر وكان هذا كله مرجعه أنّ نصيب العرب في السلطة كان أكبر من البربر.

وبالرجوع إلى تواجد العرب ببلاد المغرب، وجب الذكر أنّ عرب الفتح كان أغلبهم من قحطان، وكانت تطلق عليهم عدة تسميات منها عرب المغرب أو العرب البلديون أو العرب الأفارقة...والظاهر أنّ هؤلاء العرب هم أنفسهم الّذين كانوا إلتحقوا في الحملة المتوجهة من مصر إلى الشمال الإفريقي لغرض الفتح، ويمكن القول أنّ العرب الأفارقة هم في الواقع من اقدم بيوت العرب الّذين استقروا بإفريقيا منذ تأسيس مدينة القيروان على يد القائد العربي المسلم عقبة بن نافع[3] وبعد ولاية موسى بن نصير ومجيء محمد بن يزيد القرشي (100/97هـ)، برز على مسرح الأحداث ببلاد المغرب العرب القيسيين[4]، غير أنّ نفوذ العرب اليمانيين[5]، ما لبث أنّ عاد من جديد في عهد يزيد بن أبي مسلم (102/100هـ) لكن نفوذ العرب القيسية

---

[1]– صالح مصطفى مفتاح المزيني، ليبيا منذ الفتح الليبي العربي حتى إنتقال الخلافة الفاطمية إلى مصرن الدار العربية للنشر والتوزيع، ط3ن.ليبيا.2002، ص66.

[2]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص52.

[3]– سواعدي عبد محمد، صالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري للمطبوعات القاهرة، ط1، 2004، ص25.

[4]– وهي القبائل التي نزحت باعداد لا بأس بها في عهد الفتوحات الإسلامية ببلاد المغرب، لتتضاعف هذه الهجرات اعتباراً من عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، ويبدوا أنّ هذه القبائل العربية القيسية، قد ألفت مضارب بلاد المغرب لدرجة رفض طلبات الخلافة برجوعها إلى مضاربها الأصليّة وأفضل قرينة على ذلك هو حين رفضوا أمر الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخصوص الخروج إلى بلاد الشام، أنظر: الكندي. أبو عمر محمد المصري، كتاب الولاة والقضاة، طبعة روفن حبست، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، 1908، ص83، ولم يتناقص عدد القبائل القيسية إلى بعد أنّ انتشر خبر مقتل الخليفة الوليد نتيجة لثورة اليمانية لينقضوا ما يمكن انقاذه أنظرك ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص ص 286/285.

[5]–و هو القبائل التي وقع القسط الكبير على عاتقها في الفتوحات الإسلامية فكانت هي القبائل الغالبة ثمّ تحولت مع الوقت إلى قبائل بلدية أي أصحاب البلاد أنظر: مصطفى أبو ضيف أحمد، المرجع السابق،ج1، ص 142.

ازداد حتى قدم بشير بن صفوان الكلبي (103/102هـ) والذي كان من غلات اليمنية[1]، ثمّ ظهر ما يعرف في التاريخ المغاربي الوسيط بالطلائع العربية، وتتمثل هذه الطلائع في الجيوش الّتي أرسلها بني أمية لإخماد الثورات في بلاد المغرب، ومنها الطالعة الّتي قادها كلثوم بن عياض القشيري (123/114هـ)، وكانت تتألف من عرب الشام، ولم تلق ترحيباً من عرب الفتح بسبب خوفهم من مشاركتهم لهم في الإمتيازات والأراضي[2].

لم يكن العنصر العربي من الكثرة مقارنة بقبائل البربر، بل جاء على شكل حملات وطلائع فتح وجند مقاتلين حاملين رسالة الإسلام كما حملوها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ونقلاً عن أصحابه رضوان الله عليهم، لكن ذلك السجال الّذي كان بين القبائل العربية ببلاد المغرب واحتدام الصراعات كان غالباً ما يعود بالسلب على البربر وقد صنفت العديد من المصادر هذه الصراعات على أنها أحد أهمّ أسباب دوافع البربر على الثورة ضد العرب.

ويمكن القول أنّ أغلب المصادر أشارت إلى صنفين من الولاة في بلاد المغرب، صنف أول وهو نادر ويختص فيمن إنتهج سياسة اللين إتجاه القبائل البربرية في نشر الإسلام وفي عهد هؤلاء الولاة عرفت بلاد المغرب تآلف القبائل العربية مع القبائل البربرية ومن أمثلة هؤلاء الولاة والي الخليفة عمر بن عبد العزيز وهو اسماعيل حفيد أبي المهاجر والذي تصفه المصادر بأنه "ما زال حريصاً على دعاء البربر للإسلام حتى أسلم بقية البربر بإفريقية على يديه"[3]، وعمل على إظهار الجانب المشرق للعرب الفاتحين وأسقط الجزية على من أسلم من البربر وتحرير من أسترق من نسائهم[4]. وصنف ثاني من الولاة كانوا سبباً في تأجيج أوضاع بلاد المغرب تصفهم الروايات بالظلم وسوء السيرة وكانوا سببا في توتر علاقات القبائل البربرية بالعرب الفاتحين وبسببهم تأخر نشر المذهب السني لعقود منهم يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج (102/101هـ) والذي يبدو أنه أراد مطابقة سياسته بسياسة الحجاج في ولايته بالمشرق، فأساء

---

[1]- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص216.

[2]- سواعدي عبد محمد، المرجع السابق، ص30.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج4، ص403؛- أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج1، ص57.

[4]- أحمد العزاوي، نفسه، ج1، ص57.

السيرة وشرع الجزية على من أسلم من أهل الذمة من البربر مما أدى إلى قتله من طرف القبائل البربرية بعد شهرين من ولايته[1].

وهكذا لبست القبائل العربية الحاكمة في بلاد المغرب الدور السلبي من خلال دعم التعصب العرقي بشكل مباشر أو غير مباشر[2]، وفي الوقت نفسه كان الضغط الجبائي جائزاً وكان الإستخفاف بكرامة البربر بلغ أوجه وظهرت الصراعات القبلية البينية مما عهد لظهور أسر عربية تؤسس لدويلات ببلاد المغرب منها:

أ-إمارة نكور:

نشأت هذه الإمارة الفتية في أقصى شمال المغرب الأقصى[3] وتحمل نفس إسم عاصمتها نكور، وكان ظهورها على أساس المذهب السني عكس بقية الإمارات المغربيّة[4]، وأما رواية عمرها السياسي فترجع تأسيسها إلى عهد الفتوح الأولى لبلاد المغرب وتحديداً بداية من سنة 123هـ إلى سنة 305هـ وهو تاريخ هجوم الشيعة عليها[5]، ويعد صالح بن منصور الملقب في عديد المصادر بتسمية "العبد الصالح"[6] الجد الأكبر لقبيلة بني صالح والّتي تجمع عديد المصادر على أصله العربي، فنجد البكري يشير إلى صالح على أنه من عرب اليمن[7] وأنه وفد مع الفاتحين الأوائل حيث كان من جند اليمانية وهو من بني نكور وعلى يديه أسلمت قبائل بربرية كثيرة مثل صنهاجة وغمارة[8]، وجعله ابن الخطيب أول ملوك قبيلة بني صالح وقال عنه "فنزل بمرسى تمسامان ويعرف بمرسى البقر، فأسلم على يده بربر تلك الجهة"[9] ويبدو أنّ هذا السياق سار فيه أيضاً ابن خلدون برواية مشابهة حول أصل صالح بن منصور بقوله "لما استولى المسلمون أيام الفتح على بلاد المغرب وعمالاتها واقتسموه وأمدهم الخلفاء بالبعوث إلى

---

(1)- ابن خلدون، العبر، ج4ن ص403.

(2)- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1ن ص62.

(3)- سلمى محمود، المرجع السابق، ص167.

(4)- العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص71.

(5)- العزاوي، نفسه، ج1، ص71.

(6)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص283.

(7)- ابن الخطيب.المصدر السابق، ج3، ص171؛- ابن خلدون، العبر، ج6، ص293.

(8)- البكري. المصدر السابق، ج2، ص765.

(9)- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص 172/171.

جهاد البربر وكان فيهم من كلّ القبائل من العرب، وكان صالح بن منصور الحميري من عرب اليمن في البعث الأول"[1] إلّا أنّ الوحيد الّذي ينقل تشكيكاً في نسب صالح بن منصور.هو الجغرافي اليعقوبي والذي أورد في هذا السياق قوله "...مملكة رجل يقال له صالح بن سعيد يدعي أنه من حمير، وأهل البلد يزعمون أنّه من أهل البلد نفزي، واسم مدينته العظمى الّتي ينزلها باكور".[2]

ويبدو أنّ اليعقوبي إختلط عليه الأمر بين المؤسس الحقيقي للإمارة صالح بن منصور وبين قائد قبيلة العصبة الغالبة لهذه الإمارة ونقصد بها قبيلة نفزة البربرية،[3]وقائدها داود، وهو ما نستنتجه من قول البكري في هذا السياق " ثمّ إرتد أكثرهم –يقصد القبائل البربرية–لما ثقلت عليهم شرائع الإسلام وقدموا على أنفسهم رجلا يسمى داود ويعرف بالرندي ... وأخرجوا صالحا من البلد ثمّ تلاقاهم الله بهداه وتابوا من شركهم.... واشردوا صالحا".[4]

وظلت إمارة نكور منذ قيامها إمارة سنية.... وحافظت على هذه النحلة طوال تاريخها، رغم التحرشات الّتي جاءت من جيرانها لتحويلها إلى النحلة الصفرية أو الزيدية أو المعتزلة[5] وحافظت نكور على عقيدة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصافية واحتضنت المذهب المالكي منذ عهد حاكم الإمارة صالح والذي يرجع إليه الفضل في القضاء على النحل المعادية داخل إمارته وترسيخ المذهب المالكي،[6] وأفضل قرينة على هذا ذلك النص الّذي أورده البكري بقوله " وكان لسعيد من الولد منصور وحمود وصالح وزيادة الله والرشيد وعبد الرحمان الشهيد ومعاوية وعثمان وعبد الله وإدريس وكان عبد الرحمان فقيها بمذهب مالك"[7] والقرينة الثانية تتمثل في جواب سعيد بن صالح على رسالة عبيد الله المهدي الشيعي حين دعاه لترك النحلة السنية والانخراط في النحلة الشيعية برسالة على شكل قصيدة كان مضمونها.[8]

---

[1]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص283.

[2]–اليعقوبي، المصدر السابق، ص 196.

[3]–سلمي محمود، المرجع السابق، ص 168.

[4]–البكري، المصدر السابق، ص 91.

[5]–سلمى محمود، المرجع السابق، ص 168.

[6]–ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 284.

[7]–البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 766.

[8]–الزركلي، المصدر السابق. ج3، ص 96؛– العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص 74.

فـــإن تســـتقيموا أســـتقم لصـــلاحكم وإن تعـــدلوا عنـــي أرى قـــتلكم عـــدلا
وأعلـــوا ســـيفي قـــاهرا لســـيوفكم وأدخلهـــا عفـــوا وأملؤهـــا عـــدلا

فكان رد سعيد بن صالح بأبيات أخرى.[1]

كـــذبت وبيـــت الله لا تحســـن العـــدلا ولا علـم الرحمـان مـن قولـك الفصـلا
ومـــا أنـــت إلّا جاهـــل ومنـــافق تمثـل للجهـال فـي السـنّة المثلـى
وهمتنـــا العليـــا لـــدين محمـــد وقـد جعـل الرحمـان همتـك السـفلى

وهكذا صفا الأمر لصالح لقيادة إمارة نكور لنفسه وسرعان ما إعترف الأمويون به سنة 91هـ/709هـ[2]، عن طريق الوليد إبن عبد الملك[3]، واجتمعت إليه القبائل البربرية مبايعة له[4]، وكانت البداية بمحاربة خطر النورمان المجوس الّذين غزوا سواحل بلاد المغرب سنة 244هـ،[5] بما في ذلك الإمارة السنية نكور، وعاثوا في الأرض فساد وهنا يزودنا البكري بنص حول ذات السياق بقوله " وغزا المجوس لعنهم الله مدينة نكور سنة أربع وأربعين ومائتين للهجرة، فتغلبوا عليها وانتهبوها وسبوا من فيها إلّا من خلصه الله بالفرار...وأقام المجوس بمدينة نكور ثمانية أيام"[6] واستطاعت إمارة نكور أنّ تصد هذا الغزو المجوسي وتحمل راية السنّة في بلاد المغرب مجدداً بدعم واضح من أمويي الأندلس[7] ويبدو أنّ دحر إمارة نكور للغزو النورماني كان بداية لتمرد القبائل البربرية بعد أنّ مست هيبة هذه الإمارة السنية، وقد أورد المراكشي نص في هذا السياق بقوله "وقامت البرانس على سعيد بن إدريس، فأظفره الله عليهم وهمومهم وقتل رئيسهم، ثمّ رجع من بقى منهمكا إلى الطاعة، ومات سعيد بن إدريس بعد أنّ ملكهم سبعا وثلاثين سنة"[8]، كما ذكر ابن خلدون محاولة تمرد من طرف القبيلة البربرية

---

[1]–الزركلي، االمصدر السابق، 3ج، ص 97/96؛ – العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص 74.
[2]–الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 14.
[3]–ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 42.
[4]–البكري، المصدر السابق.ج3، ص 91.
[5]–العزاوي، المصدر السابق ج1، ص 73.
[6]–البكري، المصدر السابق، ج2، ص766.
[7]– اليعقوبي، المصدر السابق، ص196.
[8]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص172.

غمارة[1] وكان ذلك في عهد أمير نكور سعيد، لكنه تغلب عليهم[2] ليظهر بعدها أكبر خطر على الإمارة السنية نكور وكان مصدر هذا الخطر هو المد الشيعي وذلك بعد رفض سعيد أمير نكور طلب المهدي الشيعي المتمثل في الخروج من النحلة السنية والدخول في ثوب النحلة الشيعية، وأمام هذا الوضع سار عامل العبيديين مصالة بن حبوس لإسقاط إمارة نكور ودارت معارك طاحنة بينهما سنة 305هـ[3] وإنتهى الأمر بإنهزام بنو صالح لحين من الدهر لكن استرجعوا الأمر مجدداً وبقي الأمر سجالاً بين القبائل المساندة لملوك بني صالح والقبائل الموالية للمد الشيعي إلى أنّ سقط حكم بني صالح على يد المرابطين عند دخولهم نكور سنة 460هـ[4] ثمّ تم هدمها على يد يوسف ابن تاشفين وهو ما يؤكده ابن خلدون بقوله "نهض يوسف بن تاشفين سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بعدها إلى الريف وافتتح كرسيم ... وخرب مدينة نكور فلم تعمر بعده"[5].

ب-الدولة الأغلبية[6](184هـ/269هـ)[7]

كان قيام دولة الأغالبة في إفريقية سنة 184هـ/800م مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بما كان يسود البلاد من اضطرابات وفوضى وصراع مذهبي. لا سيما في الفترة الممتدة من خلافة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/ -743م) إلى نهاية الدولة الأموية سنة 132هـ/750م[8]. حيث أنّ الخليفة أبو جعفر المنصور(136هـ/158هـ) قام بعزل محمد ابن الأشعث من ولاية إفريقية وولى مكانه أحد زعماء العرب من قبيلة تميم وهو الأغلب بن سالم[9] وكانت القيروان ولاية

---

(1)- ابن خلدون.العبر، ج6، ص 284؛- العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص72.

(2)-ابن خلدون، نفسه، ج6، ص440؛- العزاوي، نفسه، ج1، ص72.

(3)- العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص74.

(4)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص255؛- العزاوي، نفسه، ج1، ص76.

(5)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص247.

(6)- ينسب الأغالبة إلى الأغلب بن سالم التميمي وهو من أصل عربي وتحديداً من قبيلة تميم أنظر: محمود إسماعيل، الأغالبة سياستهم الخارجية، ط3، 2000م، عين الدراسات والبحوث الإنسانية، ص19؛ ووالده هو قعال التميمي أنظر: البلاذري،ابي العباس احمد بن يحي. جمل أنساب الأشراف،تح سهيل زكار ورياض الزركلي.دار الفكر .بيروت.ط1.1996.ج4.ص350؛- السلاوي، االمصدر السابق، ج1، ص57.

(7)- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص609؛- احمد العزاوي.المرجع السابق، ج1، ص113.

(8)- محمود اسماعيل، الأغالبة، ص09.

(9)- السلاوي، االمصدر السابق، ج1، ص57.

عربية خالصة[1] وكتب له العهد وجعلها وراثية في عقبه ومنحه شبه استقلال داخلي[2] وكان الأغالبة على نحلة الخلافة العباسية لأنه في النهاية فإن الإمارة الأغلبية هي صناعة الخلافة العباسية، فلا ريب أنّ تأخذ هذه الدولة بتقاليد دار الخلافة، فتقلدها فيما تدين به من المذاهب والعقائد فكانت الدولة الأغلبية حنفية المذهب[3] وقد عرفت عاصمة الأغالبة القيروان انتشار المذهب المالكي إلى جانب المذهب الشافعي وداود الظاهري ولكن بقلة مقارنة بالمذهبين السابقين الذكر[4].

ويبدو جلياً أنّ للتربية الدينية لإبراهيم ابن الأغلب الأثر الكبير في ثقافته الظاهرة، وتجلى ذلك بالخصوص من خلال حفظه لكتاب الله وتأييده المستمر لمذهب أهل السنّة[5] كما أثار الأغالبة مشاعر العصبية القبلية العربية والتعصب للمذهب السني[6] وتمكن ابراهيم ابن الأغلب بفضل ما لديه من حنكة وقوة العصبية المؤيدة له والمشكلة من القبائل العربية اليمنية والقيسية من أنّ يقيم دولة جديدة تمثل الدولة العباسية في بلاد إفريقية[7].

وتمكن فقهاء المذهب السني بعصبية عربية وتحت ظل دولة الأغالبة من طرد الخوارج من بلاد إفريقية إلى أن حصر وجودهم في جبل نفوسة جنوب ولاية طرابلس[8] حيث واصل الأغالبة سياسة سلفهم العرب في قمع ثروات الخوارج وكانت البداية سنة 150 هـ بملاحقة فلول الخوارج الصفرية الّذين استفحل خطرهم خاصة بعد أنّ بايعوا أباقرة المغيلي بالخلافة وأيدته القبائل الزناتية بتلمسان[9]وقد زودنا ابن خلدون بنص في هذا السياق بقوله" وفي سنة ثمانين

---

(1)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص259.

(2)- الميلي، المرجع السابق، ج1، ص602؛- عبد الرحمان الجيلالي، نفسه، ج1، ص259.

(3)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص 268/267.

(4)- عبد الرحمان الجيلالي، نفسه، ج1، ص268.

(5)- محمد زينهم محمد غريب، تاريخ مملكة الأغالبة لابن وردان، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1977، ص34.

(6)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص275.

(7)- القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص419.؛- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص118.

(8)- محمد زينهم، المرجع السابق، ص35.

(9)- محمود اسماعيل، الأغالبة، ص19.

ومائتين، كثر الخوارج، وفرق العساكر –ابراهيم الأغلبي– إليهم فإستقاموا"[1] ثمّ استطاع الأغلب أنّ يطرد هؤلاء الثوار من القيروان[2].

والملاحظ أنّ الأغالبة كانوا شديدي التعصب للعنصر القبلي العربي وكان لهذا التعصب إفرازاته منها أنهم لم يعينوا قط غير العرب في منصب وزير أو في مناصب هامة أخرى إلّا بصورة استثنائية وهو ما يدفع بالقول أنّ الدولة الأغلبية كانت تحكمها الطبقة العربية ويساندها بصورة منتظمة جند العرب[3] خاصة وأن الجيش الأغلبي كان يتكون في الأساس من العنصر العربي[4] ورغم وجود العنصر الفارسي والعبيد والصقالبة بالجيش الأغلبي إلّا أنهم لم يبلغوا من حيث القدرة والعدد ما كان للعنصر العربي[5]وبهذا تمكن جيش الأغالبة من نشر المذهب السني في كلّ طرابلس على فقه المالكية[6] وبقي الأغالبة على نظم العباسيين في النظم الإدارية وحتى المذهبية على المذهب السني الحنفي في البداية ثمّ غلب عليهم المذهب المالكي[7].

ولم يكتف العنصر العربي المشكل أساساً للدولة الأغلبية من الحفاظ على المذهب السني وفقط بل عادوا كلّ من خالفهم في المذهب[8]خاصة أنّ دولة الأغالبة كان يحيط بها العديد من القبائل المعادية لها سياسياً او مذهبياً مثل قبائل بنو يفرن الصفرية وأوربة الإدريسية العلوية، ولماية ونفوسة الإباضية الوهابية وهوارة النكارية، وكتامة الشيعية الإسماعيلية[9] لذلك فالأغالبة اعتبروا ورثة الخلافة العباسية في بلاد المغرب مذهبياً وقبلياً وكان واضحاً نشوء عداء مع من يحيط بها. ومن هؤلاء نجد بنو مدرار الصفرية الّذي لم يبلغ الصراع بينهما حد التناحر والحروب نتيجة بعد المسافة بين الدولتين[10] ومن قرائن هذا العداء أنّ الأغالبة في القيروان

(1)– ابن خلدون، العبر، ج4، ص ص 435/429 ؛ – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص123.

(2)– ابن عذارى، نفسه، ج1، ص87.

(3)– شارل أندريا جوليان، المرجع السابق، ج2، ص68 ؛– العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص ص 109/108.

(4)– العزاوي، نفسه، ج1، ص 109.

(5)– العزاوي، نفسه، ج1، ص 109.

(6)–محمد زينهم، المرجع السابق، ص35.

(7)– العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص111.

(8) العزاوي، نفسه، ج1، ص112

(9)– محمود اسماعيل، الأغالبة، ص95.

(10)– محمود اسماعيل، نفسه، ص98.

اعتبروا كلّ معتنق للمذهب الصفري هو مارق وزنديق[1] ويتعرض إلى البطش والتعنيف[2] كما خاض الأغالبة السنّة، صراعا طويلا مع قبائل بني رستم الإباضيين على ثغور الدولتين خاصة في مضارب الجريد والزاب ومنطقة طرابلس[3]وتبادل الأغالبة والرستميين العداء من خلال عديد المحطات، فقد اعتدى الأغالبة على جبل نفوسة معقل الخوارج الإباضية وكانت هذه العداوة تذكيها الإختلافات الدينية والمذهبية[4] خاصة وأن القبائل البدوية المشكلة لعصبة الدولة الرستمية كانت تتمركز في القرى الجبلية لجبل نفوسة مما أدى إلى إحتكاكهم بصفة مباشرة مع الأغالبة[5] لذلك كانت نفوسة مسرحاً للحروب والفتن[6].

وكان الإحتكاك الأول بين الأغالبة والرستميين زمن ابراهيم ابن الأغلب(184هـ/196هـ) والإمام عبد الوهاب ابن عبد الرحمان ابن رستم(171هـ/208هـ) سببه أنّ بربر هوارة حاربوا ولاة طرابلس بهدف الإنفصال بشكل كلي عن الأغالبة ليتسنى لهم الأمر كي ينضموا للدولة الرستمية[7] وبقيت قبيلة هوارة تواصل ثورتها على عرب الأغالبة[8] لكن سرعان ما تم اخماد هذه الثورة عن طريق عبد الله الأغلبي(196هـ/201)[9] .

والملاحظ أنّ الصراع الأغلبي الرستمي وإن ظهر للوهلة الأولى على أنه صراع مذهبي بين السنّة والخوارج الإباضية إلّا أنّ بواطنه كانت موسومة بالعصبية القبلية ومن قرائن هذا أنّ الأغالبة حركوا العصبية القبلية العربية داخل مضارب بنو رستم وبعاصمتهم تيهرت تحديداً وذلك بنشر بطون عربية داخل البيت الرستمي ومن ثمّ محاولة زرع بذور الفتنة والانشقاق ويبدو أنّ هذه السياسة المبنية على طابع نصرة القبيلة الأم قد أفلحت خاصة وأن سكان تيهرت إنقسموا إلى معسكرين أفرز انتكاسة لقبيلة نفوسة الّتي كانت تمثل عصبة الدولة الرستمية[10]

---

(1)– أبو العرب، المصدر السابق، ص80.

(2)– أبو العرب، نفسه، ص102.

(3)– العزاوي، المرجع السابق، ص112.

(4)– البغدادي، المصدر السابق، ص103.

(5)– محمود اسماعيل، الأغالبة،ص100.

(6)– الباروني، الأزهار الرياضية، ج2، ص 88.

(7)– محمود اسماعيل، الأغالبة، ص101.

(8)– ابن خلدون.العبر، ج6، ص121.

(9)– ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص ص 158/156.

(10)– الباروني، الأزهار، ج2، ص232.

ولم يكتف الأغالبة بهذا بل عمدوا في عهد الأمير محمد ابن الأغلب(226هـ/242هـ) أن يبنوا مدينة كاملة قبالة تيهرت وسموها " بالعباسية"[1] في إشارة إلى إنتصار الخلافة العباسية السنية والعنصر العربي، وقابل هذا أنّ قام الإمام عبد الوهاب الرستمي بإحراق هذه المدينة[2] وقاموا بالإستلاء على مناطق الأغالبة المجاورة لطرابلس[3].

وهكذا وعلى مدار أكثر من قرن من الزمن هي فترة ملك الأغالبة في بلاد المغرب، عرفت فيه بلاد المغرب استماتة كبيرة لفقهاء المذهب السني في إقامة استقرار مذهبي وسياسي[4] أم بخصوص المغرب الأقصى وقيام دولة الأدارسة فيه، فإن الأغالبة كانوا على ما يبدوا على دراية تامة بأن مشروعهم هو إقامة الخلافة العلوية في العالم الإسلامي[5] وقابل هذا تعهد من إبراهيم ابن الأغلب(184هـ/196هـ) للخلافة العباسية بمنع النفوذ العلوي من التسرب إلى المشرق[6]و هو ما جعل العلاقة تتصف بالعداء[7] ويبدوا أنّ إلتفاف القبائل البربرية حول راشد وتقوية نفوذه بالمغرب الأقصى[8] هو ما غذى فكرة الإنتقام عند الأمراء الأغالبة، وهو ما تؤكده الكثير من المصادر حول إغتيال ابراهيم ابن الأغلب لراشد بعد ولايته إفريقية ولكنها تختلف في تحديد السنّة[9] وقابله أنّ إدريس الثاني الّذي قام بإستقبال خمسمائة رجل من القبائل العربية في فاس[10]وقام بتكريمهم ورقاهم إلى أعلى المناصب[11] محاولاً بذلك إفراغ الدولة الأغلبية من عصبيتها الغالبة، ويبدوا أنّ هذا الأمر قد تفطن إليه ابراهيم ابن الأغلب فرد بدوره بأن كرر

---

(1)- ابن خلدون، العبر، ج4، ص201.

(2)- البلاذري، المصدر السابق، ص288؛-ابن خلدون، نفسه، ج4، ص201.

(3)- محمود اسماعيل، الأغالبة، ص97.

(4)- محمد زينهم، المرجع السابق، ص35.

(5)- زنبير محمد، المرجع السابق.ج2.ص 529 /530.

(6)- محمود اسماعيل، الأغالبة، ص107.

(7)- محمود اساعيل، نفسه، ص 107.

(8)- ابن ابي الزرع، المصدر السابق، ص11.

(9)- يحدها ابن خلدون في سنة 187هـ أنظر: ابن خلدون. العبر.ج4، ص13، بينما يرى ابن أبي الزرع أنّ هذه الحادثة كانت ففي سنة 187هـ انظر: ابن أبي الزرع، نفسه، ص13.

(10)- محمود اسماعيل، الاغالبة، ص113.

(11)- ابن خلدون.العبر، ج4، ص80.

محاولات تأليب القبائل البربرية على إدريس الثاني[1] وبقي حال العرب هكذا إلى غاية ظهور دويلات أخرى مستقلة بعصبيات جديدة غير العربية مما أدى إلى تضاؤل دور القبائل العربية في نصرة المذهب السني دون إنقطاعه، حيث مر على العنصر القبلي السني عديد المحن، ولم ينتعش الوجود العربي ببلاد المغرب إلّا بمجيء عرب بنو هلال أو ما يطلق على تسميتهم تغريبة بنو هلال، فمن هم بنو هلال؟

ج-عرب بنو هلال:

كانت القبائل الهلالية عبارة عن مزيج من عديد البطون من القبائل العربية مثل بني سليم وبني هلال الّذين هم في الاصل عدنانيون عرفوا بحروبهم الطويلة ضد القحطانيين ثمّ انحازوا إلى القرامطة أيام ظهورهم في القرن الثالث الهجري[2] يضاف إليهم بطون قبيلة زغبة ورياح اللتان كانتا تقيمان في إقليم برقة[3].

وتشير المصادر أنّ بني هلال دخلوا في فترة متقدمة من تاريخهم في خدمة القرامطة وسادت فيهم مقولة الرعية على دين سلطانها وتشيعوا وأكدوا ذلك بمخالطتهم العبيديين ودخولهم في نحلتهم[4]، وتمكن القرامطة من أنّ يضموا لدعوتهم قبيلة جشم[5] ويضموا قبيلة بني سليم الّذين حكموا البحرين بإسم الدولة الشيعية[6]، وعمل العبيديين على ترويض قبائل بنو هلال واحتوائها ومن ثمّ جعلها في خدمة الدعوة الإسماعيلية[7] ويبدوا أنّ عامل العصبية كان هو الغالب حيث أنّ قبائل بني هلال ناصروا إخوانهم العرب الفاطميين ذوي الأصل القرشي ضد البربر[8]، لقد جاءت أحكام قاسية عن موضوع التغريبة الهلالية والّتي تزعمتها أقلام المستشرقين

---

[1]- محمود اسماعيل.المرجع السابق، ص113.

[2]- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص337.

[3]- المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص215؛ - ابن خلدون، العبر ج6، ص06.

[4]-الطبري. أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك (310/224هـ)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، مج10، ط2، دار المعارف، مصر، ص35.

[5]- تيرس نوح، المذهب الديني للقبائل الهلالية عند دخولها بلاد المغرب، مجلة الحقيقة.ادرار.العدد 35، ص162.

[6]- المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص216.

[7]- ابن خلدون.العبر، ج6، ص17.

[8]- تيرس، المرجع السابق، ص155.

والذين استندوا على ما جاء في كتابات ابن خلدون الّذي وصفهم بالمخربين وذكر ما كانوا يمارسونه من سلب ونهب وقتل[1].

ورغم أنّ الزحف العربي الهلالي يعتبر إنجازاً عظيماً أسهم بشكل فعال في تعريب البربر وتبربر العرب[2]، ونادى بنو هلال خلال حملتهم على بلاد المغرب بشعار لنصرة الخليفة العبيدي المستنصر[3] وتعاملوا بالسكة المستنصرية[4] .

وهكذا ظل الإتجاه الديني والعقدي للقبائل الهلالية في حكم المجهول في أغلب المصادر وأقتصر ما كتب عنها على الجانب الحربي وتوزيعها الجغرافي[5] لكن غالب الظن أنهم كانوا على النحلة الشيعية وهذا يرجع لعدة اعتبارات لاسيما كونهم حلفاء للقرامطة وهي طائفة شيعية.[6] وتمكن العبيديين من ترويضهم وجعلهم في خدمة الدعوة الشيعية[7] لكن ما أنّ تمازجت هذه القبائل العربية في توليفة المجتمع المغربيّ حتى دخلت ضمن مخططات الدول الغالبة، بل وساهمت في الجهاد إلى جانب البربر المتواجدين ببلاد المغرب أو الأندلس[8].

وصفوة القول أنّ مجيء الفتح الإسلامي للشمال الإفريقي كان مبني على أساس نشر الدين الإسلامي والذي كان في بداياته خاليا من كلّ شوائب النحل الأخرى وكان على سنة خير الخلق صلى الله عليه وسلم، وكان هذا الفتح مبني على عصبية قبلية هي الغالبة تعتمد أساساً على عرب القيسية وبدرجة أكبر على عرب اليمانية، وبهذه العصب تم فتح بلاد المغرب وتم تأسيس إمارات عربية تابعة للخلافة المشرقية وأخضعوا البربر حينا من الدهر[9]، لكن سرعان ما نشبت صراعات طاحنة بين عرب الفتح والقبائل البربرية تحت عديد المسميات كالصراع بين السنّة والخوارج والصراع بين السنّة والشيعة وغيرها، وبقي الحال هكذا إلى غاية حلول القرن

---

(1)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص 17/16.

(2)- تيرس، المرجع السابق، ص152.

(3)- ابن خلدون.العبر، ج6، ص18.

(4)- طقوش، المرجع السابق، ص265.

(5)- تيرس، المرجع السابق، ص154.

(6)- تيرس، نفسه، ص151.

(7)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص17.

(8)- تيرس.المرجع السابق، ص154.

(9)- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 465.

الخامس الهجري، أين كاد ينقطع سلطان القبائل البربرية بسبب نزوح قبائل بنو هلال، ليتحول بعدها جنس ساكنة بلاد المغرب من أغلبية بربرية إلى عرب متبربريين وعم المذهب السني بلاد المغرب مشكلاً رابطة قوية بين القبائل البربرية والقبائل العربية.

المطلب الثاني: دور القبائل البربرية في نشر المذهب السني في بلاد المغرب

عرفت قبيلة صنهاجة بأنها أكثر شعوب بلاد المغرب عدداً، حتى زعم الكثير من الإخباريين أنهم يمثلون ثلث أمم البربر[1] وكانت مضاربهم بين زناتة وزواوة وإنشقت بطونهم إلى أمتين رئيسيتين الأولى تمركزت في الشمال وهي الّتي خرجت من صلبها دولتين هما بني باديس وبني حماد وانحدرت الثانية إلى أمة في الجنوب وهي الّتي خرجت منها الدولة المرابطية وكثروا في الصحراء واختلفت حياتهما بإختلاف الموطن[2].

أ-قبيلة صنهاجة -الشمال-: بعد رحيل العبيديين إلى مصر سنة (362هـ/ 973م)[3] أصبحت قبيلة صنهاجة خليفة للعبيديين ببلاد المغرب وساد هذا بالخصوص خلال فترة حكم الأمراءالأوائل لملك صنهاجة(بلكين، المنصور، باديس) (361هـ/406هـ)(973م/1016م)[4]، وعرف الصنهاجيين في البداية بانتحالهم النحلة الشيعية كمذهب رسمي للدولة الصنهاجية[5] وبدا أول ملوك صنهاجة بعد خروج العبيديين من بلاد المغرب بلكين ببسط ملكه على إفريقية كلها، وكان على ما يبدو أنه يدرك أنّ صاحب السيف ينتهي دائماً بإصطناع صاحب القلم[6] لذلك راى لزاماً عليه أنّ يفكر في الإنفصال عن الخلافة العبيدية وهذا ما تنبأ به المعز العبيدي نفسه[7] لا سيما أنّ بيئة إفريقية كانت متشبعة بمذهب السنّة المعادي للنحلة الشيعية وهذا ماكان يدفع زعماء صنهاجة لتبني فكرة الإنفصال[8].

---

(1)- الميلي، المرجع السابق، ج3، ص723.

(2)- الميلي، نفسه، ج3، ص 723.

(3)- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص74.

(4)- الهادي روجي، نفسه، ج1، ص74.

(5)- راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي دار الغرب الإسلامي.ط1، بيروت، 2005، ص274.

(6)- دغفوس، نفسه، ص274.

(7)- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص465.

(8)- دغفوس، المرجع السابق، ص274.

ومما لا ريب فيه أنّ العبيديين ورغم تنويعهم لسبل إستعطاف القبائل المغربيّة لتبني النحلة الشيعية قد فشلوا، فالمتتبع لتاريخ القبائل البربرية خلال التواجد العبيدي ببلاد المغرب يلاحظ ذلك الإنفصال بين الولائين السياسي والمذهبي لهما[1]، وهو ما عزز انتهاء الأمر كله بالمغرب الإسلامي إلى إيثار مذهب السنّة على حساب الدعوة الشيعية[2]، وهو ما يفسر المحاولة المبكرة لقبيلة صنهاجة للإنفصال عن الخلافة الفاطمية وتحديداً في عهد الأمير الصنهاجي المنصور (373هـ/386هـ)، غير أنّ وكلاء الشيعة العبيديين ببلاد المغرب مثل قبيلة كتامة أعلنت ثورة مضادة وأفشلت المحاولة سنة 378هـ[3] ليتأخر بعدها إعلان فك الإرتباط بالشيعة إلى عهد المعز حوالي سنة 440هـ[4].

ويبدو أن الخلافات الناتجة عن العدائية الّتي كانت مكبوتة لدى العامّة إتجاه بنو عبيد قد بدأت تطفو وكانت البداية بعد إنتصار بلكين لعامل القيروان عبد الله بن محمد الكاتب المحسوب على قبيلة صنهاجة وبين زيادة الله بن القديم الموالي للخلافة العبيدية[5] فضلاً عن قبيلة كتامة الّتي كانت على الولاء للعبيديين[6] وانتهت هذه الشرارة الأولى بسجن ابن قديم[7] وبقيت هذه العلاقة الفاترة بين العبيديين وقبيلة صنهاجة في جو لعب فيه أهل السنّة دوراً كبيراً في تذكية الخلافات مع الشيعة وهذا له ما يبرره، خاصة وان الشيعة نكلوا بعلماء المالكية في القيروان، وكان هذا كله تمهيداً للقطيعة الّتي ستكون على يد المعز بن باديس[8] كما كانت قبيلة زناتة العدو التقليدي لقبيلة صنهاجة تعادي أي مشروع دولة قد تفكر قبيلة صنهاجة فيه، وتعدى خلافهما الشأن السياسي إلى الشأن المذهبي كون قبيلة صنهاجة أول الأمر كانت موالية للخلافة العبيدية ذات النحلة الشيعية وقبيلة زناتة الّتي كانت موالية للخلافة الأموية ذات النحلة

---

(1)- عويس. دولة بني حماد، ص255.

(2)- ليفي بروفسنال، المرجع السابق.ص249.

(3)- العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص183.

(4)- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص 74/73.

(5)- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص103.

(6)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص247.

(7)- النويري، المصدر السابق، ج24، ص172.

(8)- دغفوس، المرجع السابق، ص275.

السنية، وهذا الإحتقان الّذي كان على مشارف حدود قبيلة صنهاجة أصبح عامل آخر في بقاء صنهاجة تحت العباءة الفاطمية إنتصاراً بقوتها ضد العدو التقليدي قبيلة زناتة ومن تحالفه[1].

وما إن أحست صنهاجة بنمو قوتها حتى بدأت تظهر عدم ولائها جهراً للعبيديين[2] رغم بقاء الدولة الصنهاجية تحت العباءة العبيدية كإتجاه عام للدولة، ولعل هذا التناقض بين ما كانت عليه العامّة الصنهاجية وبين بقاءهم ولو بشكل صوري على المذهب العبيدي كإطار سياسي للدولة، يفسر برغبة المنصور(373هـ/386هـ) بإحداث توازن بين الجانب السياسي للدولة والذي يحتم عليه الإلتزام بالمذهب الشيعي وبين معارضة قوية للعامّة لهذا المذهب، ومن هنا بدأت مرحلة التملص من الانتماء المذهبي للشيعة وهو ما نلمسه بوضوح من قول المنصور لعبد الله بن الكاتب ممثل الخليفة العبيدي عند ما جاؤوه معزين في والده ومهنئين له بالولاية حيث قال المنصور" أنّ أبي يوسف وجدي كانا يأخذان الناس بالسيف وأنا لا آخذ إلّا بالإحسان، وما أنا في هذا الملك ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب، لأني ورثته عن أبائي وأجدادي وورثوه عن أبائهم وأجدادهم»[3] وهنا كانت الرسالة واضحة للدولة العبيدية بأن قبيلة صنهاجة أقوى من أنّ يستطيع الخليفة عزل ملكها[4] وقد زودنا ابن عذاري برواية أخرى في هذا السياق بأن المنصور الصنهاجي رفعت إليه سنة 381هـ مسألة متعلقة بأن شخصاً قذف بعض الصحابة رضي الله عنهم، فأمر المنصور بقتله وصلبه[5].

وأمام هذه الإشارات القوية الّتي داومت قبيلة صنهاجة على بعثها لبلاط الدولة العبيدية كان في الجهة المقابلة العبيديون يراقبون عن كثب فيظهرون الود في الظاهر ويحيكون الدسائس والفتن في الباطن والأمثلة الشاهدة على هذه السياسة كثيرة منها تكليف عبد الله الكاتب بمهمة

---

(1)- عويس، دولة بني حماد، ص167.

(2)- عويس، نفسه، ص167.

(3)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص240؛- محمد جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1967، ص225.

(4)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص415.

(5)- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص246.

الدعوة للعبيديين[1] تمهيدا على ما يبدو لإرسال داعية ثانية يدعى أبا الفهم الخرساني سنة 377هـ[2] بهدف التنسيق بين الدعاة الشيعة وكبح كلّ ما يبعث المذهب السني من جديد.

ولم يكتف العبيديون بهذا بل منحوا السلطة المطلقة للداعية الشيعي كممثل للخليفة حتى أصبح هذا الأخير يمثل خطراً كبيراً على ملك بني زيري [3] وكان الهدف واضحاً كون أنّ العبيديين أدركوا رغبة بني زيري في الإنفصال سياسياً بتشكيل دولة خاصة بهم وبإعلان المذهب السني مذهباً رسمياً لهذه الدولة، مما أجبر زعماء صنهاجة بما فيهم المنصور ورغم إنتسابهم للمذهب العبيدي على مبايعة ممثل الشيعة الإسماعيلية في إفريقية[4] وعمد العبيديون إلى تحريك حلفائهم من القبائل البربرية خاصة كتامة وتحريضها على شن ثورات حتى لا تعطي الفرصة لبنو زيري في الإنفصال وكانت البداية بنزول الداعية الشيعي أبي الفهم بدار يوسف بن عبد الله الكاتب الّذي أمده بكل ما يحتاجه من اجل القيام بمهمة زرع بذور الثورة بمضارب كتامة[5].

وفي المقابل كلّ هذه المكائد كانت دائماً تقابل بفطنة وحذر شديد من طرف بني زيري وهو ما يؤكده ابن خلدون عندما وصف يوم إكتشاف المنصور(373هـ/386هـ) خيوط المؤامرة الّتي حيكت بين عبد الله الكاتب والثائر أبي الفهم وقبيلة كتامة بأنه يوم خراب لكتامة ووصل الحد إلى أنّ أقدم جند المنصور على أكل لحم وكبد الداعيتان الشيعيتان[6]، رغم أنّ العبيديون نهوا بنو زيري على قتال كتامة[7].

والجدير بالذكر ان الدولة العبيدية حاولت منذ الوهلة الأولى المحافظة على تبعية صنهاجة لها سياسياً ومذهبياً، وأرادت ذلك بأخف الأضرار وهو ما يفسر تلك المكائد المتكررة للعبيديين من أجل إضعاف صنهاجة وتفطن هذه الأخيرة والرد عليها دون أنّ يتسبب هذا في ذالك الصدام الّذي كان يبدو أنه محترم لكنه مؤجل ومن صور ذلك تلك المساندة القوية لأعيان

---

(1)- الهادي روجي، المرجع السابق، ج1، ص103.

(2)- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص650.

(3)- الهادي روجي، المرجع السابق، ج1، ص74.

(4)- الهادي روجي، نفسه، ج1، ص74.

(5)- محمود اسماعيل، الخوارج ، ص83.

(6)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص157؛ - النويري، المصدر السابق، ج24، ص246.

(7)- الميلي، المرجع السابق، ج2، ص650.

القيروان لممثل بلكين في حين كانت كتامة مناصرة الدولة العبيدية هذا ما يجرنا إلى أنّ نكاد نجزم أنّ هذا بداية لإنقلاب إفريقية السنية الراغبة في التحرر من الهيمنة الشيعية[1].

وتبقى مسألة دعم العبيديين لثورة خلف بن خير الهراشي[2] الّذي كان موالي للكتاميين الموالين للمعز العبيدي(341هـ/952هـ) لكن كانت نهايته مثل سابقيه على يد بلكين الصنهاجي.

والملاحظ أنه رغم كلّ المحن الّتي مرت بها علاقة بلكين الصنهاجي بالمعز العبيدي إلّا أنّ ظاهر العلاقات كانت ودية بل وصلت حد تبادل الهدايا مثل ما فعله الخليفة العبيدي حين أرسل هدية متمثلة في دنانير مضروبة بإسمه وقبلها بلكين وأصبح يتعامل بها في بلاد المغرب، مما دفع بالخليفة العبيدي إلى إقراره مجدداً على ولاية إفريقية[3] بل وأضاف له سرت وأجدابية وطرابلس[4] والأمر ذاته بقي عند تسلم المنصور وثيقة توليته بلاد إفريقية والمغرب من طرف الخليفة العبيدي[5].

والملاحظ أنه رغم التوترات التي كانت سائدة بين صنهاجة والعبيديين الا ان الود بقى شعار هذه المرحلة رغم أنّ قائد صنهاجة الجديد المنصور قد فرض على قبيلة كتامة الموالية للشيعة جباية الأموال لأول مرة بعد خروج العبيديين من بلاد المغرب[6] فضلاً عن تلك التصريحات الّتي أدلى بها المنصور المضادة للدولة العبيدية وزاد من شحن هذا التنافر الغير المصرح به أنّ بعث العزيز بالله العبيدي بمبعوثين إلى المنصور الصنهاجي يحملان سجلين لدعوته إلى عدم التعرض لأبي الفاهم الموالي الدولة العبيدية والذي تم تجهيزه من طرف العبيديين بالخيل والسلاح وقام بجمع أعيان كتامة حوله ووصل الأمر إلى أنّ ضرب السكة وصار خطراً بارزاً على دولة المنصور[7] والّتي قابلها المنصور الصنهاجي بأن حجز المبعوثين وأغلظ القول لهما

---

(1)– الهادي روجي، المرجع السابق، ج1،ص84.

(2)–النويري، المصدر السابق، ج2، ص 114/113؛ – الهادي روجي، نفسه، ج1، ص85.

(3)–– ابن الأثير، االمصدر السابق، ج8، ص 264/263؛ – المقريزي، المصدر السابق، ص294.

(4)– ابن خلدون، العبر، ج6، ص318 ؛ –ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص230.

(5)– ابن خلدون، نفسه، ج6، ص157.

(6)– القيرواني.المصدر السابق، ص77.

(7)– ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص431؛ – المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص263.

ولخليفتهما بأن شتمهما وأسمعهما سيء الكلام وقال "أبو الفهم وكتامة فعلوا وفعلوا..."[1]و عمل عكس ما طلبا وبدأ بحرب كتامة وأبي الفهم[2] ونفذ المنصور رغبته ونكل بأبي الفهم بعد أنّ قتله[3] وأذل قبيلة كتامة كلها[4] ثمّ سرح المبعوثين إلى القاهرة[5] وهم في حالة ذهول إلى الخليفة العبيدي واصفين قوم صنهاجة بعبارة جئنا من عند شياطين يأكلون الناس[6] ووصل الحد أنّ رفض المنصور طلب الخليفة العبيدي حين طلب منه بعث مجموعة من فحول صنهاجة للقاهرة لحاجته إليهم وتحجج بأن صنهاجة تحتاج جنودها في حرب زناتة[7] وقرينتنا في مسألة وجود الود بين قبيلة صنهاجة والدولة العبيدية هو وضوح عدم رغبة الطرفين في التصادم وكان ما أنّ يتوتر الأمر إلّا ويسعى العبيديون تارة وزعماء صنهاجة تارة أخرى لتليين العلاقة .

ومما لا شك فيه خلال هذه الفترة أنّ تبادل الهدايا كان هو العنوان الأكبر للحفاظ على ود هذه العلاقة وهو ما فعله المنصور في عديد من المناسبات مثل ما كان عليه الحال سنة 376هـ/986م للخليفة العزيز بالله(365هـ/386هـ)[8] مع تجديد البيعة بمجرد أنّ بلغه نبأ تولية العزيز بالله الخلافة وعمل على تشييع هذه الهدية بنفسه[9] كما بادر بأن أرسل هدية ثانية للقاهرة بلغت قيمتها ألف ألف دينار[10] ويبدو أنها جاءت لتطييب خاطر الخليفة العبيدي بعد التخلص من عبد الله الكاتب وكي يتفادى الدخول في الصراع مع العبيديين في هذا الوقت.

---

(1)– النويري، المصدر السابق، ج24، ص100؛ – ابن الأثير، االمصدر السابق، ج7، ص431.

(2)– ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص21.

(3)– ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص243.

(4)– ابن عذارى، نفسه، ج1، ص 244.1/243.

(5)– النويري، المصدر السابق، ج24، ص101

(6)– الهادي روجي، المرجع السابق، ج1، ص114؛ – القريزي، اتعاظ، ج1، ص263.

–ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص431.

(7)– ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص238؛ – ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص101.

(8)– القيرواني، المصدر السابق، ص77؛– الهادي روجي، المرجع السابق، ج1، ص111.

(9)– ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص229.

(10)– ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص415.

وفي المقابل فإن الخليفة العبيدي بادل المنصور الصنهاجي الهدايا مثل الّتي بعثها بعد قتل المنصور أبا الفهم مولى العبيديين استعطافاً له وتطييب لخاطره[1] ومن خلال هذه الرسائل الودية بين قبيلة صنهاجة والخلافة الفاطمية بمصر يظهر جلياً أنّ العبيديين قد بنو سياستهم على إثارة النعرات القبلية والصراعات الجهوية كي تبقى قبيلة صنهاجة دائما في موقف ضعف وفي احتياج دعم سياسي دائم من الدولة العبيدية، وكان بنو عبيد قد عزموا على إثارة قبيلة كتامة لتولي مهمة إضعاف صنهاجة، وهنا يبدو واضحاً أنّ العبيديين كانوا عاجزون على إرسال جيوشها إلى بلاد المغرب من جديد نتيجة المخاطر الّتي تتربص بالخلافة بمصر[2]، أو أنهم لا يملكون لا القدرة ولا الرغبة للتدخل في بلاد المغرب مجدداً[3] وبقيت تغذي كتامة بنشر فكر عدائي وبأن صنهاجة إنفردت بالحكم دونهم[4] مما أدى إلى حدوث صدام مسلح بين باديس ابن المنصور الصنهاجي والحاكم بأمر الله العبيدي من اجل الحصول على مضارب طرابلس، ومالبث كالعادة أنّ بعث كلا الطرفين هدية للآخر لتسوية الخلافات القائمة بينهما[5].

وصفوة القول أنّ الدولة العبيدية كانت تدرك القوة الّتي وصلت إليها صنهاجة كما كانت تدرك التوجه الجديد لقبيلة صنهاجة المبني على التغير المذهبي بإتجاه النحلة السنية لا سيما وأن العامّة كانت تضغط في هذا الإتجاه لذلك حاولت إبقاء صنهاجة لأطول فترة تحت المضلة السّياسيّة للعبيديين وعلى النحلة الشيعية حتى وإن تطلب الأمر حدوث ذلك ولو صورياً، وبقي الحال هكذا حتى إنفصل حماد على الدولة الصنهاجية وأقام ملك بين قبيلتي زناتة وأبناء عمومته صنهاجة من الجهة الشرقية لدولته وكان هذا الانفصال مقدمة على ما يبدو لإنفصال صنهاجة بفرعيها عن النحلة الشيعية.

1-تبني الحماديين(405هـ/547هـ) للمذهب السني:

تنسب هذه الدولة لحماد وهو أحد أبناء أسرة آل زيري بن مناد الصنهاجي وتحديداً إلى تلكاتة إحدى بطون صنهاجة ومضاربهم ما بين المغرب الأوسط وإفريقية وهم أهل مدر كما

---

(1)- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص431؛ - الهادي روجي، المرجع السابق، ج1، ص114.

(2)- رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، ص41.

(3)- جورج مارسي، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى تر: محمد عبد الصمد هيكل، مطبعة الإنتصار، الإسكندرية، 1991، ص186.

(4)- إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص81.

(5)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص259.

يذكر ابن خلدون[1]، ولما شق حماد عصا الطاعة في وجه باديس (405هـ/1015م)وادبر عليه لم ينتظر كثيراً وأعلن الخروج الرسمي من العباءة العبيدية[2] ليعلن عن دولة جديدة لها انتماؤها السياسي والمذهبي المستقل مخالفاً من سبقوه من أمراء الدولة الزيرية من قبله، ودعا للخلفاء العباسيين ببغداد[3] وأظهر مذهب السنّة[4] ونبذ مذهب العبيديين مخالفاً نهج باديس وقتل الرافضة وأظهر السنّة وترضى عن الشيخين[5] .

ويعتبر هذا الموقف أول خروج صنهاجي عن الدولة العبيدية منذ رحيلها إلى مصر[6] ورغم أنّ حماد لم يلق أية مقاومة داخلية في هذا الشأن بل وجد في هذه الدعوة تقرباً من رعيته[7] إلّا أنّ باديس عمد على حصار قلعة الحماديين مدة من الزمن إلى أنّ توفي وخلفه ابنه المعز، ويبدو أنّ قطيعة حماد للعبيديين وللمذهب الشيعي تحديداً لم تكن إلّا غطاءاً سياسياً أملته الظروف والواقع كون أنّ المذهب السني كان هو المذهب السائد لدى سكان بلاد المغرب بل كان بالنسبة لهم مذهباً وعقيدة ووطنية[8] ورغم أنّ حماد كان متذبذباً في قراراته إزاء مواقفه المذهبية إلّا أنّ الواقع يبرر ذلك بكون قراراته كانت دائماً تحت ضغط الحصار الّذي كان يضرب على دولته من حين لآخر، ودليلنا على ذلك هو ان حماد ما ان تزول عليه الضغوط إلّا ويجدد انفصاله عن المذهب الشيعي الى أنّ جاء الإنفصال بشكل قطعي سنة 408هـ/ 1018م[9]، وبعد هذه القطيعة، برز فقهاء الدولة الحمادية للتمكين للمذهب السني بإعتماد التشريع بالمذهب المالكي[10] .

---

(1)– ابن خلدون، العبر، ج1، ص202.

(2)– ابن خلدون، نفسه، ج6، ص350/ عويس، دولة بني حماد، ص167.

(3)– ابن خلدون، نفسه، ج6، ص228.

(4)– أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية.ط1، 1963م،ج4 ص198.

(5)– ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص262./ ابن خلدون، العبر، ج6، ص228/227.

(6)– عويس، دولة بني حماد، ص64.

(7)– عويس، نفسه، ص256.

(8)– عويس، نفسه، ص256.

(9)– بوعقادة عبد القادر، التحول المذهبي في العهد الصنهاجي " الحمادي الزيري" وأثره على بلاد المغرب الأوسط، مجلة أفاق الثقافية والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ع74، س 2011، ص 6-18.

(10)– علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، سلسلة الكتب الأساسية في العلوم الانسانية والاجتماعية، ص101 /100 ؛ – ابن خلدون، العبر، ج6، ص 228/227.

وهكذا استمرت المالكية تنتشر في بطون قبيلة صنهاجة حتى تغلغل فيها الوعي السني[1] وظهر عديد الفقهاء الماكلية مثل القفيه أبي حفص عمر بن أبي حسين بن الصابوني الّذي كان من فقهاء بلاد الحماديين[2] والفقيه أبو القاسم بن ابي مالك والذي بلغ صيته مسمع المعز الّذي بادله الإحترام[3]

لقد عمل الحماديون على نشر المذهب السني مستغلين تنامي قوتهم العسكرية وكون أنهم أبناء صنهاجة الّتي كانت عصبتها غالبة على أجزاء واسعة ببلاد المغرب الإسلامي وقد كان لهذا التغير المذهبي لقبيلة صنهاجة وتحولهم من المذهب الشيعي إلى السني نتائج كثيرة منها تراجع نفوذ تيارات مذهبية أخرى ونخص بالذكر أتباع النحلة الإباضية الّذين فروا إلى مناطق أخرى[4] فضلاً عن تقلص دور دعاة المهدوية وحتى الأشعرية[5] ومع ذلك فلا يوجد لدينا ما يؤكد يقيناً بأن الدولة الحمادية كانت تخلو من معتنقي المذهب الشيعي[6] والأمر نفسه يقال للنحل الدينية الأخرى، ولعل ما ذكره عبد الرحمان الجيلالي من تفصيل يوضح ذلك بقوله "مذهب الشيعة...وأهل جبل الأوراس وباغاية يعرفون بالواصلية اباضية المذهب أمّا أهل تهودة فهم أحناف...وأهل بسكرة على مذهب أهل المدينة[7] والأمر نفسه للمسيحية واليهودية[8]".

2-تبني الزيريين للمذهب السني:

انّ مسألة قطع الزيريين الدعوة للشيعة الفاطميين والّتي تبناها المعز بن باديس الصنهاجي جاءت بشكل تدريجي ذلك أنّ المعز تربى على أصول المذهب السني وإلتزم التقية في ذلك ربما لتحين الفرصة المواتية لإظهاره[9] وهو ما حدث فعلاً في عهده إذ حدث تغيير مذهبي وأصبح المذهب المالكي السني هو السائد وقال ابن خلدون في هذا السياق"...وكان المعز منحرفاً عن

---

(1)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص347.

(2)- القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 778.

(3)- القاضي عياض، نفسه، ج4، ص 179.

(4)- يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 2006، ص ص 20/19.

(5)- علاوة عمارة، مكانة الفكر العقدي في انتاج العلوم، مجلة الدراسات العقدية، قسنطينة، العدد2، 2005، ص214.

(6)- عويس، دولة بني حماد، ص256.

(7)- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص376.

(8)- عويس، دولة بني حماد، ص256.

(9)- العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص184.

المذاهب الرافضة ومنتحلاً للسنة فأعلى بمذهبه لأول ولايته...وأظلم الجو بينه وبينهم إلى أنّ إنقطع الدعاء لهم على المنابر سنة أربعين واربعمائة للهجرة"[1].

ويبدوا أنّ المؤرّخين قد اختلفوا في تحديد تاريخ إنفصال صنهاجة عن العبيديين بمصر، فإبن عذارى يذكره بتاريخ 433هـ/1042م حيث أورد في هذا السياق "...قطعت الخطبة لصاحب مصر، وأحرقت بنوده، وأمر بالدعوة للعباس بن عبد المطلب..."[2] في حين يرى ابن الأثير أنه كان سنة 435هـ/1044م وهو تاريخ وصول خطاب توليته من طرف الخليفة العباسي على بلاد المغرب بقوله" ...من عبد الله ووليه أبي جعفر القاسم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الملك...أبي تميم المعز بن باديس بن المنصور ولي أمير المؤمنين بولاية جميع بلاد المغرب وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين"[3].

ومهما يكن فإن المعز بن باديس قد أظهر نبذه للنحلة الشيعية في وقت مبكراً وكان لذلك عديد المؤشرات مثل سماحه بقتل الشيعة والذي كان على مايبدو انها رغبة لكل العامّة[4] وقطعه الخطبة للعبيديين[5] ولعن الشيعة وأزال رموزهم من البنود والرايات وعمل على تبديل عملتهم[6] وفي مقابل هذا وقع ذكر الخلفاء الراشدين وبقية الأصحاب العشرة مع العباس بن عبد الله المطلب، ثمّ أعلنت البيعة للخليفة العباسي متخذا اللون الأسود شعاراً رسمياً لدولته سنة 443هـ[7] ويزردنا ابن عذاري في هذا السياق برواية كانت أحداثها سنة 407هـ بقوله أنّ "المعز بن باديس خرج في بعض الأعياد إلى المصلى في زينته وحشوده، فكبأ به فرسه فقال عند ذلك، أبو بكر وعمر فسمعته الشيعة الّتي كانت في عسكره، فبادروا إليه ليقتلوه، فجاءه عبيده ورجاله ومن كان يكتم السنّة من اهل القيروان، ووضع السيف في الشيعة فقتل منهم ما يزيد عن الثلاثة آلاف، وسمي ذلك الموضع ببركة الدم[8]" وهذا قرينة قوية على أنّ غالبية قبيلة

---

(1)- العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص184.

(2)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص399.

(3)- ابن الاثير، المصدر السابق، ج8، ص281.

(4)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص294.

(5)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص160.

(6)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 274/273.

(7)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص325؛ - العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص184.

(8)- ابن عذاري.المصدر السابق، ج1، ص 274/273.

صنهاجة متمسكين بالمذهب السني، بل كان للمذهب شيوخ من قبيلة صنهاجة لعبت دور كبير في خلع السلطة العبيدية من أمثال أبو بكر بن عبد الرحمان وأبو عمران الفاسي وغيرهم[1] وبلغ الأمر حتى قطع أهل القيروان صلاة الجمعة إتقاءً للبدع الّتي كانت تقام بإسم الشيعة[2]. ويبدو أنّ هذه الظروف شجعت المعز على المضي قدماً في تغيير المذهب الرسمي للدولة الزيرية من التشييع إلى المذهب السني المالكي وبدأ بمحو أسماء الفاطميين من الطرز والسكة[3] بل وتبديل السكة وإعلان الدعاء على المنابر للعباسيين[4] ليتحول المعز من وكيل الفاطميين الشيعة ببلاد المغرب إلى أحد أهمّ رموز السنّة الّذي تستجير به الرعية في نصرة الدين وأهم قرائن ذلك تلك القصيدة الّتي كتبها أحد فقهاء الأندلس يمدح فيه علماء القيروان وحاكم إفريقية بقوله:

يـــا معـــز أعـــز أهـــل الـــدين وتـــردى بكـــل فضـــل مبـــين

فمـــن القيـــروان تبغـــي المعـــاني وبهـــا نشـــر كـــلّ علـــم مصـــون[5]

وقد زاد من توهج دور زعيم قبيلة صنهاجة السنية لما رد على الخليفة العبيدي المستنصر حين لامه عن عدم إقتفاء أثر أجداده فكان رد المعز "...إن أبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أنّ تملكه أسلافه ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقدير ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم».[6] ومهما يكن من قول فإن تحمس المعز لقيادة قبيلة صنهاجة وفق نصرة المذهب السني لا يمكن وضعه إلّا في السياق الّذي ذكره ابن عذاري حول نشأة المعز نفسه والذي ذكر أنّ مربي المعز والذي كان في نفس الوقت وزيره وهو أبا الحسن بن ابي الرجال قد رباه على تعاليم المذهب المالكي وقال ابن عذاري في هذا السياق "...على مذهب مالك وعلى السنّة والجماعة والشيعة لا يعلمون ذلك"[7] .

---

(1)- بوروبية رشيد، الدولة الحمادية، ص42.

(2)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص400.

(3)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص325.

(4)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص405/402.

(5)- القاضي عياض،المصدر السابق، ج4، ص 756/701 ؛-الهنتاتي، المرجع السابق، ص175.

(6)- ابن خلكان.المصدر السابق، ج4، ص321.

(7)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص 274/273.

وهكذا حلت النحلة السنية ببلاد المغرب بسيوف وقلوب قبيلة صنهاجة حيث يصف بروفنسال ذلك بقوله "منذ القرن التاسع انتهى الأمر بالمغرب الإسلامي كله، ويشمل شمالي إفريقية والأندلس، إلى إيثار مذهب مالك بن أنس بعد محاولات قام بها الأحناف لنشر مذهبهم وأخرى قام بها العبيديون – أصحاب النفوذ السياسي– لبث الدعوة الشيعية"[1].

والجدير بالذكر أنّ فترة ولاية المعز لم تكن فترة لتحول الدولة من المذهب الشيعي إلى السني فقط بل أمر بالإكتفاء بالمذهب المالكي فقط دون الحاجة إلى مذاهب أخرة وهو ما نلمسه من قوله يوم جمع الفقهاء للمناظرة بين يديه وكان فيهم فقهاء المالكية إلى جانب فقهاء الحنفية فقال "عالم أهل المدينة يكفينا"[2]، وطرد أتباع أبي حنيفة وقال "لا أحب أنّ يكون في عملي مذهبان..."[3] وأورد ابن عذاري خطبة نسبها للمعز بعد إعلانه القطيعة مع الشيعة وإعلان سنية دولته قال فيها "...من عبد الله ووليه المعز لدين الله إني أشهد أنّ لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن أفضل إنسان بعد رسول الله هو أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ علي، رضي الله عنهم، اللهم ألعن بني عبيد أعداء نبيك نفعنا الله بكرههم جميعاً"[4].

وهكذا استكمل زعيم صنهاجة استقلاله السياسي والمذهبي ويكون بذلك قد قطع شوطاً كبيراً في بناء دولة سنية عصبتها الغالبة هي صنهاجة لكن بيدو أنّ المعز تغافل عن دهاء ومكر العبيديين[5] وهو ما حدث فعلاً بعد ما دبر العبيديين مكيدة الحملة الهلالية على بلاد المغرب بإيعاز من وزير بلاط العبيديين اليازوري الّذي كان واغر الصدر على المعز[6] ورماه بجحافل من قبائل بنو هلال وبني سليم بعد أنّ شحنها على غزو القيروان.

---

(1)– ليفي برونفسال، المرجع السابق، ص249.

(2)– عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص347.

(3)– عبد الرحمان الجيلالي، نفسه، ج1، ص 347.

(4)– ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص276.

(5)– أحمد التيجاني، المرجع السابق، ص20.

(6)– عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص336.

ب/قبيلة صنهاجة (الجنوب الملتمين):

نقصد بقبائل صنهاجة الجنوب تلك القبائل الضاربة في التاريخ من فرع صنهاجة الّتي انتشرت بطونها في الجهة الجنوبية لبلاد المغرب مثل لمتونة وجدالة ومسوفة[1] وأمتهنت دور الوساطة التجارية[2]و كان ذلك على نطاق جغرافي كبير إمتد بين بلاد المغرب وإفريقيا السوداء[3] ولقبوا بالملتمين.

وقد اختلف المؤرّخون حول اصل هذه التسمية بين من نسبها إلى أجدادهم الأولون من بني حمير[4] والذين كانوا يتلثمون بسبب شدة الحر والبرد وكان في البداية يتلتم الخاصة منهم إلى أنّ كثر عددهم حتى صار يفعله عامتهم[5] في حين يذكر ابن الخطيب أنّ صنهاجة اللثام آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم في عهد مبكر، ولما غلبهم أصحاب الكفر، تلثموا قصد التمويه وعدم التعرف عليهم[6] وقيل في موقع آخر أنهم كانوا يهاجمونهم وهم على قلة من الرجال فألبسوا النساء زي الرجال باللثام لإظهار كثرتهم وقيل أنهم لبسوا اللثام لإظهار أنهم نساء فيأخذون العدو أخذة الرجال فينتصرون عليه، وبقي الحال كذلك حينا من الدهر، فلا يعرف الشيخ منهم من الشاب[7]، والمرجح في هذه المسألة أنّ لبس اللثام له علاقة بمناخ الصحراء وقساوته[8] وأفضل قرينة على ذلك أنّ احفاد المرابطون ما زالوا يتلثمون إلى يومنا هذا لنفس المبررات الآنفة الذكر[9] فأصبحوا ينعتون بأصحاب اللثام فقيل في ذلك:

---

(1)- عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص66؛- العزاوي، المرجع السابق، ج2، ص ص 17/16/15.

(2)- العزاوي، نفسه، ص15.

(3)- أكنوش، المرجع السابق، ص65.

(4)- ابن خلكان. المصدر السابق.ص 128؛-احمد العزاوي.المرجع السابق.ج2.ص15

(5)- ابن خلكان، نفسه، ج7، ص129؛- ابن حوقل، المصدر السابق، ص99 ؛- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص330.

(6)- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص08.

(7)- السيلاوي، المصدر السابق، ج1، ص04ح- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص28.

(8)- احمد العزاوي، المرجع السابق، ج2، ص15.

(9)- دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفرقيا، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1988، ص ص 30/16؛- حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، الفكر العربي.ط2، مدينة نصر، القاهرة، 1996، ص42.

قـــوم لهـــم درك العـــلا حميـــر وإن أنـــتم صـــنهاجة فهـــو هـــمُ
لمـــا حـــووا إحـــرازا كـــلّ فضـــيلة غلـــب علـــيهم الحيـــاء فتلثمـــوا[1]

1-إسلام قبيلة صنهاجة الجنوب:

لم يستقر رأي المؤرّخين في مسألة تاريخ إسلام قبيلة صنهاجة اللثام فمنهم من قال أنّ إسلامهم جاء على مدار قرن ونصف القرن من الزمن وبشكل تدريجي بداية من سنة 850م إلى غاية سنة 1000م[2] في حين أعطى بعض المؤرّخين إطار زماني أوسع حول مسألة إعتناق صنهاجة الجنوب للإسلام وتم تحديد ذلك من سنة 740م إلى سنة 1050م[3] وهناك من يحددها بتاريخ غزوة عقبة بن نافع للمغرب الأقصى[4] وهناك رأي آخر رأى أنّ تاريخ إسلام صنهاجة الجنوب جاء في فترة متأخرة وتحديداً سنة 1020م وتم ربط ذلك بدخول زعيم قبيلة صنهاجة اللثام " تارسينا" لدين العرب[5].

ومهما يكن فإن إسلام صنهاجة الملثمين كان له الأثر البالغ في مسار تاريخ بلاد المغرب ككل خاصة أنّ ذلك جاء في سياق تاريخي صعب مرت به المنطقة ككل ومن كلّ الجبهات، فمن الجهة الشمالية كانت قبائل زناتة وحتى المصامدة يمارسون ضغوط كبيرة على بطون صنهاجة[6] وأربك أي تحالف لقبائل صنهاجة[7] والأمر نفسه في النطاق الجنوبي بوجود ممالك السودان الغربي والّتي كانت على الديانة الوثنية[8]، فكان الرهان كبيراً على قبيلة صنهاجة بين الحاجة لبناء حلف قبلي يكون سيفاً لنشر المذهب المالكي بعد استنفاذ الدعوة له.

---

[1]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص130.

[2]- Raymond Mauny, tableau geographique de ouest africain au moyan age d'après les source ecrites , la tradiction et l'archéologie ifan, dacra1961, p p 522/523.

- العزاوي، المرجع السابق، ج2، ص18.

[3]- أكفوش، المرجع السابق، ج2، ص18.

[4]- العزاوي، المرجع السابق، ج2، ص18.

[5]- Maurice delafosse ,haut senégal niger, soudan,fransais paris 1912 ,l, pp 32/33.

[6]- أكنوش، المرجع السابق، ص65.

[7]- أكنوش، نفسه، ص 67/66.

[8]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص371.

والملاحظ هنا أنّ مسألة توشح صنهاجة اللثام للمذهب المالكي[1] ساهمت فيه عديد المعطيات الّتي كان يمر بها المغرب الإسلامي لاسيما خلال عهد المرابطين، أولها نفور قبائل صنهاجة اللتام من كلّ النزعات الباطنية الّتي كانت تبدو للمغاربة على درجة كبيرة من التعقيد، وفي مقابل ذلك كان يظهر المذهب المالكي مناسباً مع طبيعة وذهنية سكان الصحراء[2] ولعل هذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله "فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة الّتي لأهل العراق، فكانوا لأهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي عنهم غضا ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتذهيبها كما وقع لغيره من المذاهب"[3].

وصفوة القول أنّ صنهاجة اللثام رأت في مذهب أهل المدينة نظرة الطهر والصفاء[4] فضلاً على أنهم لا يتقبولون النزعات الباطنية ولا المذاهب الفكرية الّتي تتسم بالتعقيد كالأشعرية والإسماعيلية الّتي لا تتكيف مع فهم عامّة صنهاجة، وبفضل هذا المذهب تحولت صنهاجة البدوية إلى شعب صاحب رسالة حضارية[5].

2-دور الحلف القبلي لصنهاجة الجنوب في نشر المذهب المالكي:

لطالما سعت قبيلة صنهاجة الجنوب إلى تبني سياسة إنشاء حلف قبلي قوي يحفظ لها مصالحها، وكان أول تحالف لقبائل صنهاجة اللثام والّتي أشارت إليه المصادر يتكون من بعض بطون صنهاجة مثل لمتونة ومسوفة وجدالة بزعامّة لمتونة ضد قبائل السودان[6] ومن ثمار هذا الحلف أنّ السودان كله أصبح يمد قبائل الملثمين بالجزية[7]، لكن هذا الحلف لم يصمد طويلاً وكان مآله التشتت وطال ذلك لمدة تزيد عن القرن وعشرون سنة [8]ليجمع هذا

---

(1)- الميلي، المرجع السابق، ج3، ص810.

(2)- ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، الجزائر،ج1. ص179.

(3)- ابن خلدون/ المقدمة، ص457.

(4)- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص179.

(5)- محمد الأمين بلغيث، العلاقات الحمادية المرابطية من خلال ديوان الإنشاء. أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس 398-1427/ 1007-2007م مسيلة أيام 11/10/9، أفريل 2007م، ص55.

(6)- البكري، المصدر السابق، ج2، ص758.

(7)- ابن حوقل، المصدر السابق، ص1000؛- ابن خلدون، العبر، ج6، ص381.

(8)- السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص757.

الحلف القديم الجديد مقوماته مجدداً لكن بقيادة لمتونية جديدة تمثلت في زعامّة الأمير أبي عبد الله بن تيفاوت اللمتوني في سنة 426هـ[1] .

وهكذا بقيت الرئاسة في قبائل صنهاجة الجنوب في قبيلة لمتونة نتيجة شدة بأس هذه القبيلة والّتي وصفها البكري بقوله "وكان للمتونة في قتالهم شدة وجد ليس لغيرهم، وهم يختارون الموت على الإنهزام"[2] ثمّ آلت الرئاسة إلى قبيلة جدالة، وكان ذلك في عهد الأمير يحي بن إبراهيم[3] صهر أبي عبد الله المعروف برحلة حجه مع أعيان قبيلته[4] تاركاً الحكم لإبنه إبراهيم[5] واختلفت المصادر حول تاريخ حج الأمير يحي[6]، الّذي يبدو أنه أدرك أنّ العصبية القبلية لوحدها غير كافية لإعلان حلف قبلي قوي[7]، وكان لزاماً عليه أنّ يجد عصبية دينية تجمع ما تفرق من بطون قبيلة صنهاجة اللثام وفق شعار إصلاح ديني وسياسي جديد[8] وهو ما حدث فعلاً حين إستطاع يحي ابن إبراهيم الجدالي أنّ يقنع الفقيه المغربيّ أبا عمران الفاسي[9] بأن يتوسط له عند تلميذه الفقيه البربري وجاج بن زللو اللمطي[10] والذي كان على درجة من الذكاء

---

(1)- البكري، المصدر السابق، ج2، ص757؛- ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 121.

(2)- البكري، نفسه، ج2، ص166.

(3)- حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري بالمغرب والأندلس في عهد المرابطين، (د، ط)، دار المعرفة الجامعية (د، م، ن).مصر.1997م، ص37.

(4)- مجهول، الحلل الموشية، ص19؛ - ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص08.

(5)- ابن أبي دينار.المصدر السابق. ص131

(6)- يذكره القلقشندي في سنة 440هـ أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص189؛ ويذكره النويري في سنة 445هـ، أنظر:النويري، المصدر السابق، ج24، ص143، وتذكره مصادر اخرى في سنة 427هخ أو 429هـ، أنظر: ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص122.

(7)- الميلي، المرجع السابق، ج3، ص808.

(8)- أكنوش، المرجع السابق، ص67.

(9)- أبو عمران الفاسي، هو موسى بن عيسى بن أبي حاج البربري ونسبه إلى عفجوم إحدى بطون زناتة، وهو شيخ المالكية بالقيروان توفى سنة (430هـ/ 1037م) أنظر: ابن العماد،المصدر السابق،ج5، ص153

(10)- وجاج بن زللو، فقيه بربري، رحل إلى القيروان، وهو من تلامذة ابي عمران، وأخذ العلم عنه بعدها رجع إلى مضارب السوس، وبنى دار لطلبة العلم، أنظر: مجهول، مفاخر البربر، ص165.

كونه إختار الفقيه عبد الله بن ياسين[1] الّذي جمع بين التفقه في الدين والإنتماء لقبيلة صنهاجة كونه ابن قبيلة صنهاجة، وبهذا يكون قد ضمن التحالف الديني والقبلي معاً[2].

وقد أشارت العديد من المصادر إلى هذه الرواية ووضعتها في سياق تفطن أبي عمران الفاسي إلى وجوب وجود العصبية القبلية بجانب الدعوة الدينية من اجل نصرة المذهب المالكي في مضارب صنهاجة الجنوب وهو ما يفسر على ما يبدو سبب بعث أبي عمران، إبراهيم إلى وجاج بن زللو، كون هذا الخير هو من أبناء منطقة صنهاجة اللثام أو المناطق القريبة منهم، وبهذا ضمن أنه يعرف طباع وبأس بطون صنهاجة وهو أيضا أقربهم بمعرفة لغة لسان الملثمين لتقريب الدين إليهم[3] وتوضح الأمر أكثر حين إختار وجاج بن زللو، عبد الله بن ياسين الجزولي وهو أيضا بربري صنهاجي من قبيلة جزولة[4]. وهو ما يتطابق مع فكر ابن خلدون الّذي يرى أنّ العصبية في المجتمع البربري لا يمكن أبداً أنّ ترتقي إلى مرتبة العصبة الجامعة إلّا بتوفر عامل حادث وهو عامل الدعوة الدينية الّتي تتباناها عصبية غالبة تكون مرتبطة في الأساس بعصبيات أخرى بروابط النسب العام وهو ما يجعلها تقاوم لمدة طويلة على إعتبار أنّ الصبغة الدينية تذهب التنافس والتحاسد بين العصب[5].

وهكذا كان إقبال عبد الله بن ياسين إلى مضارب صنهاجة اللثام وتحديداً إلى قبيلة جدالة بمعية يحي ابن ابراهيم وكانت دعوته مبنية على الإسلام البسيط الّذي يحمل التعبدات الظاهرة وفق النحلة السنية[6] ولم يقتصر عبد الله بن ياسين في دعوته على تعليم صنهاجة الجنوب شرائع المذهب الملكي فقط[7] بل حاول جاهداً أنّ يكون رجل إجماع من اجل جمع شمل القبائل المتنافرة على أسس صحيحة تفضل وحدة الدين على صعبية القبيلة، ورغم إمتلاك عبد الله ابن

---

(1)– عبد الله بن ياسين، وصفته المصادر بأنه من أهل الفطنة والدين والتقوى والعفة والسياسة أنظر: ابن أبي الزرع، نفس المصدر، ص124/ وتنسبه المصادر إلى قبيلة جزولة البربرية الصنهاجية، انظر: البكري، االمصدر السابق، ج2، ص165.

(2)– أكنوش، المرجع السابق، ص67.

(3)–حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى.دار الفكر العربي.القاهرة مصر، ص112.

(4)– البكري، المصدر السابق، ج2، ص759.

(5)– الجابري، المرجع السابق، ص ص 190/189.

(6)– العزاوي، المرجع السابق، ج2، ص180؛ أكنوش، المرجع السابق، ص68.

(7)– المراكشي عبد الواحد، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصرن 1997م، ص13.

ياسين للدعوة الدينية وانتماؤه لنفس نسب صنهاجة إلّا أنّ الدعوة الدينية لما تقاطعت مع تقاليد القبيلة لاسيما في جانب العدالة[1] ونشر المساواة بين الموالى والسادة، أدى إلى ظهور معارضة قوية أدت به للإنسحاب بعد أن وصل إلى درجة اليأس من إصلاح حالهم[2].

والملاحظ هنا أنّ عبد الله ابن ياسين حين فشل في بناء حلف قبلي في بداية دعوته لم تنطبق عليه فلسفة ابن خلدون التي ذكرها في في كتابه المقدمة و الداعية إلى أنّ قيام الدول لا يصفو إلّا بدعوة دينية تكمل العصبية القبلية، ويبدو أنّ عبد الله ابن ياسين قد تشدد في تطبيق شرائع المذهب السني[3]فادبر عنه الملثمين مما أدى به إلى اللجوء إلى رباط عند مصب نهر السينغال[4] وبدأ ابن ياسين في نشر المذهب المالكي والتمكين له[5] وفي الوقت نفسه دعا من كان معه إلى الجهاد في سبيل الله مسمياً إياهم بالمرابطين[6] ومتوشحا ثوب القائد العسكري[7].

ومما لاريب فيه أنّ صنهاجة اللثام أدركت مع مرور الوقت حاجتها للدعوة الدينية لبناء حلف قبلي يثبت سطوتها على طرق التجارة ويدعمها لمجابهة حلف زناتة في الشمال[8] مما دفع نخبة بطون صنهاجة وجدالة ومسوفة وخاصة قبيلة لمتونة للعدول عن مواقفها السابقة تجاه عبد الله ابن ياسين[9] وإنشاء حلف صنهاجي جديد بثوب المذهب السني ليتطور هذا الحلف القبلي إلى مشروع دولة وهو ما حدث فعلا وأفرز تكوين الدولة المرابطية، وهذا ما يؤكده ابن خلدون بقوله"وأعتبر ذلك أيضاً في دولة لمتونة ...فقد كان بالمغرب من القبائل كثير من يقاومهم في العدد والعصبة أو يشف عليهم إلّا أنّ الإجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالإستبصار والإستماتة"[10].

---

[1]– أكنوش، المرجع السابق، ص68.

[2]– دندش، المرجع السابق، ص65.

[3]– البكري، المصدر السابق.ج2، ص564.–ابن خلدون.العبر.ج6.ص 374

[4]– العزاوي، المرجع السابق، ج2، ص19.

[5]– حسن احمد محمود، المرجع السابق. ص325.

[6]– ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص125.

[7]– المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، ص16.

[8]– أكنوش، المرجع السابق، ص68.

[9]– أكنوش، نفسه، ص 68.

[10]– ابن خلدون، العبر، ج6، ص170.

وبالرجوع إلى بداية هذا الحلف القبلي الصنهاجي الجديد، نجد أنّ عبد الله بن ياسين بدأ بإختيار أشراف صنهاجة[1] وكان واضح أنه إذا صلح إيمانهم يسهل صلح قبيلتهم وهو ما كان فعلاً إذ أنه بعث أشراف صنهاجة لمختلف بطونها لدعوتهم للإسلام ولما لم ينتهوا جمع أشياخ القبائل ورؤسائهم وأعلن الجهاد، ويبدو أنه كان يدرك أنّ العصبية الغالبة كانت لقبيلة جدالة وسقوطها هو سقوط لكل صنهاجة فبدأ بمهاجمتها[2].

وقتل منها خلقا كثيرا[3] وصلح إسلام من بقي منها[4].

لقد كان لهذا الإنتصار صدى عظيما بلغ مسامع جميع قبائل صنهاجة الجنوب، واستبسلت قبيلة لمتونة في إلحاق ما بقي من بطونها لحلف صنهاجة السني الجديد[5] وبهذا سارعت قبائل لمطة ومسوفة للإنضمام للحلف القبلي الجديد، وأصبحت تسمية الملثمين أو حتى المرابطين عنواناً لكل من تحالف مع صنهاجة الجنوب من القبائل الضاربة في الصحراء[6].

وتجدر الإشارة هنا أنّ هذا الحلف القبلي السني الجديد تجاوز حدود الشخصية القبلية واصبح دعوة دينية ونظاما سياسيا جديدا على نمط مغاير للأنماط القبلية[7] وتمكنت صنهاجة الجنوب بعد أنّ تعاظمت قوتها بقيادة يحي بن عمر اللمتوني الّذي خلف يحي بن ابراهيم الجدالي من فتح سجلماسة ودرعة[8] من قبضة زناتة سنة (446هـ/1055م)[9] ثمّ جاء الدور لقيادة أبي بكر بن عمر للحلف الصنهاجي بمسمى الدولة المرابطية وذلك بعد إستشهاد يحي بن عمر اللمتوني في معركة أودغست بمملكة غانة[10] وكان واضحاً خلال هذه الفترة على الأقل أنّ الحلف الصنهاجي الجديد متوازن في قيادته المذهبية السنية خاصة وأن عبد الله بن ياسين

---

(1)- Trimigham. J.s.a. History of islam in west africa.p23

(2)– ابن أبي الزرع، المصدر السابق. ص125؛– الميلي، المرجع السابق، ج3، ص808.

(3)– ابن أبي الزرع، نفسه، ص125.

Trimigham –op cit. P24.

(4)– ابن الخطيب، المصدر السابق، ص227؛– دندش، المرجع السابق، ص76.

(5)– الميلي، المرجع السابق، ج3، ص811.

(6)– عبد المعنم حمدي محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997، (د، ط)، ص37.

(7)– عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، ص78.

(8)– الحموي، المصدر السابق، ج2، ص451؛– العزاوي، المرجع السابق، ج2، ص20.

(9)– ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص13.

(10)– ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص128.

إحتفظ بالقيادة الروحية لهذا الحلف[1] وترك قيادة الحلف القبلي الحربي ليحي بن عمر ثمّ خلفه أبو بكر بن عمر[2] مع منح نفوذ وحرية كبيرة لأشياخ القبائل المشكلة للدولة المرابطية كونهم هم حماة عصبية قبائلهم وهم من يحافظون على النظام فيها[3] .

وفي المقابل كان المذهب المالكي قد توطد فقها واعتقادا على سائر قبائل صنهاجة اللثام خلال هذه الفترة[4] وهناك عديد القرائن على تمكن المذهب المالكي في هذه الفترة منها ما قام به عبد الله بن ياسين حين قسم لأول مرة غنائم الجهاد على اللمتونين[5] وقيامه بإلزام القبائل بدفع ثلث أموالها للجهاد في سبيل الله[6]ناهيك عن إلزام القبائل إخراج "العشر"[7].

وتجدر الاشارة الى انه ومع مرور الوقت غلبت العصبية القبلية على السلطة الدينية وتحديداً بعد وفاة القائد الروحي لهذا الحلف عبد الله بن ياسين، مما جعل على ما يبدو أنّ كلّ بطون صنهاجة تطلب الرئاسة وتتنافس على زعامّة هذا الحلف وزادت العصبية القبلية على وجوب الإمتثال للحلف الديني واستحضرت القبائل نعراتها العصبية، وكانت البداية بإغارة قبيلة جدالة على قبيلة لمتونة وبلغ فيها القتال أشده[8] ثمّ صراع قبيلة لمتونة ضد قبيلة مسوفة[9] وكان على ما يبدو أنّ الامير أبو بكر بن عمر يدرك جيداً أنّ نجاح النحلة السنية في بلاد المغرب كله مرتبط بمدى نجاح الحلف القبلي الصنهاجي، لذلك لما أحس بخطورة الأحداث مضى بنفسه إلى الجنوب في مهمة رأب الصدع وتوحيد بطون صنهاجة من جديد، وقد نجح أخيراً في ترويض العصبيات الهائجة وتطييب خواطر زعماء قبائلهم بل وأقنعهم بأن يسلموا زمام عصبيتهم القبلية للفقهاء السنّة كي يستغلوا هذه العصبية في الدفاع عن المشروع الديني قبل المشروع القبلي وتحت سلطة سياسية بمسمى الدولة المرابطية.

---

(1)- مؤلف مجهول، الحلل الموشية. ص21.

(2)- أكنوش، المرجع السابق، ص69.

(3)- بروفنسال، المرجع السابق، ص243.

(4)- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص ص 465/464.

(5)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص13.

(6)- البكري، المصدر السابق، ج2ن ص166؛- ابن عذاري، نفسه، ج1، ص10.

(7)- ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص126؛- عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، ص78.

(8)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص20.

(9)- ابن خلدون، العبر. ج6، ص377.

وهكذا فإن مشروع الحلف القبلي الصنهاجي عرف نجاحا كبيرا ليس بسبب الإنتصارات العسكرية فقط، ولكن بفضل الإحتفاظ بالمشروع الديني المتمثل في الدفاع عن المذهب السني بثبات مما مكن قبيلة صنهاجة اللثام من قيادة الحلف القبلي المكون لدولة المرابطين السنية، حيث تمكنوا من فتح أهمّ تغرين في المغرب وهما طنجة سنة (470هـ/1077م) وسبتة سنة (477هـ/1089م)[1] وشاركوا بمعركة الزلاقة سنة (479هـ/1086م)[2] معلنين رفع راية الإسلام بسيوف بربرية صنهاجية، وزاد من قوة حلف قبائل صنهاجة أنّ قادة هذا الحلف كانت دائماً من القبيلة ذات العصبية الغالبة نتيجة شدة بأسها في الحروب[3].

وفي المقابل فإن هذه القبائل كانت تعبر بإستمرار على ولائها للدولة المرابطية وذلك بإيفاد شيوخها لتقديم الطاعة والولاء للأمراء الجدد تحت غطاء البيعة[4] وفي الوقت نفسه إعطاءا لشرعية الملك من طرف القبائل[5] فضلاً على أنه ضماناً أيضاً من أجل تقديم القبائل الصنهاجية لفحولها دعماً لجيش الحلف القبلي ونصرة لمذهب الدولة[6] مع إبقاء حيز كبير لنفوذ سلطة الفقهاء.

وبقي الحال هكذا إلى غاية أنّ آلت الرئاسة ليوسف ابن تاشفين[7] الّذي أصبح يدير شؤون هذا الحلف القبلي ويلقب بأمير المسلمين وأصبح يعين كبار المسؤولين في الدولة من فلول القبائل الغالبة في الحلف الصنهاجي مثل قبيلة جدالة ولمتونة ومسوفة[8] وكانت هي القبائل صاحبة الحظوة[9]، في حين كانت القبائل الّتي همشت ولم تنل حظها من الرياسة قد اعلنت العداء للحلف الصنهاجي المرابطي ومذهبه بل وساندت الموحدين فيما بعد نكاية في بني عمومتهم[10].

---

(1)- ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص142.

(2)- ابن أبي الزرع، نفسه، ص147.

(3)- ابن عذاري، المصدر السابق. ج4، ص11.

(4)- بوتشيش، مباحث، ص244/ ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص142.

(5)- ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص142.

(6)- بوتشيش، مباحث، ص245.

(7)- أكنوش، المرجع السابق، ص69.

(8)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص252؛- بوتشيش، مباحث، ص245؛ - أكنوش، نفسه، ص69.

(9)- ابن خلدون، نفسه، ج6، ص 252.

(10)- البيدق، المصدر السابق، ص ص 53- 56؛ - بوتشيش، مباحث، ص 245.

ومن جهة اخرى فان الحلف الصنهاجي المرابطي كان صارما وبلغ حد محاولات قتل مشائخ القبائل المتمردة[1]، لكن ما كان يعاب على المرابطين هو اكتفاؤهم بالولاء القبلي بسلطة رمزية وبقي الجانب الامني الداخلي من مهام القبائل[2]. مما اعطى سلطة كبيرة وصلاحيات واسعة لشيخ القبيلة على حساب الحلف القبلي الصنهاجي.

والجدير بالذكر أنّ غالبية مشائخ القبائل كانوا فقهاء مما ادى الى توطين المذهب المالكي وهو مانستنتجه من نص رسالة تاشفين بن علي(537هـ/539هـ) الى يحي بن غانية الّذي كان يشغل منصب والي على بلنسية .يشدد فيها على وجوب الالتزام بالمذهب المالكي والافتاء به حصريا[3] لذلك بلغ فقهاء المذهب المالكي دور قيادة الدولة .وهنا يقول عبد الواحد المراكشي "كان امير المسلمين ابن يوسف لا يقطع رايا إلّا بفتوى من الفقهاء وعندما كان يعين قاضيا. كان يلزمه بالا يقضي في امر إلّا بحضور اربعة فقهاء وقد وصل هؤلاء الى قمة الدولة "[4] وهكذا وفي الفترة المتأخرة للدولة المرابطية أصبح الفقهاء هم اصحاب السلطة الفعلية[5].

وعلى ما يبدو أنّ يوسف ابن تاشفين(465هـ/500هـ) قد تفطن له فسلك سلوك الاعتدال بين العصبيتين الدينية والقبلية، حيث أنه زاوج بين الولاء للمذهب السني بإعلان نفسه أميراً للمسلمين ومولياً للخليفة العباسي[6] وبين ولاء قبلي لقبيلته الأم لمتونة بأن يكون مترشح لمنصب أمير المؤمنين على حلف صنهاجة مستنداً على عصبية قبيلته[7].

---

[1]- بوتشيش، مباحث، ص 246.

[2]- بوتشيش، نفسه، ص 246.

[3]- مؤنس حسين، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2000، ص 20.

[4]- عبد الواحد المراكشي، وثائق، ص 95.

[5]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 411.

[6]- العزاوي، المرجع السابق، ج2، ص24.

[7] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1976، ج4، ص316.

ا-قبيلة أورية:

تعتبر هذه القبيلة من أهمّ القبائل البربرية المعتنقة للفكر الاعتزالي[1] لكنهم على ما يبدو كانوا يتوقون لإنشاء دولة تلتف حولها ما جاورها من القبائل البربرية على أنّ تكون قبيلة اوربة هي العصبة الغالبة فيها[2] وهو ما وجدته في الدولة الإدريسية(172هـ/375هـ) الّتي قامت في المغرب الأقصى سنة 172هـ-788م[3] خاصة وأن مؤسس الدولة الإدريسية له عصبية دينية وليست قبلية وبهذا يمكن التخلص من التنازع بين القبائل في قضية الزعامّة .فماهي النزعة الدينية الّتي كانت عليها الدولة الإدريسية والّتي حققت اتحادا قبليا جديدا بزعامّة قبيلة أوربية.

1- مسألة مذهب الدولة الإدريسية:

لطالما كانت قضية مذهب الدولة الإدريسية قضية اختلاف بين المؤرّخين والباحثين، وكان جوهر هذا الخلاف حول هل هذه الدولة كانت على المذهب الشيعي أو السني أو على مذهب المعتزلة ومن أجل الفصل في هذه المسألة رأينا أنّ نأخذ جردًا بما توفر لنا من أراء المصادر الّتي بحوزتنا ثمّ ترجيح الأقرب للصواب حسب رأينا. وبدأنا هذا الجرد بمن قال بشيعية هذه الدولة، وقد أسندت هذه الآراء بقرائن منها: قول المقدسي "يوم مرّ إدريس"[4] بمصر حيث قال "فوقع بمصر وعلى بريدها واضح مُولى المنصور وكان شيعيا فحمله على البريد إلى المغرب فوقع بأرض طنجة فاستجاب له من فيها وحولها"[5] في حين أنّ المؤرّخ مبارك الميلي ذهب إلى الفصل يقينا بتمذهب إدريس بالمذهب الشيعي الزيدي بقوله "وكان من المذاهب الدينية مذهب

---

[1] أحمد محمد عبد المقصود، الدعاية السّياسيّة والإعلام المذهبي في بلاد المغرب والأندلس، ج 1، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، مصر، 2014م، ص 305؛-احمد العزاوي.المرجع السابق.ج2.ص 115.114

[2] أحمد العزاوي، نفسه، ج 2، ص 117.

[3] سلمى محمود، المرجع السابق، ص 186.

[4] هو إدريس بن الحسن المثنى بن الحسين بن علي بن أبي طالب، مؤسس الدولة الإدريسية يعد موقعه "فخ" الشهرة فرّ إلى المغرب الأقصى مرورًا بمصر سنة 172 هـ ونزل مدينة وليلي بعد أنّ التقى اسحاق بن محمد الأوربي وبايعته بعد أوربة أولاً ثمّ قبائل البربر.انظر:-ابن حزم،المصدر السابق.ص 45-49؛-الزركلي. المصدر السابق.ج1.ص 279؛-احمد العزاوي. المرجع السابق.ج2.ص115-116

[5] أبو عبد الله محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 2، مطبعة بريل، 1906، ص 47؛-ابن خلدون.العبر.ج4.ص11

الزيدية من الشيعة وهو مذهب إدريس..."[1] وهو ما ذهب إليه أيضًا المؤرّخ أحمد عزاوي[2] في حين اِعتبر بعض المؤرّخين أنّ رواية مرور إدريس الأول على مصر وتمكنه من الخروج منها قاصدًا بلاد المغرب لن يتأتى إلّا بقرينة تشيع عدد كبير من عمال العباسيين في مصر[3].

ويبدو أنّ هذا الاستنتاج قد فتح باب التأويل اكثر إلى اِدعاء تشيع والي مصر علي بن سليمان وقد استند أصحاب هذا الطرح لرواية ذكرها ابن أبي الزرع نقلاً عن سليمان بن علي بقوله "وإني أكره أنّ أتعرض لدماء أهل البيت أو ينالهم أذى بسببي"[4] على أنّ هناك من استدل على تشيع الأدارسة بأدلة مادية من خلال الاستشهاد بما كتبه على أحد وجهي الدرهم الأدريسي حين كتب فيه كلمة علي[5] ولم يذكر ولا اسم آخر من الصحابة رضوان الله عليهم.

وفي المقابل اتفق العديد من المؤرّخين على سنية الدولة الإدريسية منها ما أكده المؤرّخ عبد الرحمن الجيلالي بأن المغرب لم يعرف التوحد المذهبي والديني قبل عصر الدولة الإدريسية ويضيف أنه ما ان اطمأن اِدريس الأول بتثبت أركان دولته إلّا وبدأ في مشروعه ومناهضة الفكر الخارجي والمعتزلة، وفي الوقت نفسه جمع الناس على عقيدة السلف ودعاهم إلى الاقتصار على مذهب مالك[6]، وأضاف أنّ إدريس جلب لسكان بلاد المغرب كتاب الموطأ ونشره بينهم[7]، وهو يقول نحن أحق بإتباع مذهب مالك وقراءة كتابه وامر رعيته بقراءة القرآن برواية نافع[8] وهو ما أكده صاحب كتاب مفتاح السعادة بقوله "وإنما وقع الاقتصار في المغرب

---

(1) الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 574.

(2) العزاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 114-115.

(3) ابن الخطيب، المصدر السابق، ج 2، ص 372.

(4) ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 18 ؛ - نور الدين مسعودي، موسى هيصام، مذهب الأدارسة بالمغرب بين التشيع والتسنن والاعتزال، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018/09/24، ص 293.- محمود اسماعيل.الادارسة حقائق جديدة.مكتبة مدبولي.ط1.القاهرة.1991م.ص 55

(5) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م، ص 112.

(6) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 250.

(7) عبد الرحمن الجيلالي، نفسه، ج 1، ص 250.

(8) نفسه، ج 1، ص 251.

على قراءة نافع لاختيار مالك قراءته، وسمعت من بعض فضلاء المغاربة أنهم اختاروا ذلك ليكون فقههم فقه عالم المدينة وقراءتهم قارئ المدينة"[1].

وهكذا انتشر أيام الأدارسة المذهب المالكي بالمغربيين الأقصى والأوسط، كما نشره سحنون بالمغرب الأدنى، فعمت المالكية المغرب الكبير[2]، أمّا المؤرّخ عباس الجراري فإنه يرى بخصوص نحلة الأدارسة أنهم من السنّة المالكية وأنهم أخذوا في تشكيل حركتهم داخل نطاق الاعتزال ويبدو هنا انه يقصد مذهب قبيلة أوربة قبل اندماجهم في نطاق الدولة الإدريسية إذْ قال في هذا السياق "وإن كانت تعتبر هذه الحركة إعتزالية، ولكن الّذي لا شك فيه أنّ الأدارسة لم يكونوا من المعتزلة ولا الإمامية الاسماعيلية ولم يكن لهم مذهب معين في الشيعة وأنهم لذلك لجأوا إلى السنّة المالكية خاصة"[3].

وفي الحقيقة أنّ أفضل القرائن على إثبات سنية الدولة الإدريسية هي من خلال ما جاء من نصوص تحمل ذكر المذهب السني أو التلميح له على لسان الأدارسة أنفسهم وانِطلاقًا من هذا نجد أنه هناك نصًا نقله لنا السلاوي عن ابن غالب في تاريخه أنّ الإمام إدريس الثاني(187هـ/213هـ) بعد أنّ أنهى بناء مدينة فاس، رفع يديه داعيًا بقوله "اللهم إنك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة، إنما أردت أنّ تعبد بها ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم"[4]، أمّا النص الثاني الّذي يمكن أنّ نستشهد به في ذات السياق هو ذلك الخطاب الّذي جاء على لسان إدريس الأول(172هـ/175هـ) لرعيته والذي يعتبر خطاب اعلان منهج دولة الأدارسة سياسيًا ودينيًا واعتبرته عديد المصادر بأنه خطاب إعلان سنية الدولة الإدريسية حيث قال

---

[1] طاش كبرى زادة.احمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت.لبنان.(د ت)، ج2.ص 26.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 251.

[3] عباس الجراري، الموحدون ثورة سياسية ومذهبية، ص 96.

[4] السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 223 ؛- ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 36.

"أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم... وإحياء السنّة وإماتة البدعة..."[1]، أمّا النص الثالث فهو متعلق بخطاب بعثه ابني ادريس .أبو العيش وابراهيم للخليفة الاموي عبد الرحمان الناصر(316هـ/350هـ) بالاندلس يجزم فيه ولاءهما للمذهب السني دون سواه وجاء فيه "...أطال الله بقاءك لهدم الشيعة الرافضة القادحة في الشريعة المحرفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراءً منهم على الله تعالى وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته الطيبين"[2].

ورغم أنّ هذه النصوص تعتبر قرائن قوية على سنية الدولة الإدريسية إلّا أنه هناك عديد من الدلائل الأخرى يمكن الاستئناس بها في إثبات نحلة الأدارسة منها غلبة العصبة المذهبية السنية على العصبية القبلية من خلال عدم اقدام الأدارسة على غزو إمارة نكور السنية المجاورة لها والّتي لا يوجد تفسير لها غير غلبة غاية النحلة السنية على أي اعتبار آخر[3]، وفي المقابل فإن علاقة الأدارسة بالعبيديين –الشيعة– كانت دومًا علاقة عداء وإن تخللتها فترات مهادنة ولم يكن هناك أي اعتبار لوحدة المذهب الشيعي بل أنّ القائد العبيدي مصالة بن حبوس غزًا عاصمة الأدارسة فاس وعين ابن عمّه موسى بن أبي العافية المكناسي عليها[4] مما يعطي مؤشر قويًا على اختلاف المذهب بين الدولتين.

وبالرجوع إلى جذور بدايات الدولة الإدريسية فإننا نقف عند حقيقية وقوف الإمام مالك إلى جانب محمد النفس الزكية جد إدريس الأول في أحقيته في الخلافة بدل جعفر المنصور العباسي[5] وهذا الموقف في الحقيقة يقطع الشك باليقين كون أنّ الإمام مالك بن أنس معروف

---

[1] أحمد بن سهل الرازي، أخبار فخ وخبر يحي بن عبيد الله وأخيه إدريس، تح: عبد الرقيب مظهر حجر، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية،ط1. اليمن، 2000م، ص 58-59؛-عبد الهادي التازي.التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم.مطابع فضالة.المغرب.1986.ج4.ص 12-13.

[2] التازي، المرجع السابق، ج 4، ص 169-170.

[3] محمد بن حسن شرحبيلي، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربيّة، 2000م، ص 54.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 183.

[5] محمد عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع.ط2، بيروت-لبنان، ج 1، ص 82.

عليه موقفه من الشيعة حيث قال في هذا الباب "أهل الأهواء كلهم كفار وأسوأهم الروافض"[1] فكيف يساند الإمام مالك محمد النفس الزكية أنّ كان شيعيًا !! وبالمقابل فإن إدريس الثاني قام بتولية الفقيه المالكي عامر بن محمد بن سعيد القيسي على القضاء لتتضح الصورة جيدة لأنه من غير المعقول تكون دولة شيعية وقضاءها على المذهب المالكي[2].

وصفوة القول أنه ومن خلال استقراء تاريخ الدولة الإدريسية(172هـ/375هـ) يتجلى بوضوح أنها لم تظهر شيئًا من التشيع[3] وأن الحكم بتشيع هذه الدولة جاء فيه على ما يبدو خلط بين من هم آل البيت وبين أنصار آل البيت وبالتالي كان الحكم على شكل اسقاط مثلما هو الحال عند نجاح إدريس الأول في نشر دعوته مما دفع المؤرّخين إلى اعتبار أنّ كلّ من اِلتقاء ادريس أو مرّ به فهو شيعي[4].

ومن خلال استقراء ما تيسر لنا من النصوص فإننا نرجح أنّ النحلة الّتي كان عليها الادارسة هي النحلة السنية الّتي قوامها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

2- دور قبيلة أوربة في نشر المذهب السني:

لقد أشارت الدراسات الحديثة إلى أنّ قيام الدولة الإدريسية ذات المذهب السني أفرزته دعوى منظمة وعمل سياسي تمازجت فيه الدعوة السنية بالمعتزلة، تحت شعار بناء حلف قبلي جديد عملت فيه قبيلة أوربة على لعب دور العصبية المؤسسة[5]، فكما هو معلوم أنّ أنصار أهل البيت هم من خلّص إدريس بن عبد الله من قبضة حكام مصر[6] في حين أنّ دعاة المعتزلة هم من تكفل بتأمين طريقه إلى بلاد المغرب وصولاً إلى المغرب الأقصى[7] واحتضنته

---

[1] القاضي عياض، المصدر السابق، ج 2، ص 49.

[2] سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1987م، ص 126؛--السلاوي.المصدر السابق.ج1.ص68

[3] محمد بن صالح السيجاني، الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت،-دراسة تاريخية-، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية العدد 06، محرم 1413، ص 546.

[4] عبد الله كنون، إدريس الأكبر وإدريس الأصغر، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربيّة، العدد 02 السنّة 12، 1369م، ص 42.

[5] محمود اسماعيل، الادارسة في المغرب الأقصى، الكويت، 1989، ص 59./-سلمى محمود. المرجع السابق.ص 186

[6] ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 17.

[7] محمود اسماعيل، مغربيات، ص 128.

قبيلة أوربة بمدينة وليلي[1] وتزامن قدوم الإمام إدريس بن عبد الله إلى بلاد المغرب بفترة زعامّة اسحاق بن عبد الحميد لقبيلة أوربة، والذي لم يتردد في إكرامه[2] وكان أول من بايعه[3].

ويبدو واضحًا أنّ قبيلة أوربة وجدت في الدعوة الدينية لإدريس ما يجمعها بها أكثر مما يفرقها ذلك أنّ تحالف الدعوة الدينية السنية مع العصبية القبلية الأوربية القوية سيفرز تحالفا قبليا جديدا تجمعه العصبية الدينية وتقوده العصبية القبلية، خاصة وأن إدريس من نسب آل البيت والإمام العادل،

والجدير بالذكر ان تعاطف البربر مع آل البيت كان كبيرًا خاصة بعد تلك المحن الّتي مروا بها على يد الخلافتين الأموية والعباسية[4]، فضلا على ان لقبيلة أوربة مجموعة من العوامل الأخرى الّتي كانت تدفعها للالتفاف حول الدعوة الإدريسية، ومن هذه العوامل احتياجها لعصبية دينية تكمِّل عصبيتها القبلية لبناء مجدها خاصة وأن زعيم الأدارسة لا عصبية قبلية له بمعنى لا وجود لمنافس لقبيلة أوربة عن الملك[5] ويظهر دعم قبيلة أوربة لقيام الدولة الإدريسية السنية بالمغرب الأقصى سنة 172هـ -788م[6] من خلال احتضانها لها في معاقلها بمدينة "ويلي" ودعوة اسحاق بن عبد الحميد شيخ قبيلة أوربة لبطون قبيلته بنسب إدريس بالرسول صلى الله عليه وسلم، وفضله وصفاء دينه وعلمه، ودعاهم لمبايعة، فقالوا "الحمد لله الّذي أتانا به وشرفنا بجواره ورؤيته، فهو سيدنا ونحن عبيده، نموت بين يديه فما تريد منا؟ قال: تبايعونه، قالوا: سمعا وطاعة ما منا من يتوقف عن بيعته وما يريد"[7]، وهذا ما جعل القبائل البربرية الأخرى المتحالفة معها تدخل على خط مبايعة إدريس ابن عبد الله بالإمامة[8] مثل: زناتة

---

(1) محمود سلمى، المرجع السابق، ص 186.

(2) ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 6.

(3) يزيد البشير، قبيلة أوربة وجدلية نشوء وارتقاء السلطة في بلاد المغرب في بداية العصر الوسيط (2 هـ-8هـ)، مجلة تاريخ العلوم، العدد 08، ج2، جوان 2017، ص 301.

(4) عبد المقصود، المرجع السابق، ج 1، ص 306.

(5) أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج 1، ص 117.

(6) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص ص 190-191 ؛ - ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص ص 19-20.

(7) ابن أبي الزرع، نفسه، ص 7.

(8) عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص 115.

ومكناسة وغمارة وغيرها[1] وهو ما نستشفه من كلام ابن أبي الزرع بقوله "فأجابه خلق كثير من قبائل البربر[2] ثمّ استولى بمساعدتها على المضارب الشمالية في المغرب الأقصى[3] لتبدأ بعدها قبيلة أوربة تتبنى دور العصبية القبلية الغالبة وذلك بمحاولتها تشكيل حلف قبلي بزعمتها وقامت بتوجيه الدعوة للقبائل البربرية الأخرى للانضمام لهذا الحلف القبلي السني الجديد مثل زناتة ومكناسة وغياته وغمازة، وهنا أورد البكرى أسماء لقبائل أخرى وهي ترهونة ومغيلة وصدينة وهوارة وزواغة[4]"

أما ابن خلدون فقال في نفس السياق "واجتمعت عليه زواغة ولواتة وسدراتة وغياثة ونفزة ومكناسة وغمارة، وكافة البربر بالمغرب الأقصى[5] لكن بقيت قبيلة أوربة هي نواة الحلف القبلي نظرًا لعدة اعتبارات منها أسبقيتها في احتضان ومبايعة إدريس بن عبد الله(172هـ/175هـ) حيث قال ابن أبي الزرع في هذا "... بايعته أولاً أوربة وهي أعظم قبائل المغرب وأكثرها عددًا وأشهرها قوة وبأسًا، ثمّ بايعته قبائل زناتة وقبائل البربر[6] ولم يبق الحلف جامدًا من حيث تركيبته بل ضم هذا الحلف عناصر أخرى غير بربرية مثل العرب والفرس[7].

وبالمقابل فإن إمام الدولة الإدريسية إدريس ابن عبد الله(172هـ/175هـ) حرص في بداية عهده على إشراك زعماء القبائل البربرية في المناصب العليا في الجيش دون أهمّال العصبية الأساسية في دولته وهي قبيلة أوربة الّتي ميزها بمنصب الوزارة بإعتبارها القبلية المؤسسة فعليًا للدولة الإدريسية[8] كما حرص إدريس على ضم كلّ العصبيات القبلية المتحالفة مع قبيلة أوربة إلى الجيش[9] ووظفها في الحملات التوسعية الّتي خاضتها الدولة الإدريسية

---

(1) عبد المقصود، المرجع السابق، ص 306.

(2) ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 15.

(3) مؤنس حسين، تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، العصر الحديث للنشر.ط1، بيروت، 1992م،ج1. ص 381.

(4) البكري، المصدر السابق، ص 1335 ؛- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج 1، ص 118.

(5) ابن خلدون، العبر، ج 4، ص ص 13-14.

(6) ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 20 ؛- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج 1، ص 118.

(7) سلمى محمود، المرجع السابق، ص 187.

(8) جوليان، المرجع السابق، ص 58 ؛- سلمى محمود، نفسه، ص 188.

(9) ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 20

بحجة نشر الإسلام، ويبدو أنّ هذا الأسلوب كان خطة ذكية من إدريس من أجل إبعاد تفكير القبائل في التمرد وإشغالهم بحروب وراءها التوسع وجلب الغنائم وفي نفس الوقت تفاديًا لتصادم قد يكون بين الدولة الإدريسية نفسها مع من يمثلها من قبائل بربرية منها قبيلة أوربة، وبهذا تمكن إدريس من ضبط البربر الّذين استعصوا على السلاطين من قبل[1].

والجدير بالذكر هنا هو أنّ قبيلة أوربة ومنذ الوهلة الأولى كانت ترى في إدريس بن عبد الله كأمير لها، لكن في المقابل كان إدريس يرى نفسه أميرًا على كلّ القبائل، لا على قبيلة أوربة وحدها وهذا ما أحدث الخلاف بينهما[2] وبدأ يظهر هذا الخلاف حين استعان إدريس بالعناصر العربية في الوظائف الهامة دون قبيلة أوربة وهو ما أثار حفيظة قبيلة أوربة[3] ويبدو أنّ هذه السياسة الجديدة للدولة الإدريسية اتجاه قبيلة أوربة كانت كردة فعل لتلك الشكوك الّتي تطورت بعدها إلى اتهامات ضد قبيلة أوربة حول حادثة مقتل راشد الإدريسي بعد استمالت الأغالبة لهم[4] رغم أنّ قبيلة أوربة هي من قامت برعاية ابنه الطفل إدريس حتى صار يافعًا وبايعته بالإمامة[5] إلّا أنّ إدريس الثاني عمد إلى قتل كبير قادة قبيلة أوربة[6] .

ويبدو أنه كان يدرك جيدًا خطورة ردة فعل قبيلة أوربة، فاستعان بقبيلة زناتة لإحداث التوازن في العصب[7] كما قام بتحويل عاصمة دولته من معقل قبيلة أوربة إلى فاس[8] وهو ما يفسر الهجرة الكبيرة لقبيلة زناتة من مواطنها الأصليّة بالمغرب الأوسط إلى مضارب المغرب الأقصى[9]، ليبدأ عهد جديد كانت معالمه أنّ تفجرت الخصومات بين البربر والعرب وبتراجع

---

[1] ابن حيان، المصدر السابق، ص 292.

[2] أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج 1، ص 117.

[3] سلمى محمود، المرجع السابق، ص 190.

[4] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج 3، ص 196 ؛ -ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 25ح --ابن ابي زرع. المصدر السابق.ص27

[5] سلمى محمود، المرجع السابق، ص 189.

[6] ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 26 ؛ - أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج 1، ص 121.

[7] ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 29.

[8] أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج 1، ص ص 117-121

سلمى محمود، المرجع السابق، ص 190.

[9] البكري، المصدر السابق، ص 42.

دور قبيلة أوربة بعدما كانت هي العصبية الغالبة في الدولة الإدريسية[1] ومع هذا بقيت قبيلة أوربة ضمن النسيج القبلي المشكل للدولة الإدريسية وخاضت معها معارك كثيرة من أجل نشر المذهب السني خاصة ضد الخلافة الفاطمية وأبقت ولائها للأمويين[2].

وكخلاصة لهذا الفصل يمكن القول أنّ الدور الّذي مرّت به القبائل البربرية في نشر المذاهب ببلاد المغرب يتشابه من حيث مروره على مراحل كلاسيكية تكاد تتشابه وهي مرحلة الدعوة ثمّ مرحلة القوة والتمكن ثمّ الانهيار، ويستثنى من هذا التشابه الدور الّذي لعبته القبائل في نشر المذهب السني ككل والنحلة المالكية على الاخص، كون أنّ مذهب أهل السنّة منذ انتشاره عند القبائل البربرية، تمسكوا به رغم كلّ المحن الّتي مرّوا بها وناضلوا على اعلاء كلمته، وخير قرينة على ذلك هو أنّ المذهب السني المالكي في النهاية أصبح هو النحلة الغالبة. ونكاد نجزم أنّ كلّ القبائل البربرية انخرطت فيه ببلاد المغرب، وأصبح بلاد المغرب مع مرور الزمن مركز علم وفقه له مشائخه وعلماؤه من البربر بعدما كان المغرب مصدر تلقي لمختلف العلوم في المراحل الأولى، وجاءت القبائل البربرية بعلماء كثر خدموا المذهب المالكي بإخلاص أمثال أبي عمران الفاسي، وأبي اسحاق الشاطبي وأبي الوليد الباجي وغيرهم وهكذا أصبح المذهب السني عاملاً مهمًا في تشكيل الواقع القبلي اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا.

---

[1] سلمى محمود، المرجع السابق، ص 193.

[2]-سلمى محمود، نفسه، ص 244.

خاتمة

إنّ معالجة ومناقشة موضوع دور القبيلة في التغيّرات المذهبيّة ببلاد المغرب الإسلاميّ يستدعي رفع اللّثام عن عديد الاختلافات الموجودة في التّعريف بالقبيلة ومنظور المؤرّخين إليها ولأنسابها ومواطنها، فضلا عن تعريف تلك المذاهب الّتي عرفت الانتشار ببلاد المغرب الإسلاميّ خلال فترة الدّراسة.

وممّا لا شكّ فيه أنّ تاريخ المغرب الإسلاميّ في العصر الوسيط هو تاريخ قبليّ بامتياز لما شهدته تلك الفترة من أدوار للقبيلة في عديد المجالات، لاسيما التغيّرات المذهبيّة بين القرنين 2-6هـ بشكلٍ خاصٍ، وأفرزت دراستنا المتواضعة مجموعة من النّتائج يمكن أن تكون بوّابة لفتح آفاق جديدة للبحث.

إنّ استقراء المادّة المصدريّة لمجال البحث يوحي من غير شكٍّ إلى التّركيز الكبير على أدوار القبيلة في كلّ المجالات، ولاسيما التغيّرات المذهبيّة منها خلال العصر الوسيط وذلك كون النظام القبليّ ككلّ، والقبيلة بشكلٍ خاصٍ لم تكن مجرّد نظام سياسيّ فحسب؛ بل إنّ القبيلة كانت تحمل رمزيّة تميّز بها المجتمع المغربيّ وتأثّر بثوابتها واهتدى إلى دستورها المبنيّ على النّظم العشائريّة الّتي قوامها العصبيّة القبليّة.

إنّ الطّبيعة القبليّة الّتي ميّزت بلاد المغرب كانت العامل الغالب لعدم استقرار بلاد المغرب، فقبل الفتح الإسلاميّ كانت صراعات القبائل البربريّة ضدّ المستعمر درءًا لاستبداده واستنزاف الخيرات، وبعد الفتح الإسلاميّ احتضنت القبائل البربريّة الفكرة الدّينيّة فتلازمت العصبيّة القبليّة بالعصبيّة المذهبيّة فأحدثت التّوازن في تشكيل الأحلاف القبليّة والذي كان صامدًا حينًا من الدّهر إلى أن زعزعه تمرّد العصبيّات القبليّة الّتي توحّدت مع عصبيّة القبيلة الغالبة، لتعلن أفول سلطان حلف قبليّ وبداية سلطان قبيلة جديدة، قد وجدت ثوب مذهب جديد دعّمت به عصبيّتها القبليّة فتحالفت بطونها تحت لوائه معلنة حلفًا قبليًّا جديدًا.

تميّزت القبائل البربريّة بوجود تناقضات في نمط عيشها غذّت شدّة عصبيّتها خاصّة بين قبائل البدو وقبائل الحضر، فضلا عن شدّة الصّراعات بينها في الجانب الاقتصاديّ، هذا الوضع أفرز صورة مؤسفة لحالها نظير تشتّتها في ظلّ ركود فكريّ غلب عليها لفترة طويلة من الزّمن.

إنّ مجيء الفتح الإسلاميّ والذي رافقه تعصّب القبائل العربيّة للسّلطة واستبعاد البربر منها، أدّى إلى اتّساع الفجوة بين الحاكم والمحكوم وأفرز صراعات مبكّرة بين البربر وجنّد الخلافة الإسلامية، وهذه النقطة شكّلت عاملًا هامًا في تحوّل العصبيّات القبليّة إلى احتضان الحركات المذهبيّة المناوئة للدّولة الأمويّة.

وجدت القبائل البربريّة في النّحلة الخارجيّة سبيلا لبناء أوّل حلف قبليّ بربريّ تجابه به الحلف القبليّ العربيّ الموالي للخلافة في المشرق، وكان دافع الحلف البربريّ مع العصبيّة المذهبية الخارجيّة ليس بسبب اختلاف العقيدة كون أنّ البربر أصلا كانوا حديثي العهد بالإسلام لكن كان الدّافع السياسيّ المتمثّل في التمرّد عن ولاة الخلافة هو العنوان البارز الّذي دفع بالبربر إلى التشبّث بالمذهب الخارجيّ؛ كون أنّ العصبيّة الدينيّة إذا تحالفت مع العصبيّة القبليّة ستعرف الغلبة، وهذا مايبدو قد أدركه دعاة المذاهب وقادة القبائل البربريّة أيضا. وبدأت القبائل البربرية التحرّك من الإطار السياسيّ الضيّق إلى ممارسة التجارب الجديدة المتمثّلة في تشكيل الأحلاف القبليّة وبالتالي إلى سلطة مركزيّة أو جهويّة على الأقل رغم بقاء العامل القبليّ مؤثرًا بشكلٍ خاصٍ.

جاء التواجد الشّيعيّ ببلاد المغرب الإسلاميّ ليقسّم القبائل البربريّة بين مُوالٍ لها ومعارضٍ، فضرب بذلك العصبيّة القبليّة البربريّة بسهمٍ وتحوّلت إلى عصبيّة مذهبيّة عرفت الغلبة بسيوف حلف قبليّ جمع قبيلة كتامة وصنهاجة، وبهذا الحلف تمكّن العبيديّون من إخضاع أغلب مضارب بلاد المغرب لسلطانهم.

عرف مذهب أهل السنّة والجماعة –خلافا للمذاهب الأخرى المنتشرة ببلاد المغرب– تمسّكًا منقطع النّظير من القبائل البربريّة، فرغم ما مرّ به من محن على مدار القرون الوسطى ببلاد المغرب إلّا أنّ القبائل البربريّة تنتصر له في النّهاية، بل أصبحت القبائل البربرية تعجّ بالعلماء والفقهاء المغاربة، وأصبح المذهب أهمّ عامل جامع ومهذّب لكلّ العصبيّات القبليّة السّائدة وهو قرينة قويّة على أنّ المذاهب الإسلاميّة من غير النّحلة السنّية كانت تخصّ قادة القبائل البربريّة الغالبة فقط، والدّليل عودة البربر إلى المذهب المالكيّ بعد رحيل العبيديين مباشرة، وقد وطّن المذهب السنّي ببلاد المغرب الأوسط القرن الخامس الهجري قوى قبليّة جديدة ضلّت إلى وقت طويل على هامش الأحداث السّياسيّة الّتي عاشتها بلاد المغرب لاسيما في شقّها المذهبي، وهي قوّة قبائل لمتونة وجزولة، وهي بطون لقبيلة صنهاجة اللّثام أو صنهاجة الجنوب.

كان للقبيلة الدّور البارز في انتشار الحركات المذهبيّة ببلاد المغرب، ولولا تبنّي القبائل البربريّة الكبرى مثل كتامة وصنهاجة وزناتة وأورية ومصمودة لأفكار هذه المذاهب الوافدة من المشرق إلى بلاد المغرب، لما كان لها وجود أصلًا على أرض المغرب.

إنّ القبائل البربرية لم تعتنق المذهب الخارجيّ الإباضيّ والصفريّ ولا المذهب الرافضيّ الإسماعيليّ إلا من منطلق سياسيّ؛ كون أنّ قادة القبائل المساندة لهذه النحل رأوا أنّ في هذه الدّعوات الدّينية إطار للمّ شمل بطون قبائلها، أمّا الرّعيّة فكانت على مذهب سلاطينها، لكن أثبت التاريخ أنّ هذه النّحل زالت بضعف سيوف عصبيّاتها القبليّة فكانت ترجع في كل مرة إلى النحلة الناجيّة، نحلة أهل السنّة والجماعة.

وختاما، يمكن القول أنّه ورغم الجهد المبذول في جمع المادّة الخبريّة المبعثرة في عديد المصادر الأصلية تظلّ هذه الدّراسة تتوق لإكمال النّقائص فيها وإلى إطار زمنيّ أطول للبحث فيها لسدّ الثّغرات الموجودة في طيّات هذا العمل، خاصّة لمّا يلتقي عاملا القبيلة والمذهب وهي آفاق تستدعي الدّارسين للخوض فيها ورفع اللّثام عن تفاصيلها.

الملاحق

الملحق رقم 01: مخطط يوضح تفرع القبائل البربرية البرنسية

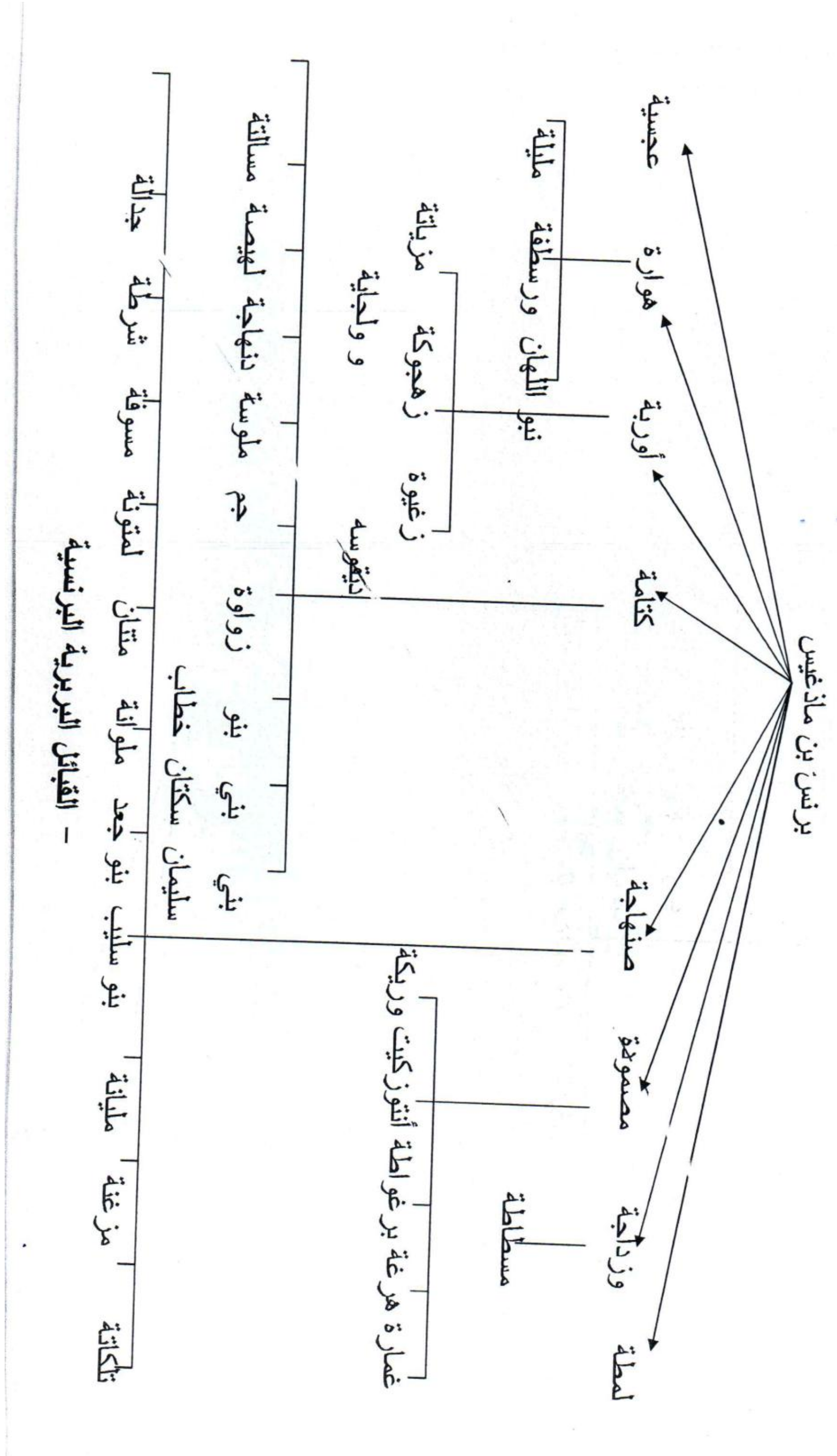

الطالب بتصرف

الملحق رقم 02: مخطط يوضح تفرع القبائل البربرية البترية

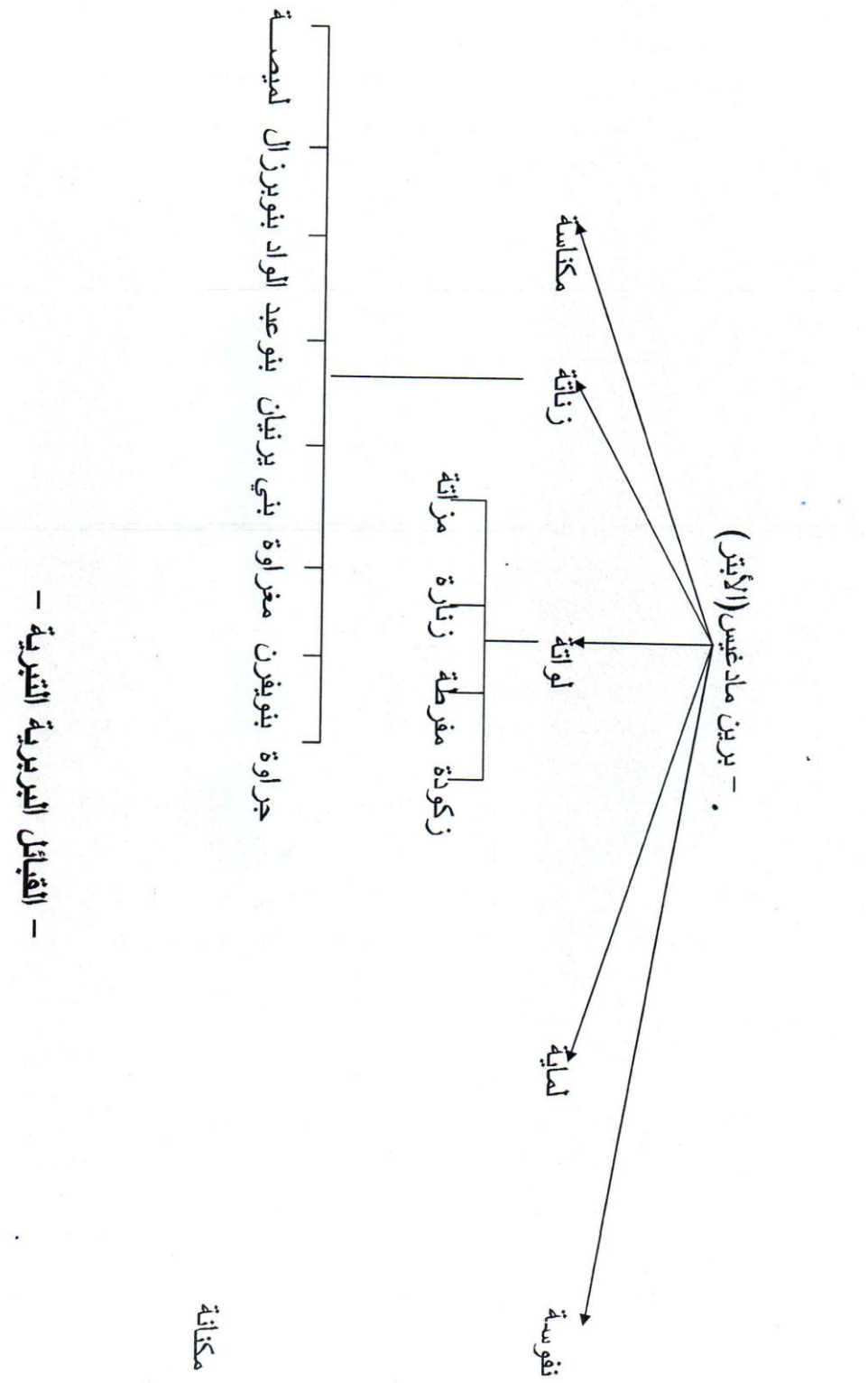

الطالب بتصرف

الملحق رقم 03: مخطط يوضح تفرع بطون قبيلة كتامة

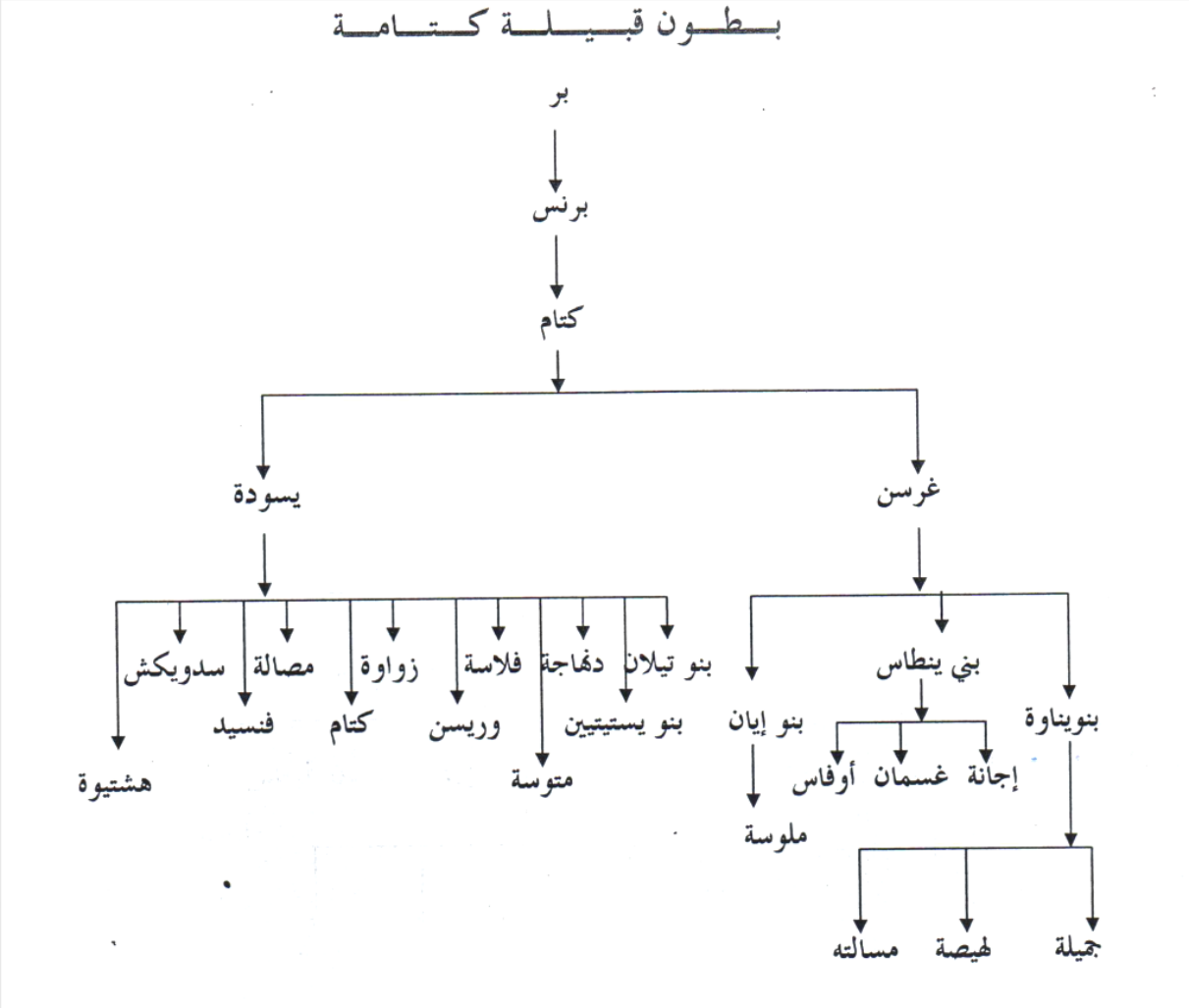

(1)

(1) بوزياني، القبائل الأمازيغية، ص 303

الملحق رقم 04: مخطط يوضح تفرع بطون قبيلة صنهاجة

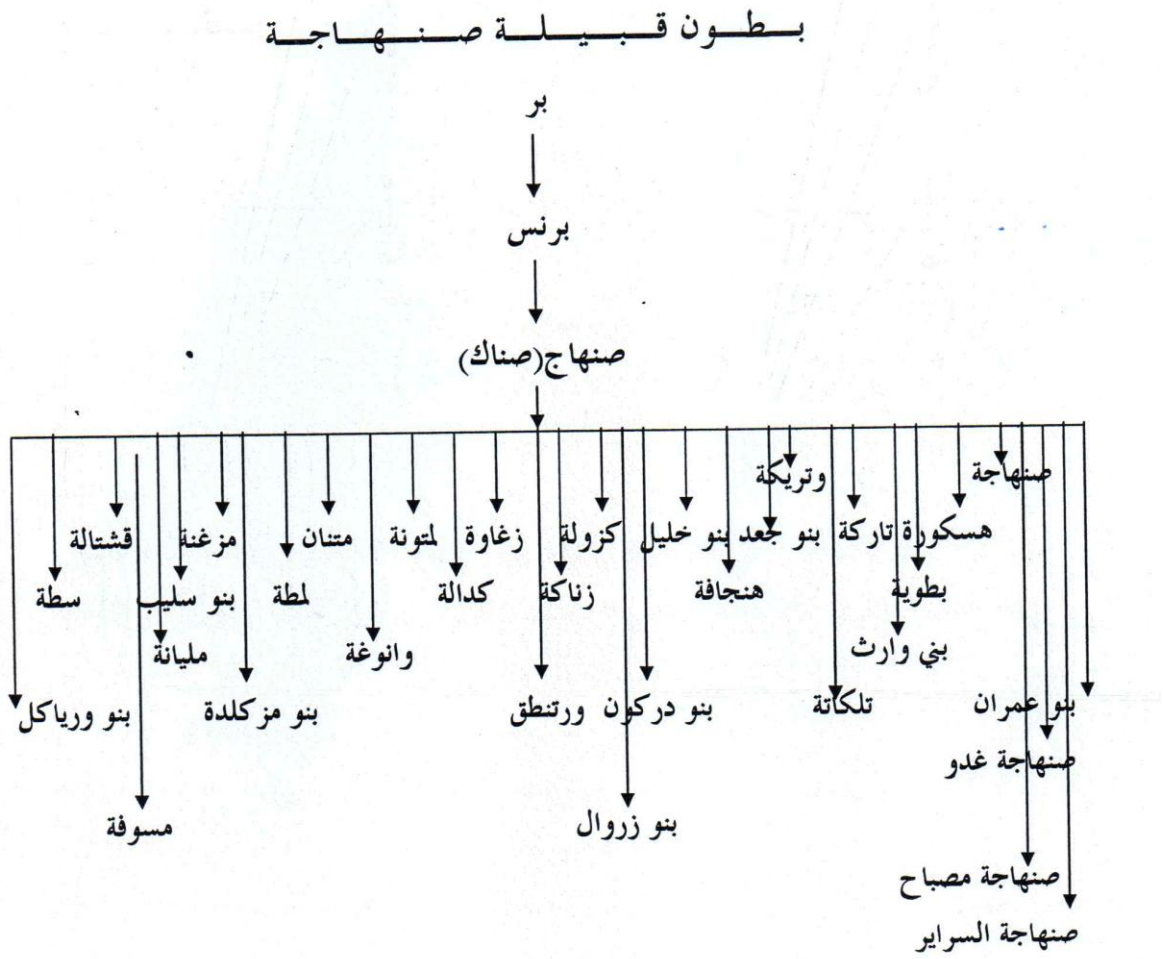

(1)

(1) بوزياني، القبائل الأمازيغية، ص 304

الملحق رقم 05: مخطط يوضح تفرع بطون قبيلة زناتة

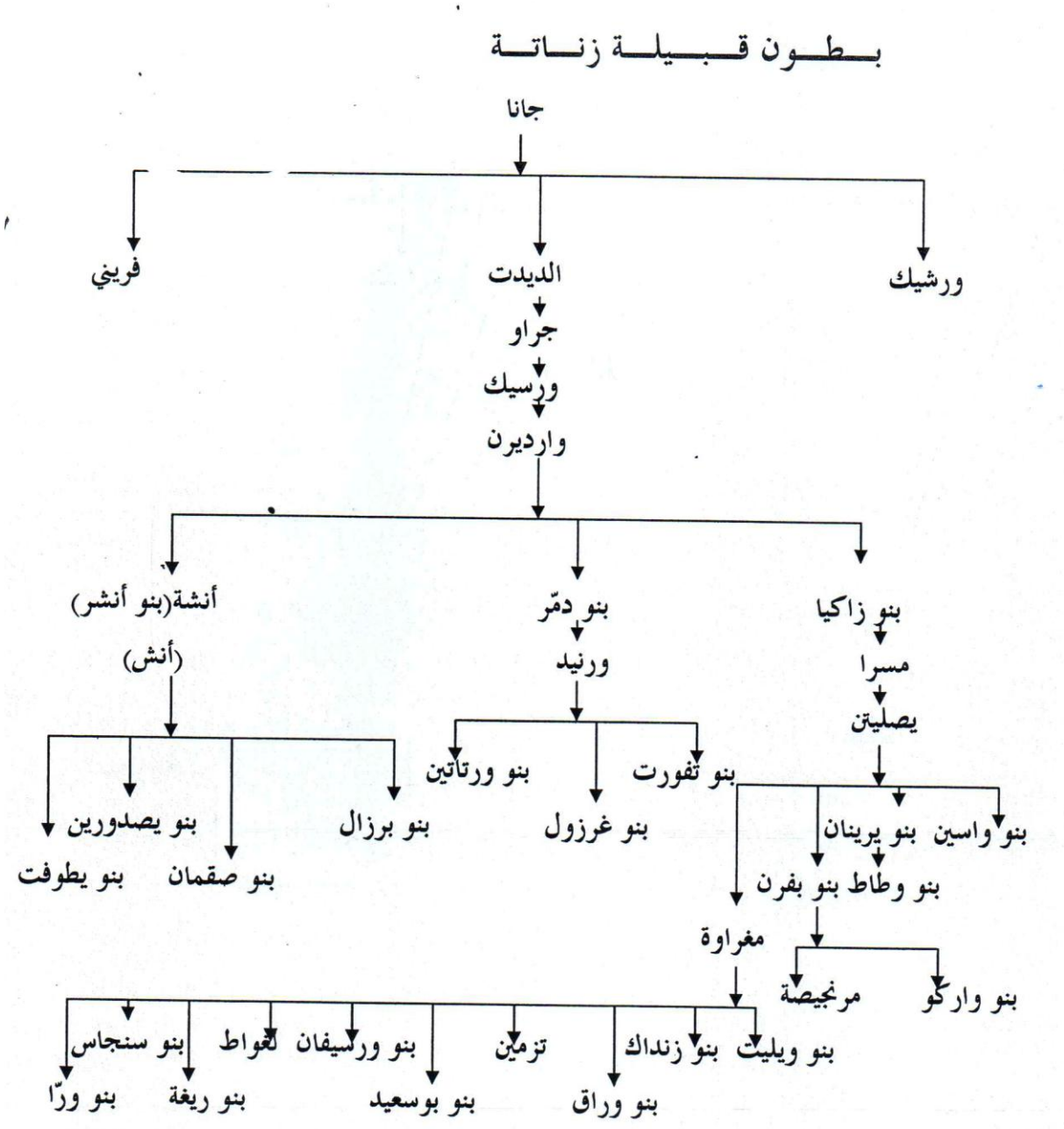

(1)

(1) اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 399.

الملحق رقم 06: الخريطة المذهبية لبلاد المغرب من منتصف القرن 2هـ/ 8م إلى قيام الدولة الفاطمية

الطالب بتصرف

الفهارس

فهرس الآيات القرآنيّة

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والمناطق

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ﴾؛،21
﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾،153
﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ 100
﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾25

فهرس الأحاديث

بما تقضي؟ قال :بكتاب الله،،216
ستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة،216
كان إذا ذهب المذهب أبعد،91

فهرس القبائل

أداسة،59
أزداجة،65
البتر،24 ،28 ،29 ،52 ،58 ،62 ،74 ،76 ،77 ،78 ،125 ،168 ،196 ،212 ، 213
البرانس،28 ،29 ،58 ،65 ،66 ،69 ،74، 229
القيسية،24 ،39 ،109 ،118 ،225، 236
اليمنية،39 ،135 ،212 ،224 ،226، 231
أوربة،7 ،16 ،66 ،74 ،76 ،77 ،86 ،214 ،258 ،260 ،262 ،263 ،264 ، 265،319
أوريغة،66
بنو دمر،65
بنو سليم،40 ،235
بنو هلال،8 ،17 ،40 ،64 ،234 ،235 ،236 ،248
بنو يفرن،63 ،208 ،212 ،232
بنولوا،59
جدالة،85 ،251 ،252 ،254 ،255، 256

جراوة،45 ،63 ،74 ،76 ،118 ،126 ،169
زناتة،4 ،7 ،16 ،32 ،62 ،63 ،64 ،65 ،73 ،80 ،109 ،112 ،113 ،114 ،
116،117 ،118 ،126 ،130 ،131 ،135 ،138 ،139 ،142 ،145 ،165 ،
168،169 ،170 ،171 ،174 ،175 ،192 ،196 ،197 ،198 ،200 ،201 ،
202،203 ،206 ،207 ،208 ،212 ،236 ،238 ،242 ،243 ،249 ،251 ،
253،254 ،263 ،264 ،265 ،297 ،300 ،301 ،316 ،317
زواغة،62 ،124 ،125 ،126 ،146 ،264
زواوة،4 ،24 ،208 ،297
صنهاجة،8 ،16 ،40 ،66 ،67 ،68 ،72 ،73 ،78 ،79 ،82 ،88 ،119 ،168 ،
169،170 ،172 ،199 ،202 ،203 ،208 ،214 ،227 ،236 ،237 ،238 ،
239،240 ،241 ،242 ،243 ،244 ،245 ،246 ،247 ،248 ،249 ،250 ،
251،252 ،253 ،254 ،255 ،256 ،257 ،270
ضريسة،60
عجيسة،70 ،71 ،157 ،209
كتامة،4 ،11 ،40 ،67 ،68 ،69 ،70 ،71 ،75 ،155 ،156 ،157 ،158 ،159 ،
160،161 ،162 ،163 ،164 ،165 ،166 ،167 ،168 ،169 ،171 ،174 ،
196،199 ،204 ،206 ،208 ،211 ،212 ،237 ،238 ،239 ،240 ،241 ،
242،269 ،270 ،301
كزولة،71
كومية،7 ،11 ،16 ،60 ،61 ،185 ،187 ،188 ،189 ،192 ،193 ،194 ،195
لماية،60 ،61 ،74 ،124 ،134 ،140 ،143
لمتونة،55 ،68 ،176 ،248 ،250 ،251 ،253 ،254 ،255 ،257 ،270
لمطة،59 ،71 ،72 ،254
لواتة،59 ،60 ،124 ،125 ،128 ،140 ،141 ،142 ،143 ،146 ،147
مديونة،61
مسوفة،68 ،85 ،255

مصمودة،7 ،11 ،16 ،72 ،117 ،175 ،176 ،177 ،181 ،182 ،183 ،184 ،
185،186 ،190 ،191 ،193 ،195 ،196
مطغرة،61 ،103 ،110 ،111 ،112 ،113 ،118 ،120
مطماطة،61
مغراوة،63 ،64 ،174 ،192 ،198 ،199 ،200 ،201 ،202 ،203
مغيلة،61 ،115 ،122 ،140
مكناسة،62 ،80 ،103 ،119 ،120 ،121 ،166 ،173 ،174 ،175
نفزاوة،59 ،103 ،116 ،132 ،133 ،134
نفوسة،59 ،79 ،85 ،86 ،103 ،126 ،128 ،130 ،131 ،132 ،139 ،141 ،
145،147 ،206 ،208 ،231 ،232 ،233 ،307
هكسورة،71
هوارة،59 ،65 ،66 ،76 ،113 ،114 ،130 ،131 ،139 ،140 ،141 ،147 ،
170،203 ،204 ،205 ،206 ،233 ،300

فهرس المذاهب والفرق والديانات

الإباضيّة،90 ،95
الإسلام،30 ،34 ،38 ،42 ،43 ،44 ،45 ،47 ،49 ،50 ،52 ،58 ،63 ،68 ،76 ،
77،85 ،88 ،95 ،99 ،124 ،130 ،148 ،151 ،152 ،175 ،176 ،215 ،220 ،
224،226 ،228 ،249 ،252 ،253 ،256 ،257 ،264 ،297 ،298 ،300 ،
301،303 ،305 ،307 ،308 ،312 ،315 ،316 ،317
الإسماعيلية،150 ،152 ،154 ،250 ،283 ،320
الحنفي،95 ،96 ،136 ،217 ،218 ،219 ،304 ،313
الشافعي،231
الشيعة،2 ،14 ،100 ،103 ،149 ،150 ،151 ،152 ،153 ،154 ،156 ،171 ،
180،181 ،197 ،199 ،201 ،205 ،206 ،207 ،213 ،218 ،227 ،237 ،
238،239 ،245 ،246 ،247 ،259 ،260 ،261 ،283 ،291 ،320
الصّفريّة،90 ،95 ،96 ،142 ،283 ،320

العبيديون،69 ،196 ،208 ،239 ،240 ،242
الفاطميون،163 ،164 ،171 ،174 ،197 ،199 ،235 ،247 ،301 ،310
المالكي،6 ،11 ،43 ،77 ،91 ،104 ،107 ،214 ،217 ،218 ،219 ،220 ،221 ،
222،223 ،228 ،231 ،232 ،244 ،245 ،246 ،247 ،250 ،252 ،253 ،
255،257 ،260 ،261 ،262 ،266 ،270 ،284 ،287 ،304 ،313 ،321
المذهب الخارجي،5 ،10 ،14 ،51 ،90 ،105 ،106 ،109 ،110 ،119 ،136 ،
137،148 ،206 ،270 ،283 ،320
المسيحية،42 ،47 ،48
النصرانية،36 ،47 ،299

فهرس الأعلام

ابن تومرت،11 ،88 ،176 ،177 ،178 ،179 ،180 ،181 ،182 ،183 ،184 ،
185،188 ،189 ،190 ،192 ،193 ،194 ،195 ،262 ،293 ،318 ،319
ابن خلدون،9 ،13 ،25 ،26 ،28 ،29 ،31 ،32 ،33 ،34 ،35 ،45 ،46 ،47 ،
48،49 ،51 ،53 ،57 ،58 ،59 ،60 ،61 ،62 ،63 ،64 ،65 ،66 ،67 ،68 ،
69،70 ،71 ،72 ،74 ،75 ،78 ،82 ،83 ،85 ،86 ،87 ،88 ،95 ،101 ،102 ،
103،110 ،111 ،112 ،113 ،114 ،116 ،117 ،118 ،119 ،120 ،121 ،
122،123 ،124،125 ،126 ،130 ،134 ،143 ،154 ،155 ،157 ،167 ،171 ،
172،173 ،175 ،176 ،177 ،178 ،181 ،182 ،183 ،184 ،185 ،186 ،
188،190 ،192 ،193 ،197 ،198 ،199 ،202 ،205 ،206 ،207 ،209 ،
223،224 ،226 ،227 ،228 ،229 ،230 ،231 ،233 ،234 ،235 ،236 ،
240،241 ،243 ،244 ،245 ،246 ،250 ،251 ،252 ،253 ،254 ،255 ،
256،258 ،264 ،265 ،286 ،300 ،303 ،305 ،307 ،318
ابن رستم،14 ،51 ،105 ،144 ،233
أبو عمران الفاسي،251
أبو قرة الصفري،122
أبي الخطاب،116 ،124 ،125 ،130 ،131 ،137 ،146

إدريس الأول،259 ،260 ،261 ،262
الأدارسة،138 ،173 ،223 ،234 ،259 ،260 ،261 ،262 ،263 ،299 ،300 ، 315،319
الأغالبة،50 ،86 ،132 ،134 ،138 ،142 ،147 ،159 ،200 ،211 ،212 ،219 ، 230،231 ،232 ،233 ،234 ،265 ،299 ،311 ،314
الأمازيغيون،3 ،4 ،33 ،59 ،63 ،112 ،115 ،126 ،173 ،175 ،296
الامويون،107 ،170
البلاذري،32 ،33 ،108 ،230 ،233 ،295
البيزنطي،30 ،47 ،57
الرّومان،28 ،31 ،41 ،79 ،89
الزيريين،61 ،172 ،245
الساميين،29 ،37 ،39
الصقالبة،165 ،167 ،210 ،211
العباسيين،40 ،106 ،122 ،135 ،141 ،218 ،232 ،243 ،259
العجم،36 ،50 ،85
العدنانيون،37
العرب،9 ،13 ،14 ،21 ،22 ،24 ،28 ،29 ،30 ،31 ،32 ،33 ،34 ،36 ،37 ، 38،39 ،40 ،43 ،44 ،46 ،50 ،58 ،60 ،62 ،64 ،66 ،69 ،76 ،77 ،79 ، 91،92 ،96 ،111 ،115 ،135 ،136 ،146 ،147 ،172 ،177 ،193 ،211 ، 224،225 ،226 ،227 ،230 ،231 ،232 ،234 ،235 ،249 ،264 ،286 ، 287،288 ،289،295 ،297 ،299 ،302 ،305
الفرس،50 ،264
الفينيقيين،30 ،57
القحطانيون،234
المرابطون،82 ،84 ،163 ،185 ،249 ،301
المطغري،63 ،103 ،108 ،110 ،117 ،119 ،120 ،126

المعز بن باديس،40 ،238 ،245 ،246
الموحدون،82 ،176 ،177 ،183 ،185 ،193 ،260 ،311 ،314 ،318
اليونانيون،153
حميد الزناتي،104 ،112 ،113 ،122 ،126 ،139
صاحب الحمار،80 ،168 ،169 ،205 ،207 ،209
عبد الله الشيعي،8 ،16 ،103 ،156 ،157 ،160 ،200 ،309
عبد المؤمن بن علي،60 ،187 ،192 ،312

فهرس الأماكن

أشير،169 ،170 ،202
إفريقية،34 ،36 ،41 ،45 ،50 ،51 ،57 ،58 ،63 ،65 ،69 ،70 ،74 ،76 ،78 ،
80،96 ،101 ،104 ،107 ،108 ،109 ،116 ،122 ،123 ،160 ،166 ،172 ،
212،218 ،220 ،222 ،230 ،231 ،234 ،237 ،239 ،240 ،241 ،246 ،
247،288 ،289 ،291 ،294 ،295 ،302 ،305
إقليم الجريد،42
البادية،28 ،29 ،37 ،82 ،172
الجزيرة العربية،35 ،37 ،222
الزاب،39 ،42 ،60 ،64 ،65 ،70 ،143 ،164 ،200 ،202
الشام،34 ،35 ،40 ،45 ،46 ،58 ،70 ،77 ،220 ،225 ،226 ،309
القيروان،38 ،39 ،40 ،43 ،51 ،59 ،74 ،103 ،104 ،105 ،114 ،115 ،116 ،
117،122 ،123 ،124 ،130 ،132 ،133 ،137 ،157 ،164 ،205 ،208 ،
209،218 ،220 ،225 ،230 ،231 ،232 ،238 ،240 ،246 ،247 ،248 ،
252،290
المشرق،11 ،39 ،40 ،73 ،94 ،100 ،102 ،107 ،122 ،136 ،152 ،171 ،
177،183 ،220 ،226 ،234 ،269 ،270 ،301 ،308
المغرب،1 ،2 ،1 ،2 ،3 ،4 ،5 ،6 ،7 ،8 ،9 ،10 ،11 ،12 ،13 ،14 ،15 ،16 ،
17، أ، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34،

35، 36، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51،
52، 54، 56، 57، 58، 60، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 70، 71، 72،73 ،
74،75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89 ،
90،91، 94، 95، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108 ،
109،110، 111، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 120، 121، 122 ،
123،124، 125، 130، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 140 ،
142،148، 150، 151، 152، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 161 ،
162،163، 164، 165، 166، 168، 170، 171، 172، 173، 174، 175 ،
176،177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 185، 186، 188، 195 ،
196،197، 199، 200، 202، 203، 205، 206، 209، 210، 211، 212 ،
213،214، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226 ،
227،228، 229، 232، 234، 235، 236، 237، 240، 241، 242، 243 ،
244،245، 246، 247، 248، 249، 250، 255، 256، 258، 259، 260 ،
262،263، 264، 265، 266، 268، 269، 270، 282، 283، 284، 287 ،
288،289، 290، 293، 294، 296، 298، 299، 300، 301، 302، 303 ،
304،307، 308، 309، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318 ،
319،320، 321

المغرب الادنى،78 ،157 ،302

المغرب الأقصى،15 ،22 ،39 ،45 ،50 ،59 ،61 ،63 ،64 ،65 ،67 ،68 ،80 ،
101،103 ،110 ،111 ،114 ،116 ،118 ،145 ،170 ،173 ،174 ،175 ،
202،221 ،223 ،227 ،234 ،258 ،262 ،263 ،264 ،265 ،289 ،296 ،
298،299 ،307 ،314

المغرب الأوسط،4 ،23 ،46 ،60 ،63 ،65 ،71 ،117 ،121 ،124 ،137 ،170 ،
171،174 ،197 ،200 ،243 ،244 ،296 ،316 ،318

المهدية،164 ،165 ،168 ،169 ،208 ،310

اليمن،33 ،57 ،66 ،70 ،102 ،155 ،156 ،216 ،219 ،227 ،261 ،295 ،313

اليهودية،36 ،45 ،46
تلمسان،21 ،48 ،50 ،59 ،61 ،66 ،115 ،122 ،123 ،126 ،157 ،180 ،218 ،
221،299 ،311 ،316
تيهرت،8 ،16 ،60 ،61 ،71 ،80 ،86 ،113 ،120 ،124 ،125 ،127 ،128 ،
137،139 ،140 ،141 ،143 ،144 ،145 ،146 ،147 ،148 ،173 ،200 ،
201،202 ،233
درعة،71
سجلماسة،61 ،64 ،97 ،104 ،118 ،119 ،120 ،121 ،198 ،200 ،254 ،297
شمال إفريقيا،31 ،35 ،37 ،38 ،199 ،203 ،291 ،298 ،311
طبنة،42 ،43 ،50 ،123 ،198 ،202 ،203 ،301
طرابلس،65 ،66 ،93 ،102 ،103 ،114 ،123 ،124 ،125 ،130 ،131 ،132 ،
135،139 ،141 ،142 ،164 ،199 ،203 ،204 ،211 ،231 ،232 ،233 ،
243،290 ،311
طنجة،70 ،112 ،198 ،256 ،258
فاس،10 ،44 ،50 ،51 ،61 ،66 ،72 ،80 ،125 ،170 ،173 ،191 ،210 ،
223،234 ،260 ،261 ،265 ،288 ،293 ،299 ،318
مراكش،60 ،65 ،72 ،86 ،87 ،182 ،186 ،192
مصر،11 ،12 ،38 ،40 ،47 ،51 ،57 ،66 ،67 ،79 ،94 ،99 ،123 ،155 ،
156،157 ،161 ،164 ،167 ،169 ،171 ،172 ،196 ،207 ،211 ،212 ،
224،225 ،235 ،237 ،243 ،245 ،254 ،258 ،259 ،262 ،287 ،288 ،
290،291 ،292 ،294 ،300 ،301 ،304 ،306 ،309 ،310 ،312

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

القرآن الكريم:

أولا: كتب الحديث الشريف

1. الترميذي، محمد عيسى بن سورة بن موسى (279 هـ/892م)، سنن الترميذي، تح: أحمد محمد شاكر، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم الحديث 2640، شركة مطبعة المصطفى، 1975.

2. مسلم بن الحجاج القشبري النيسابوري (261هـ/875م)، صحيح مسلم، باب الحث عن الصدقة، حديث رقم 1017، عناية: أبو قتيبة، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض(د.ط)، 1426هـ/2005.

ثانيا: المصادر المطبوعة:

3. ابن أبي الزرع الحسن بن علي الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (د.ط)، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

4. ابن أبي دينار القيرواني أبي عبد الله الرعيني القيرواني (ت. أواخر القرن11هـ)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط3، دار الميسرة، بيروت، 1993م.

5. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658 هـ)، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر، 1985م.

6. ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت 630هـ-1232م)، الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987.

7. ابن الخطيب لسان الدين بن محمد الخطيب السليماني(ت776هـ)، كتاب أعمال الإعلام، ج3، تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، نشر تحت عنوان: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.

8. ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وابراهيم بحاز، دار الغرب الاسلامي، بيروت، (دط)، (دت)، 1986

9. ابن العباد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري أبو الفلاح (ت 1089هـ/1679م)، شذرات في أخبار من ذهب، ج 4، دار الأفاق الجديدة، بيروت، (دت).

10. ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن أبي العافية المكناسي (ت 1025هـ/1616م)، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1973م.

11. ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي (ت 628هـ/1230م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، درسه وقدمه وحققه: محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990.

12. ابن القنفذ، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي الشهير بابن الخطيب القسنطيني (ت 810 هـ-1407م)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1388هـ/1968.

13. ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر المصري، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة، بيروت، 1989م

14. ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الديم محمد بن أبي بكر (ت 1350م/728هـ)، المنار المثيق في الصحيح والضعيف، تح: بن عبد الله الشمالي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

15. ابن تومرت، محمد بن عبد الله بن وجليد بإميصال بن حمزة (ت 524 هـ)، أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق: عمار طالبي، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.

16. ابن حزم أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي (ت 456 هـ)، جمهرة أنساب العرب، تح: ليفي بروفنسال، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1948.

17. ابن حماد أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت 627هـ/1236م)، أخبار ملوك بني عبيد سيرهم، تعليق: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

18. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت 360 هـ/977م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1992م.

19. ابن حيان، حيان بن خلف بن حسين الأموي (ت 469هـ)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، المعهد العربي الإسباني، مدريد القطعة الخاصة بعهد عبد الرحمن الناصر، 1979.

20. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد أبو بوزيد الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ-1406م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (العبر)، تح: سهيل زكار، د.ط، دار الفكر، لبنان، 1421هـ- 2000م.

21. ---------، المقدمة، تح: سهيل زكار، (دط)، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م.

22. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 671هـ)، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، (دط)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1398هـ/1978م.

23. ابن دريد، محمد بن الحسن بن العتاهية بن الحمامي، جمهرة اللغة،ج2، تحقيق: منير بعلبكي، دار العلم للملايين،1987م.

24. ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن أحمد الباجي (ت 594هـ/1198م)، المن بالإمامة، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي تازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د ط)، 1408هـ/ 1987م.

25. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله أبو القاسم (ت 257هـ)، فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، مطبعة قصر العيني، مصر، (دت).

26. ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والأندلس، بيروت، 1964.

27. ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي (ت703هـ/1303م)، الّذيل والتكملة، تح: محمد بن شريفة، بيروت، دار الثقافة.

28. ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترجيني، بيروت، دار الفكر، 1983م، ج10.

29. ابن عذاري أبي العباس أحمد بن محمد المراكشي (كان حيًا 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، ط2، 1983.

30. ابن منظور، محمد بن مكرم أبو الفضل، لسان العرب، بيروت، (دط)، دار صادر، ج11.

31. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط1، القاهرة، 1909م.

32. أبو العرب التميمي، محمد بن أحمد بن تميم المغربي الإفريقي(ت 333هـ/945م)، طبقات علماء إفريقية وتونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

33. أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت 333هـ/944م)، طبقات علماء إفريقية وتونس، تح: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار الوطنية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1985م.

34. أبي جعفر عبد الولي البلنسي الأندلسي (ت 488هـ)، تذكرة الألباب بأصول الأنساب، تح: محمد المهدي المشوني الخرشني، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، ط1، 2001م.

35. أبي زكريا، يحي بن أبي بكر (عاش في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م)، سير الأئمة وأخبارهم، تح وع: اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية (د.ط)، 1979.

36. إدريس، عماد الدين القرشي بن الحسن (ت 872هـ)، عيون الأخبار، السبع الخامس وقسم من السبع السادس بعنوان: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح، محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.

37. الإدريسي، ابي عبد الله الشريف (ت560هـ/1166م)، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، طبعة بمدينة إيدن، مطبعة بريل، 1866، (د.ط)

38. ---------، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق وتقديم: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

39. الأشعري، علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن اسماعيل أبي موسى (ت324هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المحليين، تصحيح: هلموت، ويتر، ط3، فرانز شتايز، بفيسبادن، 1980.

40. البرادي، أبي القاسم بن محمد إبراهيم (ت.ق 8 هـ/14م)، الجواهر المنتقاة في تتميم ما أخلّ به صاحب الطبقات، نسخة خزانة الشيخ بالحاج، القرارة ولاية غرداية، تحت رقم 73. نسخة يوم الأحد 3 محرم 1196هـ.

41. البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي(841هـ/1483م)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2002، ج6.

42. البغدادي، أبي المنصور عبد القهار بن طاهر التميمي (ت 429 هـ/1037م)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح: محمد عثمان الحسن، مكتبة ابن سينا، (د.ط)(د ت).

43. البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (487هـ-1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية، (جزء من كتاب المسالك والممالك)، (د.ط)، مكتبة المثنى، الجزائر، 1857م.

44. --------، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، الدار العربية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1992م.

45. البلاذري، أنساب الأشراف، ج3، أخبار علي بن أبي طالب وأبنائه، تح: سهيل زكار ورياض زركلي، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

46. البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحي بن جابر (ت 892هـ)، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1987.

47. البيدق، أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدين، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.

48. الجوذري أبو علي منصور العزيزي (ت 362هـ)، سيرة الأستاذ جوذر، تح: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر، (دت).

49. الحميري محمد عبد المنعم (ت 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984.

50. الخشني، محمد بن الحارث بن الأسد (ت 371 هـ)، طبقات علماء إفريقية، تح: محمد عزت زينهم، ط1، مكتبة مدبولي القاهرة، سنة 1993.

51. الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي (ت 696 هـ)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح وصويب: إبراهيم شبور، ج2، ط2، مطبعة السنّة المحمدية، القاهرة، مصر، 1968.

52. الدباغ، أبوزيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي (ت696هـ)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح وتع: إبراهيم شيوح، ج1، تونس، 1993.

53. الدرجيني، أبي العباس أحمد (ت 670 هـ/1271م)، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، ج1، مطبعة البحث قسنطينة، (د.ط)، 1974م

54. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ/1374م)، التفسير والمفسّرون، ج4، مكتبة وهبة، القاهرة (د ت).

55. الرازي، أحمد بن سهل (ت. في القرن 4 هـ/ 10م) أخبار فخ وخبر يحي بن عبيد الله وأخيه إدريس، تح: عبد الرقيب مظهر حجر، ط 1، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن، 2000م.

56. الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت 420 هـ/1029م)، تاريخ إفريقيا والمغرب، تق، تح، تع: محمد زينهم محمد غرب، ط1، دار الفرجاني، القاهرة، 1994.

57. الزركلي، خير الدين بن محمود بن علي بن فارس (ت 1396هـ) الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

58. السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت 1315هـ)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.

59. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي أبو سعد (ت 562 هـ)، الأنساب، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ط1، القاهرة، 1981.

60. الشاطبي أبو إسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت 790هـ)، الموافقات تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، السعودية، 1997.

61. الشماخي أبو العباس أحمد بن أبي عثمان، سعيد بن عبد الواحد(ت 928هـ/1522م)، السير، تح: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط1، 2009.

62. الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 54هـ)، الملل والنحل، تح: أحمد فهمي محمد، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413 هـ-1992م

63. الصاحب بن عباد، أبو قاسم اسماعيل بن عباد، نصرة مذاهب الزيدة، بغداد، 1977.

64. الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير(310هـ)، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والمماليك، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف المصرية، ط2، (دت)

65. الطبري، محمد بن جرير بن زيد بن كثير بن غالب (310هـ-923م)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1969م.

66. عماد الدين ادريس بن الحسن القرشي (ت 872هـ)، عيون الأخبار وفنون الأثار السبع (4-6)، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت.

67. القاضي العياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي (ت 544 هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار مكتبة الحياة، بيروت طرابلس، لبنان.

68. القاضي العياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي (ت 544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أصحاب الإمام مالك، تح: محمد بن تأويت الطنجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983.

69. القاضي نعمان، المجالس والمسايرات، تح: حبيب الفقي وآخرون(د.ط)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، 1978م.

70. القاضي نعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي المغربي، افتتاح الدعوة، تح، فرحات الدشراوي، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

71. القرشي، الداعي المطلق إدريس عماد الدين (ت 827هـ)، كتاب عيون الاخبار، السبع الخامس وقسم من السادس، بعنوان: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

72. القزويني، زكريا بن محمد بن محمد (ت 682هـ/1323م)، أثار البلاد وأخبار العباد دار صادر، بيروت، 1969.

73. القلقشندي، أبو العباس شهاب أحمد بن علي (ت 821 هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة.

74. القلقشندي، أبو العباس شهاب أحمد بن علي (ت 821 هـ/1418م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط 1، القاهرة، 1909م،

75. الكتاني، محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسيني الادريسي (ت1382هـ)، التراتيب الإدارية، تح: عبد الله الخالدي، ط 2، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.

76. الكندي، محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص أبو عمر التجيبي (ت350هـ/961م)، كتاب الولاة والقضاة، طبعة روفن حبست، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، 1908.

77. المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس (في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسالهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم)، تح: بشير البكوش، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1403هـ/ 1994م.

78. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق، (د ت).

79. المراكشي عبد الواحد بن علي (647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الاسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، 1962م.

80. --------، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسن مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر.

81. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت 380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (دط)، دار صادر، بيروت، (دت).

82. المقريزي، كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والأثار والمعروف بالخطط المقريزية، تح: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مديولاي، 1998م.

83. المقريزي، تقي الدين بن أحمد ابن علي (ت 848هـ/1441م)، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تج: جمال الدين الشيال، القاهرة، مصر، 1996، ج1.

84. الملزوزي، أبو فارس عبد العزيز، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، تصدير: عبد الوهاب بن منصور، المكتبة الملكية، الرباط، 1382هـ/1963م.

85. مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح: محمد يعلي، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996.

86. النوبختي، الحسن بن موسى (ت 288هـ)، فرقة الشيعة، منشورات الرضا، بيروت 1984.

87. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: نجيب مصطفى فورا، حكمت كشلي فوّاز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424 هـ-2004م.

88. الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1.

89. الوزير السراج، هو أبو عبد الله بن محمد الأندلسي (ت 1149هـ)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح: محمد الحبيب الهيلة، (دت).

90. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي (914هـ-1508)، المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج1، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربيّة، 1981.

91. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي (626 هـ/1229م)، معجم البلدان، مج 5، دار صادر بيروت، دط، دت، 1977م.

92. اليعقوبي، أحمد ابن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت292هـ)، صفة المغرب، مأخوذة من كتاب البلديان، مطبع ليدن، 1860م.

93. ----------، البلدان، ط1، 1422هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ثالثا: المراجع

94. إبراهيم القادري بوتشيش، مقالات في التاريخ الإسلامي خلال عصر المرابطين والموحدين، ط 1، 2007م.

95. إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

96. ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار النشر الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1978م.

97. إبراهيم مذكور وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، (د.ت).

98. أبوزهرة محمد، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، (د ت).

99. أبوزهرة محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ت).

100. أبوزهرة محمد، أبو حنيفة، حياته وعصره وآراءه وفقهه. دار الفكر العربي، ط2، (د م) 1947.

101. أبوزهرة محمد، مالك ابن أنس، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.

102. إحسان النص، العصبية والقبيلة وأثرها على الشعر الأموي، ط2، دار الفكر، القاهرة، 1973.

103. إحسان إلهي ظهير، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إدارة ترجمان السنّة الأهور، باكستان، 1987.

104. أحسن الحسن صبحي، الدعوة الفاطمية –مكتبة المديولي، ط1، القاهرة، 2005.

105. أحمد الشريف الأطرش السنوسي، مالك بن أنس ودراسة المدينة، ط1، دار الغرب للنشر والتوزيع، 1999م.

106. أحمد العزاوي، مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي، ط2، مطبعة ربانيت، الجامع، الرباط، 2009.

107. أحمد بن محمد نصير الدين النقيب، المذهب الحنفي مراحله وطبقاته وضوابطه ومصطلحاته خصائصه ومؤلفاته، مكتبة الرشد، ط1، الرياض، 2001.

108. أحمد سليمان معروف، قراءة جديدة في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم، ط1، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1988.

109. أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980.

110. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1984م.

111. أحمد شوقي ابراهيم العمرجي، الحياة السّياسيّة الفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي، ط1، مطبعة مدبولي، القاهرة، 2000م.

112. أحمد محمد أحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين- الخوارج والشيعة- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط3، 2008م.

113. أحمد محمد عبد المقصود، الدعاية السّياسيّة والإعلام المذهبي في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر.

114. أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندبس، دار النهضة، (د.ت).

115. أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد 3، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2008.

116. إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

117. أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة، محاولة لنقد الراوية التاريخيّة وفق منهاج المحدثين، مكتبه العبيكان.

118. ألفرد بال، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي.

119. أمبرو سيو هويثي ميراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تر: عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن، ط 1، 2004م.

120. إميل فيليكس غوتييه، ماضي شمال إفريقيا، ترجمة: هاشم حسيني، ط1، الناشر: الفرجاني، طرابلس، 1370.

121. الأوزكي سرحان بن سعيد، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تح: محمد حبيب صالح ومحمود بن مبارك السليمي، ج3، وزارة التراث والثقافة، ط3، سلطنة عمان، 2012.

122. باروني، سليمان بن الشيخ عبد الله النفوسي، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، (د.ت).

123. بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية(160- 296هـ)(777- 909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، نشر جمعية التراث بغرداية، مزيدة ومنقحة، الجزائر، 1414هـ/1993م.

124. بديعة الخرازي، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2007.

125. بشير رمضان التليسي، الإتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2003.

126. بكير بن سعيد أعوشت، دراسات إسلامية في أصول الإباضية، ط3، دار التضامن للطباعة، القاهرة، مصر، 1988.

127. بوبة مجاني، المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب، الرباط، منشورات الزمن، 2005.

128. بوركبة محمد، الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية (160هـ-296هـ/777م-909م)، دار الكفاية، 2017.

129. بوزيان الدراجي، العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية على ضوء الفكر الخلدوني، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2003.

130. بوزيان الدراجي، القبائل الأمازيغية-أدوارها مواطنها أعيانها-، دار الكتاب العربي، د.ط، 2007.

131. بوزيان الدراجي، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، ط3، 2007.

132. بوزيان الدراجي، العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي، مؤسسة بوزيان للنشر، الجزائر.

133. بوزيان الدراجي، القبائل الأمازيغية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010..

134. بوزيان الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربيّة، مؤسسة بوزيان الدراجي للنشر، 2013.

135. تامر عارف، تاريخ الإسماعيلية، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1991.

136. تراوري يونس، مدارس المذهب المالكي وأبرز خصائص المذهب وسماته، نزيل،(د.ط)، مكة المكرمة، 2013.

137. توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن وآخرون، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).

138. جغلول عبد القادر، الإشكاليات التاريخيّة في علم الاجتماعي السياسي عند ابن خلدون، تر: فيصل عباس، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط2، 1981.

139. جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، 1967.

140. جميل بن خميس السعدي، قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983.

141. الجنحاني الحبيب، المجتمع العربي الإسلامي، التاريخ الإقتصادي والإجتماعي، تونس، 1978.

142. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط 4، 1422 هـ/2001م، ج4.

143. جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجري، (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 1992.

144. جورج مارسي، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمد عبد الصمد هيكل، مطبعة الإنتصار، الإسكندرية، 1991.

145. جولد شهير، العقيدة والشريعة في الإسلام، الترجمة العربية، القاهرة، 1959.

146. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1976.

147. حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ط2، الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، 1996.

148. حسين بن الشيخ آث ملوي، التعريف بالأمازيغ وأصولهم، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ/2007م.

149. حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1992.

150. حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2000م.

151. حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت).

152. حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط1، العصر الحديث للتوزيع والنشر ودار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002.

153. حمد السنان وفوزي العجري، أهل السنّة الأشاعرة، شهادة علماء الأمة وأدلتهم، دار الضياء (د، م، ن) ، 2005.

154. حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري بالمغرب والأندلس في عهد المرابطين، (د، ط)، دار المعرفة الجامعية (د، م، ن)، 1997م.

155. الخربوطلي علي حسين، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، (د.ط)، 1972.

156. خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط، ما بين القرنين (6هـ-9هـ) (12م-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، مؤسسة الأصل للطباعة والنشر، المدينة الجديدة، تيزي وزو، 2011.

157. خليل إبراهيم السامرائي وآخران، تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلام، ط1، 2004.

158. داوود سليمان، حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، مطبعة أبوداوود، الجزائر، 1993.

159. داوود عمر سلامة عبيدات، الموحدون في الأندلس، المغرب والأندلس (667-541 هـ/ 1144-1268م)، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2006م.

160. راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2005.

161. رحمة بورقيبة، الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب.

162. رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ، العهد الاسلامي من الفتح إلى بداية العهد الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

163. روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإعلامي، 1988م.

164. روجي لي تورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر، تر: امين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا–تونس، 1982م.

165. الريس محمد ضياء الدين، النظريات السّياسيّة الإسلامية، دار التراث، القاهرة، ط7، (د.ت)

166. زغلول سعد، تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الضهاجيون إلى قيام المرابطون، (د.ط)، منشأة المعارف، القاهرة، 2004م.

167. زغلول سعد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، منشأة المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

168. سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات النشأة، التاريخ، العقيدة التوزيع الجغرافي، الأوائل للنشر والتوزيع للخدمات المطبعية، ط3، (د م)، 2004.

169. سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1987م.

170. سعيد فالح الغامدي، البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية، المكتب الجامعي الحديث، ط5، 1990.

171. سلمى محمود اسماعيل، الصراع الإثني والمذهبي في المغرب الأقصى (في ضوء نظريات (ابن خلدون) رؤية للنشر والتوزيع 2010.

172. سنوسي يوسف إبراهيم، زناتة والخلافة الفاطمية، ط1، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1982.

173. سوادي عبد محمد، صالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري للمطبوعات، ط1، القاهرة، 2004م.

174. سيدة إسماعيل كاشف، الدعوة الفاطمية في مصر قبل قيام الخلافة الفاطمية فيها، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، من 04إلى 07، أوت، وزارة الشؤون الثقافية، 1977م.

175. شارل آندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من البدء إلى الفتح الإسلامي 647هـ تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، 2011م.

176. شارل آندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان.

177. شريف عمر، نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية، مركز الدراسات الإسلامية، القاهرة، 1991، د(ط).

178. صابر طعيمة، الإباضية عقيدة ومذهبا، دار الجيل، بيروت، (د ت)، (دط)، 1986.

179. صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

180. صالح بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.

181. صالح مصطفى مفتاح المزيني، ليبيا منذ الفتح الليبي العربي حتى إنتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، الدار العربية للنشر والتوزيع، ط3، ليبيا، 2002.

182. الصلابي علي محمد، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الافريقي (دولة الموحدين)، ط 1، دار البيدق للنشر، 1998م.

183. الصلابي علي محمد، الدولة الفاطمية، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ط1، 2006.

184. طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة، ط 1، القاهرة، 1968.

185. طاهر مسعود، المشرق العربي المعاصر من البداوة إلى الدولة الحديثة، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1986.

186. عادل الضفيدي ابن حمود الأشرم، خزائن الدلائل في معرفة أصول وتواريخ القبائل، المجلد الأول.

187. العبادي أحمد مختار، دراسات في التاريخ العباسي والفاطمي، (د ط)، المؤسسة الثقافية الجامعية، مصر، 2001م.

188. العبادي أحمد مختار، دراسة في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.

189. عبد الباري محمود داوود، الإرادة عند المعتزلة والأشاعرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.

190. عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الوفاء، القاهرة، 1991م.

191. عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، مطبعة الوفاء المنصورة، 1990.

192. عبد الحميد الخالدي، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.

193. عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، نشأة المعارف، الإسكندرية، 1995.

194. عبد الرحمان عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، القاهرة، (د، ت، ن).

195. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

196. عبد العزيز بن صالح الخليفي، الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي مصطلحاته وأسبابه، ط1، 1993.

197. عبد العزيز سالم، المغرب الكبير العصر الإسلامي، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

198. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني- دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية-، (م.و.ف.م)، للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1423هـ/2002م.

199. عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، تر: فضيلة الحكيم، دار الحداثة، ط1، 1982.

200. عبد اللطيف أكنوش، تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

201. عبد الله خنشالي، أثر النزاعات المذهبية في الشعر المغربيّ(2هـ/4هـ)، 1994م.

202. عبد الله علي علام، الدعوة الموحدية بالمغرب، القاهرة، مصر، 1964م.

203. عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر نهاية القرن الرابع هجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة للنشر والتوزيع،(د.ط)، القاهرة، 1344هـ/ 1991.

204. عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر نهاية القرن الرابع هجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1991.

205. عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1403 هـ-1973م.

206. عبد المجيد بن حميدة، المدارس الكلامية في إفريقية إلى ظهور الأشعرية، ط1، مطبعة دار العرب، تونس، 1986.

207. عبد المنعم الحنفي، الفرق والجماعات والمذاهب الإسلاميّة، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 1993.

208. عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطابع فضالة، المملكة المغربيّة، 1986م.

209. عبد الواحد دنون طه، الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2004.

210. عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، المطبعة المالكية، الرباط، 1979.

211. عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ج1.

212. عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية مفهوم الإمامة ومشروعيتها وشروطها من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب– سلطنة عمان، (د.ت).

213. عز الدين ميدون، ندرومة مدينة عبد المؤمنط 1، 2011، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.

214. عصام الدين رؤوف الفقي، تاريخ المغرب والاندلس، د.ط، مكتبة النهضة الشرق، (دت).

215. عصمت عبد اللطيف دندسْ، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

216. عطاء أبو رية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، تق: سنوسي إبراهيم، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.

217. عقيلة غناي، سقوط الدولة الموحدين، ط 1، منشورات جامعة بنغاري، ليبيا.

218. علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، سلسلة الكتب الأساسية في العلوم الانسانية والاجتماعية.

219. علي بن هداية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، تقديم: محمود السعدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط7، الجزائر، 1991.

220. علي محمود عبد اللطيف الجندي، البربر في إفريقيا في العصر الأموي، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، مقدمة الكتاب رقم (ص.ح).

221. علي محمود عبد اللطيف الجندي، البربر في إفريقيا في العصر الأموي، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، 1995م.

222. عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، 1993.

223. عمر السعيدي، انتقال الفاطميون إلى مصر، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية الدورة الثانية، المهدية، من 4إلى 7 أوت 1977 م، وزارة الشؤون الثقافية، تونس.

224. عمر تابليت، هوارة ودورها في تاريخ المغرب، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، 2011.

225. عمر وخليفة الناهي، دراسات عن الإباضية، تر: ميخائيل خوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001م

226. عوض محمد خلفات، الأصول التاريخيّة للفرقة الإباضية، وزارة التاريخ القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط3، 1994م

227. عوض محمد خلفات، التنظيمات السّياسيّة والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان، مسقط، سلطنة عمان، (د.ت).

228. عوض محمد خلفات، نشأة الحركة الإباضية، دار الحكمة، لندن، ط2، 2013.

229. فرحات الجعبري، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج1، جمعية التراث، القرارة– غرداية، 1987.

230. فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1984، ط1.

231. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية للكتاب، ج4، مصر

232. قباني عبد العزيز، العصبية بنية المجتمع العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1997.

233. لطيفة البكاي، حركة الخوارج، نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي، (37هـ/132هـ) دار الطليعة، بيروت، لبنان.

234. لوسيت فالنسي، المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر، 1790-1830، ترجمة: إلياس مرقص، دار الحقيقة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1980.

235. لويس مورغان، المجتمع القديم، لندن، ماكميلان وشركاه، 1877.

236. ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر: السيد عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، ط1.

237. مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المجلد الأول، ط4، دار الندوة العالمية للطباعة النشر والتوزيع.

238. المجدوب عبد العزيز، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2008.

239. مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 2008.

240. محمد ابراهيم علي، إصلاح المذهب عند المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الامارات، ط1، 2000.

241. محمد أبو محمد إمام، سيادة المذهب المالكي في افريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية، المؤتمر الدولي الإسلامي في افريقيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، جامعة افريقيا العالمية، الكتاب الخامس أوراق المؤتمر، 27/26 نوفمبر 2008.

242. محمد الطالبي، الدولة الاغلبية التاريخ السياسي (184هـ/298هـ)، تر: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985.

243. محمد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع، ط 1، جذور للنشر، 2006م.

244. محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تر: محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس، تونس، 1993.

245. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر، بيروت–لبنان.

246. محمد بن حسن الشرحبيلي، تطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي حتى نهاية العهد المرابطين، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب، 2000.

247. محمد بن حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، 1990.

248. محمد بن حسن، القبائل والأرياف المغربيّة في العصر الوسيط، دار الرياح الأربعة للنشر، تونس.

249. محمد بن صالح العثيمين، عقيدة أهل السنّة والجماعة، مؤسسة الشيخ صالح العثيمين الخيرية، ط2، الرياض، 1929.

250. محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ط)، الجزائر.

251. محمد جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1967.

252. محمد حسن شر حبيلي، تكور المذهب المالكي في المغرب الاسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، 2000م.

253. محمد دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، ط2، الجزائر، 2010.

254. محمد زنبير، المغرب في العصر الوسيط، الدولة المدينة الاقتصاد، بحوث ودراسات رقم 24 منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1، المغرب 1999م.

255. محمد زنبير، الأغالبة والمغرب، معلمة المغرب، مج2، سلا 1989.

256. محمد زيتزن، المسلمون في المغرب والأندلس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط) .(د.ت).

257. محمد زينهم محمد غريب، تاريخ مملكة الأغالبة لابن وردان، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1977.

258. محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، مج1، دار الفكر العربي، مصر، 1997.

259. محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام، دار النفائس، ط2، بيروت، لبنان، 2007.

260. محمد شاكر، التاريخ الإسلامي في العهد الأموي، المكتب الإسلامي، ط7، 2000.

261. محمد صالح ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، مكتبة الإستقامة، سلطنة عمان، 1997.

262. محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي- محدداته وتجلياته- نقصد العقل العربي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1990.

263. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط4، دار النشر المغربيّة، الدار البيضاء، المغرب، 1984.

264. محمد عبد الله سالم العمايرة، الجيش الفاطمي (909-1171م)، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر، عمان، الأردن، 2009.

265. محمد عبد عنان، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، مؤسسة الخنانجي، القاهرة.

266. محمد عز الدين الغرياني، المذهب المالكي، النشأة والموطن وأثره في الإستقرار الإجتماعي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا.

267. محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والاندلس(160هـ/296هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، 1987/1408م.

268. محمد كرد علي كرد، الإسلام والحضارة العربية، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة.

269. محمد منصوري علي بلعيد، أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي وانكفاؤه في اليمن حتى القرن الرابع الهجري، دراسة مقارنة العمال الكاملة لمؤتمر الإمام مالك الجامعة الأسمرية، 2013.

270. محمود إسماعيل عبد الرزاق، الأدارسة حقائق جديدة، ط 1ن مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

271. محمود إسماعيل عبد الرزاق، الادارسة في المغرب الأقصى، الكويت، 1989.

272. محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، دار الثقافة، المغرب، 1986.

273. محمود إسماعيل عبد الرزاق، الأغالبة سياستهم الخارجية، ط3، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000م.

274. محمود إسماعيل عبد الرزاق، مغربيات–دراسة جديدة، فاس، ط1، 1977م.

275. محمود نجيب بوطالب، الأبعاد السّياسيّة للظاهرة القبلية في المجتمعات العربية، المركز العربي للأبحاث، قطر، الدوحة، أكتوبر 2011.

276. محمود نجيب بوطالب، سوسيلوجية القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة المغربيّة، بيروت، ط1، 2002.

277. مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في المغرب الإسلامي (د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

278. مسعود مزهودي، جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني ملال إلى بلاد المغرب(642 1053م)، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2003.

279. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، أثر القبائل العربية في الحياة المغربيّة منذ الفتح العربي إلى سقوط الدول المستقلة (236/23هـ)(643-909م)، ط1، 1986.

280. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين، (د.ت)، الجزائر.

281. مصطفى السباعي، السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط1، دار الوراق، (د، م، ن)، 2000.

282. مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ط6، الدار المصرية اللبنانية(د.ت)

283. مصطفى الشكعة، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة، ط3، 1993.

284. مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، ج1، ط3، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1991.

285. مصطفى صالح الفوال، علم الاجتماع البدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1974.

286. مصطفى ناعمي، الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسّياسيّة، الرباط، دار عكاظ، 1988.

287. معمر الهادي محمد القرقوطي، جهاد الموحدين في بلاد الأندلس (629-541 هـ/ 1146-1233م)، ط 2، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

288. موريس غودلييه، القبائل في التاريخ وفي مواجهة الدول، ترجمة: خليل أحمد خليل وغازي برو، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1.

289. موريس لومبارد، الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعريب: إسماعيل العربي، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربيّة، 1990.

290. موسى أحمد بني خالد، دور القبائل البربرية في العلاقات السّياسيّة الفاطمية والأموية بالأندلس (297هـ/433م)، ط1، 2011، دار اليازوري للنشر.

291. موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

292. موسى لقبال، طبنة في مجال العلاقات بين زناتة والفاطميين حتى نهاية عصر المنصور –حوليات– جامعة الجزائر، ديوان المطبوعات، (د.ع) (د س).

293. موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

294. الميلي محمد مبارك، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الشركة الوطنية للتوزيع، (د.ط)، الجزائر، 1976.

295. ناصر الدين مولود سعيدوني، التجربة الأندلسية بالجزائر، مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، ندوة الأندلس قرون والتقلبات والعطاءات، مطبوعات عبد العزيز العامة، ط1، 1996.

296. الهادي روجيه ادريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 هجري، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992.

297. هادي روجيه ادريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 هجري، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي 1992.

298. هاشمي العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع هجري منتصف القرن العاشر الميلادي، (1415هـ/1995م)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

299. هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي القرن الأول والثاني الهجري (7-8م)، لبنان، دار الطليعة، ط1، 2004.

300. الهنتاتي نجم الدين، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، طبعة تبر الزمان، تونس، 2004.

301. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1977م.

302. يوسف أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن 5 هـ، ط1، جامعة أم القرى السعودية، 1421هـ/2000م.

303. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 2006.

304. يوليوس، فيلهوزن، أحزاب المعارضة السّياسيّة والدينية في صدر الإسلام- الخوارج والشيعة- تر: عبد الرحمن بدوي، (دط)، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، 1958.

رابعا: الرسائل

305. أحمد ناجية، وضع القبائل البربرية في المغربيّن الأدنى والأوسط من وفاة الكاهنة إلى نهاية العهد الأغلبي –مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة تونس 2013.

306. أوكيل مصطفى باديس، انتشار الإسلام في بلاد المغرب وآثاره على المجتمع خلال القرن الأول الهجري السابع ميلادي، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 2006/2005.

307. بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتورة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2008/2007.

308. بوعقادة البشير، مقاومة زناتة المغرب الأوسط للمد الشيعي، المقاومة الجزائرية عبر العصور، ملتقى وطني، أيام 12/11 / ديسمبر 2012م، مطبعة الضحى، قسم التاريخ والأثار، جامعة سطيف.

309. التهامي ابراهيم علي، أهل السنّة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الإنحرافات العقدية من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس هجري –أطروحة دكتورة– جامعة أم القرى سيد عبد العزيز السيلي، 1992

310. خداوي محمد، القبيلة الأحزاب والانتخابات في ظل التعددية في الجزائر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص أنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014/2013.

311. شرقي نورة، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد المنصور الموحدي، ماجستير في التاريخ الوسيط، (غير منشور)، جامعة الجزائر، 2008/2007.

312. صاحي بوعلام، الحياة العلمية بإفريقية في عصر الدولة الأغلبية (184هـ/296هـ) (800م/909م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2009/2008م.

313. محمد الأمين بلغيث، العلاقات الحمادية المرابطية من خلال ديوان الإنشاء. أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس 398–1427/ 1007–2007م مسيلة أيام 11/10/9، أفريل 2007م.

314. محمد عليلي، الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول والثالث الهجريين السابع والتاسع الميلاديين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2016/2015.

خامسا: المجلات

315.إبراهيم القادري بوتشيش، الأدوار التاريخيّة والحضارية للفرس في بلاد المغرب منذ بداية انتشار الإسلام حتى القرن الثالث هجري، مجلة عصور الجديدة، العدد 14– 15، سنة 2014م، جامعة وهران.

316.احسان عباس، المجتمع التيهرتي في عهد الرستميين، مجلة الاصالة، العدد 45، السنّة الخامسة، جمادى الأول 1395هـ/ماي1975م، مطبعة البحث، قسنطينة–الجزائر.
317.بوعقادة عبد القادر، مقال التحول المذهبي في العهد الصنهاجي " الحمادي الزيري" وأثره على بلاد المغرب الأوسط، مجلة أفاق الثقافية والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ع74، س 2011.
318.تيرس نوح، المذهب الديني للقبائل الهلالية عند دخولها بلاد المغرب، مجلة الحقيقة العدد 35.
319.جورج بالانديه، علم الاجتماع، ترجمة أحمد الخشاب، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، القاهرة، مركز مطبوعات اليونيسكو، العدد 13، السنّة الرابعة، 1973.
320. حمودي ولد حمادي، مقال مسألة الإمامة عند مهدي الموحدين، ابن تومرت، مجلة الدراسات، ديسمبر، 2006م.
321.دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة ومراجعة إحسان محمد الحسن، ط2، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1986.
322.رياض عزيز هادي، مفهوم الدولة ونشوئها عند ابن خلدون، مجلة العلوم السّياسيّة، العدد37، جامعة بغداد، عدد خاص بالذكرى الخمسين لتدريس العلوم السّياسيّة في العراق.
323.عباس الجراري، مقال، ندوة الإمام مالك، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فاس، المغرب، 1980.
324.عباس الجراري، الموحدون ثورة سياسية ومذهبية، مجلة المناهل، العدد الأول، السنّة الأولى، نوفمبر 1974، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، المغرب.
325. عبد الحميد حاجيات، مقال: ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين، كلية الآداب، العدد الأول، نوفمبر، 2000م.
326.عبد الرؤوف أحمد عرسان جرار، ثورات الصفرية في بلاد المغرب، مجلة الأستاذ، العدد 223، المجلد الأول 2018– جامعة القدس المفتوحة، فرع جنين، فلسطين.
327.عبد العزيز غوردو، مدخل لقراءة ابن خلدون أسئلة في المنهج والنظرية، مجلة كان التاريخيّة، العدد02، ذو الحجة 1429هـ/ديسمبر 2008م.

328.عبد الله حمودي، راهن القبيلة في الوطن العربي الداخلي والخارجي في التنظير للظاهرة القبلية، مجلة عمران، مجلة فصلية محكمة متخصصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد19، المجلد الخامس، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، قطر، 41-02-2017.

329.عبد الله كنون، إدريس الأكبر وإدريس الأصغر، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربيّة، العدد 02، السنّة 12، 1369م.

330.عبد الوهاب ولد محفوظ، القبيلة في موريتانيا بين التأصيل التاريخيّ والتحليلي السوسيولوجي إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد 146، سنة 2011.

331.علاوة عمارة، مكانة الفكر العقدي في انتاج العلوم، مجلة الدراسات العقدية، قسنطينة، العدد 2، 2005.

332.محمد بن صالح السيجاني، مقال: الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت، –دراسة تاريخية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، العدد 06، محرم 1413هـ.

333.محمد بن معمر، زيري بن عطية المغراوي، ومشروع الدولة الزناتية في المغربيّن الأوسط والأقصى (368هـ/391هـ)، مجلة فصالة محكمة إصدار مصدر البحث التاريخيّ، العدد04، سنة 1425هـ

334.محمد عبد الله العموري، أحمد جاسم محيميد، قبيلة زناتة وأثرها في حركة الخوارج بالمغرب العربي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد23، تشرين 2015.

335.مزوري مومن، النظام القبلي في الجنوب الجزائري–قبيلة ذوي منيع أنموذجاً– مجلة آفاق علمية، مجلد 09، العدد02، السنّة 2017.

336.مولود طياب، الفينيقيون حضارة وتاريخ، مجلة الثقافة، العدد 109، وزارة الثقافة، 1995.

337.نور الدين مسعودي، موسى هيصام، مقال مذهب الأدارسة بالمغرب بين التشيع والتسنن والاعتزال، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018/09/24م.

338.يزيد البشير، قبيلة أوربة وجدلية نشوء وارتقاء السلطة في بلاد المغرب في بداية العصر الوسيط (2 هـ-8هـ)، مجلة تاريخ العلوم، العدد 08، جوان 2017.

سادسا: المراجع بالأجنبيّة

339. Brahim zerouk notes sur abadar –rahme,ibn rustemm agallettarikh centre nationales des etudes historiques alger 1977.

340. Gautier Emile Félix, Le Passé De L'afrique Du Nord, Les Siècles Obscurs, Bibliothèque Historique, Paris, Payot, 1937.

341. Kamal bouchama ,islam points de repere,edition elmarifa,alger ,2007 .

342. Laugier de Tassy, Histoire du Royaume d'Alger, Henri du Sauzet Amsterdam, (S.ED) ; 1927.

343. LOUIS GARDET, les hommes de l'islam, Edition hachette, (S .Ed) , 1971.

344. Maurice delafosse ,haut senégal niger, soudan,fransais paris

345. Raymond Mauny, tableau geographique de ouest africain au moyan age d'après les source ecrites , la tradiction et l'archéologie ifan, dacra1961.

346. SURDON :Institution et Coutumes Des Berbères Du Maghreb, Tanger/Fés, 1936.

347. Trimigham. J.s.a . History of islam in west africa .

شكر وعرفان .....
إهـداء .....
قائمة المختصرات.....
مقدمة: 1

الفصل الأول: مفاهيم عامّة حول القبيلة

المبحث الأول: القبيلة –اقسامها–مميزاتها 20
المطلب الأول: تعاريف عامّة للقبيلة.....20
المطلب الثاني: التركيبة العرقية للقبيلة ببلاد المغرب 30
المطلب الثالث: النظام القبلي وخصائصه.....52
المبحث الثاني: الخارطة القبلية والمجال بالمغرب الإسلامي 57
المطلب الأول: القبائل المغربيّة أنسابها ومواطنها 57
المطلب الثاني: الحركة القبلية بالمغرب الإسلامي.....73
المطلب الثالث: علاقة القبيلة بالدولة 82

الفصل الثّاني: القبيلة والمذهب الخارجي في بلاد المغرب (2–6هـ)

المبحث الأول: فرق الخوارج ببلاد المغرب.....93
المطلب الأول: تعريف المذهب الخارجي 93
ا–تعريف المذهب لغة واصطلاحا 93
المبحث الثاني: دور القبيلة في المذهب الخارجي ببلاد المغرب (2هـ/6هـ)..... 112
المطلب الأول: القبائل المشكلة لعصبة المذهب الصفري 113
المطلب الثاني: القبائل المؤسسة للإمارات ذات النحلة الصفرية..... 120
المطلب الثالث: القبائل المشكلة لعصبة المذهب الإباضي..... 127
المطلب الرابع: القبائل المؤسسة للإمارات الإباضية: 142

الفصل الثّالث: القبيلة والمذهب الشيعي في بلاد المغرب الإسلامي (2هـ– 6هـ)

المبحث الأول: المذهب الشيعيّ ببلاد المغرب (التّعريف – النشأة)..... 155
المطلب الأول: تعريف الشيعة لغة واصطلاحا 155

المطلب الثاني: أهمّ مبادئ فرقتي الزيدية والإسماعيلية 156
المطلب الثالث: نشأة المذهب الشيعي وانتقاله لبلاد المغرب 158
المبحث الثاني: دور القبيلة في المذهب الشيعي ببلاد المغرب الإسلامي 163
المطلب الأول: القبائل المساندة للوجود الشيعي ببلاد المغرب..... 163
المطلب الثاني: القبائل الثائرة عن الوجود الشيعي ببلاد المغرب..... 202

الفصل الرابع: القبيلة والمذهب السنّي في بلاد المغرب (2-6هـ)

المبحث الأول: أهل السنّة والجماعة..... 221
المطلب الأول: تعريف أهل السنّة والجماعة..... 221
المطلب الثاني: تعريف المذهبين المالكي والحنفي في بلاد المغرب 223
المطلب الثالث: أسباب انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي 227
المبحث الثاني: دور القبائل العربية والبربرية في نشر المذهب السني في بلاد المغرب. 230
المطلب الأول: دور القبائل العربية في نشر المذهب السني في بلاد المغرب..... 230
المطلب الثاني: دور القبائل البربرية في نشر المذهب السني في بلاد المغرب 243
خاتمة 274
الملاحق..... 278
الفهارس 285
قائمة المصادر والمراجع 294
الملخص: 331

الملخص:

يتناول موضوع البحث دراسة حول دور القبيلة في التغيّرات المذهبيّة ببلاد المغرب الإسلاميّ بين القرنيين الثّاني والسّادس الهجريّن. وقد تطّرقنا فيها إلى النّحل الرّئيسيّة المنتشرة في بلاد المغرب؛ وهي المذهب الخارجيّ –بشقّيه الإباضيّ والصفريّ–والمذهب الشّيعيّ والمذهب السنيّ. ومن أجل التّعرّف على أدوار القبيلة في التغيّرات المذهبيّة حتّم علينا الأمر العودة إلى تتبّع الأحداث السياسيّة والمذهبيّة الّتي مرّت على بلاد المغرب الإسلامي؛ لاسيما المتعلّقة بالتقلّبات المذهبيّة الّتي حدثت ما بين القرنين الثّاني والسّادس الهجريّن ومدى إسهام القبائل البربريّة بشكلٍ عامٍّ فيهاّ وذلك منذ ظهور المذهب الخارجي الصفري ثم الاباضي ثم الشيعي وصولا إلى استتباب الأمر للمذهب السنّي على كامل بلاد المغرب، وهو الشيء الذي أوصلنا إلى بلورة مجموعة من الأفكار والاعتقادات توصّلنا إليها من خلال دراسة ما تيسّر لنا من مصادر ومراجع. وأهم هذه الأفكار هو أن قادة القبائل البربرية أدركوا أن النّزعة العصبيّة كانت تمنعهم من إنشاء أحلاف عسكرية ومن أجل القضاء على هذا وجب اللّجوء إلى الدّعوة الدّينية الّتي ستذهب التنافس وتمكّنهم من إنشاء حلف يجمعهم ضدّ كلّ منافس لهم على السّلطة وهو ما وجدوه في كلّ النّحلات الّتي مرّت على بلاد المغرب، وبالمقابل فإن دعاة المذاهب كانوا أيضا على يقين أن من أجل انتشار المذهب لابدّ من سلطان السّيف وهذا لا يتاتى إلا من خلال العصبيّات القبليّة الغالبة، ومن هنا يتجلى لنا دور القبيلة في نشر المذهب أو أفوله.

الكلمات المفتاحية: القبيلة؛ العصبيّة؛ المذهب الاباضيّ؛ المذهب الصفريّ؛ المذهب الشيعيّ؛ المذهب السنّي.

Abstract:

The research topic is a study on the role of the tribe in sectarian changes in **the Islamic Maghreb** between the ***second and sixth centuries AH***. We have mentioned the main parts scattered in **the Maghreb countries** are the foreign doctrines in the two idiopathic **Ibadite and Safar** then ***Shiite*** and ***Sunni***.

In order to identify the roles of the tribe in the doctrinal changes, we had to go back to retrace the political events and doctrines which occurred between the second and the sixth century AH and the extent of the contribution of **Berber tribes** in general to it.

Since the emergence of the Safar doctrine, **Ibadite** then ***Shiite*** in order to base the question of the ***Sunni*** doctrine on the set of ideas of the shame of the leaders of the barbarian tribes realized that the nervous tendency prevented them from establishing military alliances to eliminate this; it is necessary to resort to the religious invitation which will eliminate the competition and allow them to establish an alliance which unites them against any competitor for the power which they have found in all the parts which passed by the countries from **the Maghreb**.

On the other hand, the sect supporters were also certain that for the sake of the cult's propagation the power of the sword was necessary and this is only possible thanks to the predominant tribal fanaticism, hence the role of the tribe in the dissemination of the doctrine or its decline is clear to us.